

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد الطالب
عماد يعقوب حمتو

إشراف الدكتور
عبد السلام حمدان اللوح

قدم هذا البحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْتَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ
فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ .)
(آل عمران : آية ١٩٥) .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ
لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ .)
(إبراهيم : آية ١٣) .

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ . أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ
ظَلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ...) .
(الحج : آية ٣٨-٤٠) .

الإهداء

§ إلى سيد المخرجين والمضطهدين والمجاهدين حبيبي محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم
وأتباعهم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تركوا الديار
والأهل والأموال.

§ إلى أبي الأول آدم عليه السلام المُخْرَج الأول من جنة الله.

§ إلى روح أمي الطاهرة التي خرجت من الدنيا أمام عيني في مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

§ إلى روح أبي الطاهر الصابر الذي خرج من الدنيا مؤمناً
محتسباً.

§ إلى كل مُخرج فلسطيني يحلم بحق العودة والرجوع إلى فلسطين
وبيت المقدس.

§ إلى الدعاة والعلماء وأصحاب الهمم من أمتنا.

§ إلى المعذبين الذين ينتظرون وعد الله وفرجه القريب.

إليهم جميعاً أقدم هذا الجهد المتواضع عسى الله أن يفتح به القلوب وينير به
الدروب ويجمع به الغريب ويلتقى به الحبيب.

شكر وتقدير

قال تعالى : (... وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ...) (لقمان : آية ١٢)

بداية أقدم شكري وتقديري لأستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور / عبد السلام اللوح ، لما بذله من جهد ونصيحة ، وما خصني به على طوال سنوات الدراسة ، وبالذات خلال فترة الإشراف على هذه الرسالة ، لما كان له من دور بارز في انجاز هذا البحث العلمي على أكمل وجه.

كما أشكر أستاذي الذين تشرفا بقبول تحكيم هذه الرسالة ومناقشتها وهما :

فضيلة الدكتور / زكريا الزميلي (مناقشاً داخلياً).

وفضيلة الدكتور / تميم ضهير (مناقشاً خارجياً).

وأسال الله ان يأجرهما ويثيبهما خيراً على إثراء هذه الرسالة بملاحظاتهم القيمة ، كما أخص بالشكر أستاذتي في الدراسات العليا وكلية أصول الدين وجميع العاملين فيها - عميداً ومدرسين وإداريين ، وكذلك عمادة الدراسات العليا - عميداً وإداريين.

وأشكر كذلك الدكتور / عبد الكريم شبير ، على عنايته ونصحه وتشجيعه ، وكل من ساهم في هذا البحث من إخوة وأصدقاء وزملاء منذ كان فكرة إلى أن أصبح حقيقة ، كما أخص بالشكر زوجتي أم عبد الرحمن وأولادي وإخوتي وأخواتي ، وشكري الخالص للعين الساهرة ، الجندي المجهول شقيقي أبي عمر (محمد) الذي قام بطباعة هذه الرسالة ، وتحمل عبئاً كبيراً في إخراجها وكل من ساهم في إنجاح هذا العمل.

وفي الختام أشكر الجامعة الإسلامية بغزة التي أتاحت لي الفرصة لإكمال الدراسات العليا ، رفع الله مقامها وأدامها الله منارة للعلم والعلماء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم تقبل منا إنك انت السميع العليم.

المقدمة :

الحمد لله منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، ولا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

أحق من حُمد ، وأحق من عُبد ، وأحق من ركع له وسُجد ، ناصر عباده المؤمنين ، ومأوى المستضعفين ، وملاذ المحرومين ، وظهير المضطهدين ، وسند المنكسرين ، وراد المبعدين والمخرجين إلى ديارهم آمنين مطمئنين راضين مرضيين فاتحين منتصرين ولو بعد حين .
وأصلى وأسلم على حبيبي وسيدى ومولاي محمد صلى الله عليه وسلم ، أذهب الله به الأحزان ، وأقام به البيان ، وأهل بدعوته الإيمان ، وبجهاده وصبره نشر الله به الأمن والأمان ، فأصاب به الرجال والنساء والولدان ، اللهم لا تفرق بيننا وبينه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

أما بعد ...

فإن القرآن الكريم هو كتاب هداية وإعجاز لا تتقضى عجائبه ، ولا تنتهى طلاوته ولا حلوته ، لذا فقد حوى وجمع خيرى الدنيا والآخرة ، ولقد تابعت من خلال آيات القرآن الكريم الآيات التى تحدثت عن قضية العصر ، قضية فلسطين وقضية المخرجين والمبعدين ، وأصحاب الحقوق التى تكاد اليوم أن تنسى على موائد السياسيين المتآمرين ، فوجدت فى كتاب الله ضالتي ، وفى قصص الأنبياء والرسل والأتباع والأصحاب هدايتي ، فقلبت فيه النظر ، وأعدت فيه الفكر ، فإذا الآيات المتناثرة بين دفتى الكتاب ، كأنها حب اللؤلؤ والمرجان ، والزمرد والذهبان ، تاج التيجان ، ودرة الزمان ، فله الحمد على ما ألهم وفتح وأعطى ، فجعلت موضوع هذه الرسالة : (الإخراج من الديار فى ضوء القرآن الكريم) ، ولقد شجعتنى لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها :

١- أن القرآن الكريم جاء ليغير أوضاع الجاهلية الفاسدة ، وقيمها المنحرفة ، فجاء بالبينة لإحقاق الحق بالعلم والإيمان ، لا بالأهواء ولا بالانحرافات ، فكانت رسالة القرآن هى رسالة حقوق الانسان ، وبيان ما له وما عليه من حقوق وواجبات .

٢- إن هذا الموضوع له الأهمية القصوى المتصلة بقضايا الواقع خاصة مع التداعيات الكبيرة التي تحدث على أرض فلسطين ، والتي يحاول فيها أعداء الإسلام أن يشطبوا حقوقاً لشعبنا وأمتنا ، أجمعت عليها الشرائع السماوية والقوانين الأرضية .

٣- بيان كيفية الاتصال بكتاب الله واستقراء ما فيه من حلول واقعية وسنن كونية ، قص علينا القصص القرآني من خلالها خطة الوحي السماوي للمسيرة البشرية في صلاح أوضاعهم وأحوالهم ومشاكلهم .

٤- إن هذا البحث تلبية واضحة للتكليف الشرعي بنصرة المظلوم ، وإحقاق الحق ، ودرء المفسد ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصف ، وبيان الأسباب والنظريات والخطط والمناهج الموصلة إلى الأهداف الربانية ، واستعادة الحقوق ، فكل ما أوصل إلى الواجب فهو واجب ، قال الله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...) (١) ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...) (٢)

٥- لاحظت من خلال ما كتب حول هذا الموضوع عدم اكتمال الصورة الصحيحة له ، بل مما شجعتني أن قرأت لبعض المؤرخين الإسرائيليين ، وهو يحمل على الفلسطينيين والعرب في عدم إعطائهم الحق التاريخي ، وعدم تسجيل وكتابة وتأسيس هذا الحق للفلسطينيين في ديارهم ، فخشيت أن يتهاوى هذا الحق في أدراج السياسيين ، فيصبح نسياً منسياً .

٦- لاحظت من خلال عملي الدعوى ، وحضوري بفضل الله ومنه في الساحة الدينية من خطب ودروس ومواعظ وورشات عمل ومقابلات وتسجيلات إعلامية ، أن حظ العاملين على ربط الحقائق القرآنية بالواقع وجمعها للناس ، وإبراز الحق القرآني في موضوع الإخراج ، والحق التاريخي والديني وأكبر مثال على ذلك قضية فلسطين بالصورة التي تم عرضها في هذا البحث باعتبار أنها قضية العصر في عالمنا العربي والإسلامي لا يلتفت إليه في ساحاتنا الإعلامية أو التعليمية ، والقضية قد تعرض مسطحة مجزأة مبتورة لا رأس لها ولا يدين ، كل ذلك مما يستنهض الهمم إلى أن قضية الإسلام وقضايا المسلمين لا بد أن تقوم على فهم ونظرية وتخطيط وأهداف .

٧- كما لا يفوتني أن أسجل في أن اختيار الموضوع ومتابعته والكتابة فيه هو مما أولاني به أستاذي ومشرفي الكريم رفع الله مقامه وأحسن مكانه أستاذنا الدكتور / عبد السلام اللوح حفظه الله ، فهو صاحب فهم وقلم ، وله من الاطلاعات الواسعة ، والندر اللامعة ما جعلني أفيء إليه في كل ساعة من ليل أو نهار فأجده الأب الحاني ، والقريب الداني فيكرمني

^١ سورة آل عمران : آية ١٠٣

^٢ سورة الأنفال : آية ٢٤

بتوجيهاته ، ويمدني بملكاته ، فيوقظ همتي المتعطلة ، ويحيي في ملكة القرآن وفراسة الإيمان ، وينقلني الله على يديه من خير إلى خير ، فجزاه الله عنى خير ما جزى مشرفاً عن طالبه ، وأستاذاً عن تلميذه ، وأنا لا أستطيع أن أوفى أستاذي حقه ، فأكلُ جزاءه إلى ربِّ عفوٍ كريم .

أما هدف البحث وغايته :

- فهو تجلية قضية الإخراج من الديار في ضوء القرآن من خلال :
- إيضاح المفهوم القرآني لقضية الإخراج ونظائرها في السياق القرآني .
- إزالة العوائق أمام الباحثين والناظرين لقضية الإخراج في القرآن .
- إظهار الصورة القرآنية واضحة جلية لقضية الإخراج من خلال فهم وتفسير ومتابعة آيات الإخراج ، وأقوال العلماء والمفسرين فيها مع الوصول إلى نتائج واضحة .
- بيان الصورة الواقعية لقضية الإخراج والإحاطة بجوانبها ، ثم ربطها بالقضية القرآنية لتتم معالجتها في ضوء القرآن الكريم.
- الخروج بنظرية قرآنية واقعية جامعة لحسم هذه القضية ، والاستعانة بالله لتكون هذه النظرية مفتاح خير للأمة ، ورؤية مستقبلية هامة في مرحلة خطيرة لحياة الشعب الفلسطيني.

وأسأل الله أن أجمع في بحثي هذا شتات الموضوع ، وأن أقدم دراسة تتصف بالموضوعية مع تحري الحق والخير والصدق ليستفيد منا الباحثون في هذا المجال ، ولنسد فراغاً في المكتبة الإسلامية ، وتحقيقاً لهذا الهدف كان لابد من وضع الخطة التالية لهذا البحث وهي :

التمهيد : واشتمل على مبحثين

المبحث الأول : تعريف الإخراج لغة وشرعاً .

المبحث الثاني : تعريف نظائر الإخراج لغة وشرعاً .

الفصل الأول :

الإخراج في السياق القرآني

ويشمل سبعة مباحث :

المبحث الأول : الإخراج ونظائره بين المكي والمدني

المبحث الثاني : الإخراج بين التمحيص والعقوبة

المبحث الثالث : الإخراج المحمود والإخراج المذموم

- المبحث الرابع : أسباب ودوافع قضية الإخراج
المبحث الخامس : آثار الإخراج ونتائجه
المبحث السادس : حكم عقوبة الإخراج وأحكامها الشرعية
المبحث السابع : موقف المنافقين من قضية الإخراج

الفصل الثانى :

الإخراج من الديار فى حق الأنبياء وأتباعهم فى ضوء القرآن الكريم

ويشمل ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : المخرجون من الأنبياء والرسل السابقين وأتباعهم
المبحث الثانى : جريمة الإخراج فى حق النبي صلى الله عليه وسلم
المبحث الثالث : الهجرة والإخراج فى حياة الصحابة

الفصل الثالث

واقع الإخراج إلى بيت المقدس (فلسطين) كما عرضه التصور القرآنى

ويشمل أربعة مباحث :

- المبحث الأول : بداية خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بيت المقدس (فلسطين)
المبحث الثانى : وقفات مع سورة الإسراء من خلال قضية الإخراج
المبحث الثالث : الفكر الصهيونى القائم على الاستيطان والتهمير
المبحث الرابع : الرؤية التوراتية لليهود فى قضية الإخراج

الفصل الرابع

مواجهة الإخراج من خلال فريضة الجهاد

ويشمل ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الجهاد والمقاومة حق مشروع
المبحث الثانى : مواجهة الإخراج بين النظرية والتطبيق

المبحث الثالث : البشرى للمخرجين بالنصر والتمكين

وسرت على هذه الخطة بتوفيق الله ومعونته ، وكلما تقدمت فى هذا الموضوع اتضحت صورته ، وثبتت أركانه ، وشعرت بأنى أقدم علماً جديداً مفيداً بعد جهد جهيد أسهرت فيه ليلى وأظمأت فيه نهارى ، وشعرت فيه بعناية الله ورعايته وحفظه فله الحمد فى الأولى والآخرة.

وأما مراجعى ومصادر بحثى فقد استعنت بمراجع كثيرة قديمة وحديثة منها ما يتعلق بالموضوع مباشرة ، ومنها ما يتضمن الإشارة فقط ، ولقد أفادنى المشرف فى هذا المجال ووجهنى للمصادر والمراجع فى بحثى هذا سواء كان بإرشادى إليها أو بإعارتى إياها من مكتبته الخاصة ، وقد بلغت مراجعى فى هذه الرسالة ما يقارب مائة مرجع قديم وحديث ، وقمت بفهرسة هذه المراجع ، وألحقت ذلك بقائمة للدوريات تشمل الجرائد والمجلات ، وقد اعتمدت فى ترتيب المصادر والمراجع على حسب أسماء مصنفىها على الأحرف الهجائية . وقد جعلت فهرساً للآيات القرآنية الكريمة مرتبة حسب ترتيب سورها فى المصحف الشريف ، وحسب ترتيب الآيات فى كل سورة من سورهِ ، مشيراً إلى أماكن ورودها فى صفحات الرسالة .

وألحقت ذلك بفهرس للأحاديث النبوية مرتبة على الأحرف الهجائية ، مشيراً كذلك إلى أماكن ورودها فى الرسالة مبيناً حكم العلماء عليها من حيث الصحة والضعف ، وختمت ذلك بفهرس للموضوعات مرتبة حسب ورودها فى الرسالة.

وقد بذلت جهدى فى إعداد هذا البحث بفضل الله وتوفيقه ، فالكمال المطلق لله رب العالمين ، وإن كانت غايتنا أن نسعى إلى الكمال ، فما كان من صواب فمن الله وبتوفيقه ، وما كان من خطأ فأستغفر الله منه .

تمهيد

ويشمل مبحثين وهما :

المبحث الأول : تعريف الإخراج لغة وشرعاً.

المبحث الثاني : تعريف نظائر الإخراج لغة وشرعاً.

المبحث الأول تعريف الإخراج لغة وشرعاً

أولاً : الإخراج لغة :

" أصل الخروج البروز من المقر سواء كان داراً أم بلدأ أم ثوباً ، وسواء كان بنفسه أو بأسبابه الخارجة عنه " (١).

قال تعالى : (... فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ...) (٢) ، وقال : (... فَأَخْرَجَ إِنْكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ) (٣).

والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان نحو قوله تعالى (... أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ) (٤) ، (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ...) (٥) ، (مِنْ قَرَيْبِكُمْ ...) (٦).

" والخروج نقيض الدخول ، يقال: خرج خروجاً ومخرجاً فهو خارج وخروج وخراج ، فقد أخرج به، قال الجوهري : قد يكون المخرج موضع الخروج يقال : خرج مخرجاً حسناً، وهذا مخرجه، وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرج به " (٧).

" وقد يستعمل الخروج في معنى الظهور يقال : (خرجت الشمس من السحاب) أى انكشفت، وقد يستعمل في معنى الانتقال يقال : خرجت من البصرة إلى الكوفة ، وهو عبارة عن الانفصال من مكانه الذى هو فيه إلى مكان قصده ، وذلك المكان تارة يكون قريباً، وتارة يكون بعيداً ، فعلى هذا السفر أحد نوعى الخروج وصفاً ولغة ويقال : (سافر فلان) من غير ذكر الخروج عين السفر، ويقال خرج الرجل من داره " (٨) " ويقال: خرج يخرج خروجاً والخراج بالجسد، والخراج والإتاوة لأنه مال يخرج المعطى " (٩).

١ انظر - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي ج١ - ص٥٧١ - والمفردات في غريب القرآن - أبي القاسم الحسين بن

محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص١٤٥ .

٢ سورة القصص- الآية (٧٩)

٣ سورة الأعراف - الآية (١٣)

٤ سورة المؤمنون - الآية (٣٥)

٥ سورة الأنفال - الآية (٥)

٦ سورة النمل - الآية (٥٦)

٧ لسان العرب - ابن منظور ج٢ - ص١١٢٥

٨ الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبي البقاء أيوب بن موسى السمين الكفوي - ص٤٣٢ .

٩ معجم مقاييس اللغة - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج٢ - ص١٧٥ .

ثانياً : تعريف الإخراج شرعاً :

وقد بحثت في الكتب والمراجع التي هي مظنة التعريف الشرعي وذلك قدر جهدي واستطاعتي فلم أجد تعريفاً شرعياً ، وعليه فإنني ومن خلال المعاني والتعريفات السابقة أجتهد في تعريف شرعي لكلمة الإخراج فأقول : هو (انتقال من مكان إلى مكان أو من دار إلى دار بالنفس اختياراً وبنيّة مشروعة أو بأسباب خارجة عنه قهراً أو قسراً)

المبحث الثاني تعريف نظائر الإخراج لغة وشرعاً

الإخراج له نظائر في كتاب الله ، جاءت في سياق القرآن ، تؤدي نفس المعنى والغرض منها :

" الهجرة ، والبعد ، والطرْد ، والتشريد ، والنفي ، والطرح ". وإليك تعريفها لغة وشرعاً على النحو التالي :

أولاً : تعريف الهجرة لغة وشرعاً

١ - تعريفها لغة :

" عبارة عن الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، ومنه الهجرة من مكة إلى المدينة ، فالهجرة والمهاجرة غلبتا في ذلك وإن كان أصلها مفارقة الغير ومطاركته ، وقيل الهجرة بعد الهجرة النبوية صارت عبارة عن ترك دار الحرب وترك الأخلاق الذميمة والخصال الرذيلة " (١).

" وهاجر القوم من دار إلى دار تركوا الأولى للثانية ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة " (٢).

" والهجر والهجران مفارقة الانسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب " (٣) ، قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ...) (٤) ، (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ ...) (٥) .

" والهجرة هجرتان ، أولاهما هجرة المسلمين في صدر الإسلام إلى الحبشة فراراً من أذى قريش ، وثانيتهما هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قبله وبعده من

^١ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي ج٤، ص٢٨٠

^٢ معجم مقاييس اللغة - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج٦ ص٣٤

^٣ المفردات في غريب القرآن - أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص٥٣٦

^٤ سورة الحشر - الآية (٨)

^٥ سورة النساء - الآية (١٠٠)

مكة إلى المدينة ، فقد كانت الهجرة من فرائض الإسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم " (١).

" قال الأزهرى: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن .
والهجرة والهجرة : الخروج من أرض إلى أرض ، والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وسُمى المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشأوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، لكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر والاسم منه الهجرة " (٢).
"وللهجرة ثلاث استعمالات ، أحدها الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وهو الإستعمال المشهور ، وثانيها ترك المنهيات ، وثالثها الخروج للقتال " (٣).

٢- تعريفها شرعاً :

وبالنظر في كتاب التعريفات، وكتاب القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، فوجدت تعريفاً شرعياً للهجرة وهو (ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام) (٤) ، وقد لاحظت أن هذا التعريف قاصراً عن بيان النية والمقصد من الهجرة ، ولذلك اجتهدت ومن خلال ما سبق في تعريف شرعى أشمل ، فأقول : (الخروج مكرهاً أو مختاراً من دار الكفر لحاقاً بدار الإسلام بنية للحفاظ على الدين، وتكثير لسواد المسلمين)

ثانياً : تعريف بُعد لغة وشرعاً :

١- تعريفه لغة :

والبُعد والبعد قال فيه هو ضد القرب ، قال تعالى: (فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ...) ، (... فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ) (٥) - (٦)

" ويقال بعد يبعُد بعداً ضد قرب يقرب قريباً ، وليس مهماً حد محدود ، ويكون ذلك فى المحسوس ، وهذا الأكثر، والمعقول نحو" الضلال البعيد " (٧). والبعد والبعد الهلاك كقول

^١ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبي البقاء أيوب بن موسى السمين الكوفى - ص ٩٦٦ .

^٢ لسان العرب - ابن منظور - ج ٥ ص ٤٦٦

^٣ روح المعاني - الألوسى - ج ٢ ص ١٠٩

^٤ التعريفات - السيد الشريف الحسن على بن محمد الحسين الجرجاني - ص ٢٥١ - والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً - سعد أبو حبيب ص ٣٦٥

^٥ سورة المؤمنون - الآيات (٤١ ، ٤٤)

^٦ المفردات فى غريب القرآن - أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص ١٥٣ .

^٧ عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي - ج ١ ص ٢٣٥ .

الله تعالى (... كَمَا بَعِدَتْ تَمُودُ) (١) أى هلكت " (٢). " وبعُد الرجل بالضم وبعِد بالكسر بُعِداً وبعِداً فهو بعيد وبعاد عن سيويه أى تباعد ، وجمعها بُعْداء ، ويقال (٣) (وجئنا إلى أرض البعداء) " قال ابن الأثير: هم الأجانب الذين لا قرابة بيننا وبينهم وأحدهم بعيد ، وبعاد مباعدة وبعاداً ، وبعاد الله ما بينهما وبعد ويقراً (... رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا...) (٤) ورجل مبعد: بعيد لأسفار " (٥).

٢- تعريفه شرعاً :

وعند البحث فى الكتب والمراجع التى هى مظنة التعريف الشرعى وذلك قدر جهدى واستطاعتى فلم أجد تعريفاً شرعياً وعليه فإننى ومن خلال المعانى والتعريفات السابقة أجتهد فى تعريف شرعى لكلمة البعد فأقول : " هو التنحية والإخراج إلى ديار بعيدة قسراً أو قهراً ، بقصد عقوبة التهجير والعزل والإهلاك " .

ثالثاً : تعريف الطرد لغة وشرعاً :

١- تعريفه لغة :

" الابعاد مع الازعاج على سبيل الاستخفاف " (٦) ، " و طرده يطرده طرداً وطرداً والطريرد المطرود من الناس ، والطررد الابعاد وكذلك الطردُ : وطردت الرجل إذا نحيتة ، وأطرد الرجل جعله طريداً ونفاه ، قال ابن شميل : أطردت الرجل جعلته طريداً لا يأمن، وفلان أطرده السلطان إذا أمر بإخراجه عن بلده " (٧) ، يقال طردته ومثاله كقوله تعالى : (... وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا...) (٨).

٢ - تعريفه شرعاً :

وبالنظر فى الكتب والمراجع التى هى مظنة التعريف الشرعى ، وذلك قدر جهدى واستطاعتى فلم أجد تعريفاً شرعياً ، وعليه فإننى ومن خلال المعانى والتعريفات السابقة

^١ سورة هود - الآية (٩٥)

^٢ معجم مقاييس اللغة - أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج ١ ص ٢٦٨

^٣ لسان العرب - ابن منظور - ج ١ ص ٣٠٩

^٤ سورة سبأ - الآية (١٩)

^٥ لسان العرب - ابن منظور - ج ٣ ص ٢٦٥١ .

^٦ عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي - ج ٢ ص ٤٥٩ .

^٧ لسان العرب - ابن منظور - ج ٣ ص ٢٦٥١

^٨ سورة الشعراء - الآية (١١٤)

، أجتهد في تعريف شرعى لكلمة الطرد فأقول : (هو الإخراج من الديار قهراً وإيذاءً بلا أمان).

رابعاً : تعريف التشريد لغةً وشرعاً

١ : تعريفه لغةً :

" التشريد الطرد من شرد البعير إذا نفر وذهب فى الأرض " (١) " وشردت فلاناً فى البلاد وشردت به ، أى فعلت به فعلة تشرد غيره أن يفعل فعله " (٢) " وهو يدل على تنفير وإبعاد وعلى نفار وبعد فى انتشار ، وقد يقال للواحد: (... فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ...) " (٣) - (٤) ، " وشرد بهم أى اطردهم من خلفهم طرداً بليغاً ، وذلك إذا فعلت بهؤلاء فعلاً ينزجرون من رآهم، يتشردون ويهربون كل مهرب، أى هم سبب فى تشريد غيرهم ومنه ، نكلت بفلان أى منعت غيره بسببه " (٥).

٢ - تعريفه شرعاً :

و بالبحث فى الكتب والمراجع التى هى مظنة التعريف الشرعى ، وذلك قدر جهدى واستطاعتى فلم أجد تعريفاً شرعياً ، وعليه فإننى ومن خلال المعانى والتعريفات السابقة ، أجتهد فى تعريف شرعى لكلمة التشريد فأقول : (هو الطرد من الديار قصراً بقصد التنكيل عقوبة) .

خامساً : تعريف النفى لغةً وشرعاً

١ : تعريفه لغةً :

^١ لسان العرب- ابن منظور - ج٣ ص ٢٢٣٠

^٢ المفردات فى غريب القرآن - أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص٢٥٨

^٣ سورة الأنفال - الآية (٥٧)

^٤ معجم مقاييس اللغة - أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج٢ ص٢٦٩

^٥ عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي - ج٢ ص٢٩٧

" النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه ونفيت الشيء أنفيه نفيًا وانتفى هو انتفاء " (١) ، "يقال نفيت الرجل نفيته أنفيه نفيًا إذا طردت " (٢) قال تعالى: (... أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ...) (٣) ، " قال بعضهم معناه من قتله قدمه هدر أي لا يطالب قاتله بدمه ، وقيل أو ينفوا من الأرض يقاتلون حيثما توجهوا منها ، لأنه كون وقيل نفيم إذا لم يقتلوا ولم يأخذوا مالا أن يخلدوا في السجن إلا أن يتوبوا قبل أن يقدر عليهم ، ونفى الزانى الذى لم يحصن أن ينفى من بلده الذى هو به إلى بلد آخر سنة ، وهو التغريب ونفاه ينفيه وينفوه نحاه ، فنفاه لازم ومتعدى " (٤).

٢ - تعريفه شرعاً :

وبالإطلاع فى الكتب والمراجع ، التى هى مظنة التعريف الشرعى ، وذلك قدر جهدى واستطاعتى ، فلم أجد تعريفاً شرعياً ، وعليه فإننى أجتهد ومن خلال المعانى والتعريفات السابقة فى تعريف شرعى لكلمة النفى فأقول : هو (الطرد والتتحية من الأرض إلى أرض أخرى عقوبة وتحفظاً من فتنة).

سادساً : تعريف الطرح لغة وشرعاً

١ - تعريفه لغة :

الالقاء والبعد والطروح المكان البعيد ، ويقال : رأيت من طرح أى من بعد (٥) ، والطرح المطروح لقلة الاعتداد به قال تعالى : (... أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً ...) (٦) - (٧)

وقال ابن سيده : طرح بالشىء وطرحه يطرحه طرحاً واطرحه وطرحه رمى به ، ويقال : أطرحة أى أبعده ، وهو افتعله ، والطرَح بالتحريك البعد والمكان البعيد (٨).

٢ - تعريفه شرعاً :

^١ معجم مقاييس اللغة - أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج٥ ص٤٥٦ ، و لسان العرب.ابن منظور -

ج٣ ص ٢٢٣٠

^٢ المفردات فى غريب القرآن - أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص٢٥٨

^٣ سورة المائدة - الآية (٢٣)

^٤ لسان العرب- ابن منظور - ج٥ ص ٥١٢ وانظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى - ج٥ ص ١١٠ .

^٥ عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبي - ج ٢ ص ٤٥٩ .

^٦ سورة يوسف - الآية (٩)

^٧ المفردات فى غريب القرآن - أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني - ص٣٠٢

^٨ معجم مقاييس اللغة - أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ج٣ ص٤٥٥ ، وانظر - لسان العرب .ابن منظور ج٣ ص

وبالإطلاع فى الكتب والمراجع ، التى هى مظنة التعريف الشرعى ، وذلك قدر جهدى واستطاعتى ، فلم أجد تعريفاً شرعياً ، وعليه فإننى أجتهد ومن خلال المعانى والتعريفات السابقة فى تعريف شرعى لكلمة الطرح فأقول : هو (نبذ الشئ وإبعاده على قصد الأزراء).

الفصل الأول

الإخراج فى السياق القرآنى

ويشمل سبعة مباحث :

المبحث الأول : الإخراج ونظائره بين المكى والمدنى

المبحث الثانى : الإخراج بين التمحيص والعقوبة

المبحث الثالث : الإخراج المحمود والإخراج المذموم

المبحث الرابع : أسباب ودوافع قضية الإخراج

المبحث الخامس : آثار الإخراج ونتائجه

المبحث السادس : حكم عقوبة الإخراج وأحكامها الشرعية

المبحث السابع : موقف المنافقين من قضية الإخراج

المبحث الأول

الإخراج ونظائره بين المكي والمدني

ومرادى فى هذا المبحث أن نحصى عدد الآيات التى ورد فيها الإخراج ونظائره فى السياق المكي والمدني لتتضح لنا الصورة الحقيقية التى نزلت فيها الآيات ، وأهم العظات والعبر والدلالات التى تستنبط منها مع فهم قيمة هذا الإحصاء لهذه الآيات ونتائج ذلك .

أولاً : خرج ومشتقاتها بين المكي والمدني

وقد وجدت بعد النظر ورود كلمة خرج ومشتقاتها فى السياق القرآني على النحو التالي: (١)

الكلمة	الآية	السورة	النزول
أخرج	٢٧	الأعراف	
أخرج	٢	الحشر	
أخرجتك	١٣	محمد	
أخرجك	٥	الأنفال	
فأخرجنا	٣٥	الذاريات	
فأخرجناهم	٥٧	الشعراء	
أخرجه	٤٠	التوبة	مكية
فأخرجهما	٣٦	البقرة	مدنية
أخرجوهم	١٩١	البقرة	مدنية والآية نزلت فى طريق المدينة
أخرجوكم	٩	المتحنة	مدنية
لتخرجنا	٥٧	طه	مكية
لتخرجون	١٢٣	الأعراف	مكية

^١ انظر المعجم المفهرس - ألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ٢٧٩ بتصرف.

مدنية

مدنية

مدنية

مدنية	البقرة	٨٤	تخرجون
مكية	الأعراف	٨٨	لنخرجنك
مكية	إبراهيم	١٣	لنخرجنكم
مكية	النمل	٣٧	لنخرجنكم
مكية	طه	٦٣	يخرجاكم
مكية	الأعراف	١١٣	يخرجكم
مدنية	المنافقون	٨	ليخرجن
مكية	طه	١١٧	يخرجنكما
مكية	الإسراء	٧٦	ليخرجوك
مدنية	المتحنة	٨	يخرجوكم
مدنية	المتحنة	١	يخرجون
مدنية	النساء	٧٥	أخرجنا
مكية	الإسراء	٨٠	أخرجني
مكية	النمل	٥٦	اخرجوا
مكية	الأعراف	٨٢	أخرجوهم
مدنية	البقرة	١٩١	أخرجوهم
مدنية	الحشر	١١	أخرجتم
مدنية	البقرة	٢٤٦	أخرجنا
مدنية	آل عمران	١٩٥	أخرجوا
مدنية	الحج	٤٠	أخرجوا
مدنية	التوبة	٤٦	الخروج
مدنية	التوبة	٨٣	للخروج
مدنية	البقرة	٢١٧	إخراج
مدنية	التوبة	١١٣	بإخراج
مدنية	المتحنة	٩	إخراجكم
مكية	الشعراء	١٦٧	مخرجين
مكية	الإسراء	٨٠	مخرج
مدنية	البقرة	٨٥	إخراجهم

ثانياً : هاجر ومشتقاتها بين المكي والمدنى (١)

الكلمة الآية السورة النزول

^١ انظر المعجم المفهرس - ألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ٨٢٢ - بتصريف

مدنية	الحشر	٩	هاجر
مدنية	الأحزاب	٥	هاجرن
مدنية	البقرة	٢١٨	هاجروا
مدنية	آل عمران	١٩٥	هاجروا
مدنية	الأنفال	٧٢	هاجروا
مدنية	الأنفال	٧٤	هاجروا
مدنية	الأنفال	٧٥	هاجروا
مدنية	التوبة	٢٠	هاجروا
مكية	النحل	٤١	هاجروا
مكية	النحل	١١٠	هاجروا
مدنية	الحج	٥٨	هاجروا
مدنية	النساء	٩٧	فتهاجروا
مدنية	النساء	١٠٠	يهاجر
مدنية	النساء	٨٩	يهاجروا
مدنية	الأنفال	٧٢	يهاجروا
مكية	العنكبوت	٢٦	مهاجر
مدنية	النساء	١٠٠	مهاجراً
مدنية	الممتحنة	١٠	مهاجرات
مدنية	التوبة	١٠٠	المهاجرين
مدنية	التوبة	١١٧	المهاجرين
مدنية	النور	٢٢	المهاجرين
مدنية	الأحزاب	٦	المهاجرين
مدنية	الحشر	٨	المهاجرين

ثالثاً : بُعد ومشتقاتها بين المكي والمدني (١)

الكلمة الآية السورة النزول

^١ انظر المعجم المفهرس - ألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - ص ١٥٣ بتصرف

مكية	هود	٩٥	بعداً
مكية	سبأ	١٩	باعد
مكية	الزخرف	٣٨	بعد
مكية	هود	٤٤	بعداً
مكية	هود	٦٠	بعداً
مكية	هود	٦٨	بعداً
مكية	المؤمنون	٤١	فبعداً
مكية	الأنبياء	١٠١	مبعدون
مكية	المؤمنون	٤٤	فبعداً
مكية	هود	٩٥	بعدت

رابعاً : نظائر أخرى بين المكي والمدني

النزول	السورة	الآية	الكلمة
مدنية	الأنفال	٥٧	شرد
مدنية	المائدة	٣٣	ينفوا
مكية	هود	٣٠	طردتهم
مكية	الأنعام	٥٢	تطرد
مكية	الأنعام	٥٢	فتطردهم
مكية	هود	٢٩	بطارد
مكية	الشعراء	١١٤	بطارد
مكية	يوسف	٩	اطرحوه

مجموع الآيات لخرج ونظائرها في خمس آيات ومائة آية ، وقد جاءت في اثنتين وثلاثين سورة ، المكي منها ٤٢ موضعاً ، والمدني منها ٦٠ موضعاً .
وقد وردت الآيات المكية في تسع عشرة سورة وهي :-

الآيات

٧

٧

٣

٣

٢

٢

٢

٣

٢

٢

١

١

١

١

١

١

١

١

١

السورة

الأعراف

هود

الإسراء

طه

القصص

المؤمنون

الأنعام

الشعراء

النحل

النمل

سبأ

الزخرف

الأنبياء

الحجر

العنكبوت

ص

الذاريات

إبراهيم

يوسف

وقد وردت الآيات المدنية في ثلاث عشرة سورة وهي :-

الآيات	السورة
٦	المتحنة
٩	التوبة
٩	البقرة
٨	الأنفال
٩	الحشر
٨	النساء
٨	المائدة
٧	محمد
٣	النور
١	المنافقون
١	الحج
٢	آل عمران
٢	الأحزاب
١	
٢	
٢	
٢	

ملاحظات حول السياق المكي والمدني :

يلاحظ أن السياق المكي ورد فيه لفظ الإخراج ونظائره في اثنين وأربعين موضعاً في تسع عشرة سورة مكية وذلك لأسباب منها :-

١- التهيئة النفسية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لهذا الحدث العظيم ، والذي تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم مع تلقيه خبر البعثة،" فقال له ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال : نعم لم يأْت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي " (١).

٢- يلاحظ أن لفظ الأبعاد ورد في سورة هود خمس مرات ، والطرده مرتين ، قال تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٢)
(وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) (٣)
(...كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) (٤) (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ) (٥)

وهي السورة التي نزلت قبل الهجرة وبعد الإسراء ، دلالة على قرب الأمر واستنفار النفس لهذه المهمة .

٣- يلاحظ في السياق المكي أن الإخراج ومشتقاته أكثر مما ورد في القصص القرآني ، تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموعظة له في الاقتداء بإخوانه الأنبياء وأصحاب

^١ صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - باب من الوحي الرؤيا الصالحة - حديث رقم ٣ ج ١ ص ١٨

^٢ سورة هود - الآية (٤٤)

^٣ سورة هود - الآية (٦٠)

^٤ سورة هود - الآية (٦٨)

^٥ سورة هود - الآية (٩٥)

الرسالات ، كما فى قصة آدم عليه السلام قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (١)

وقال تعالى : (قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَى) (٢) ، وقصة شعيب عليه السلام قوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (٣)

- يلاحظ فى السياق المكى أن لفظ الإخراج جاء أحياناً بصيغة الأمر الإلهى كقوله تعالى : (قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْعُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (٤) أو بصيغة القسم ، كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) (٥) ، دلالة على أن الإخراج دائر بين العقوبة الإلهية والتمحيص والابتلاء .

٥- يلاحظ أن لفظ الهجرة ذكر فى السياق المكى فى سورة النحل مرتين ، دلالة على فضلها وأجرها مقرونة بفضيلة الصبر استعداداً لدار الإيمان ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٦) ، وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٧).

٦- نزلت آية بين مكة والمدينة فى طريق المدينة وهى قوله تعالى : (وكأين من قرية هى أشدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ لَهُمْ) (٨) ، لتدل على أن قضية الإبعاد والإخراج ذكرها القرآن فى مراحل متواصلة فى حياة النبى من مكة إلى المدينة حتى فى الطريق بينهما ، كما يدل على أن قضية الإخراج من القضايا النفسية الخطيرة ، التى يمكن أن تقوض أركان الداعية وتحبطه ، فيأتى السياق القرآنى لتثبيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعجل له البشرى ويثبتته لتحمل هذا التكليف الكبير .

^١ سورة الأعراف - الآية (٢٧)

^٢ سورة طه - الآية (٦٣)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٩)

^٤ سورة الأعراف - الآية (١٨)

^٥ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

^٦ سورة النحل - الآية (٤١)

^٧ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٨ سورة محمد - الآية (١٣)

أما فى السياق المدنى يلاحظ أن لفظ الإخراج ومشتقاته ورد فى سنتين موضعاً فى ثلاث عشرة سورة ، وقد جاءت المواضع فى السياق المدنى أكثر منه فى السياق المكى
لعدة أمور :-

١- السياق المدنى دائم التذكير لقضية الإخراج ، والإبعاد ليحث النفوس على تذكر هذه الحادثة، والتحريض المستمر ، والاستعداد للفتح والعودة إلى الديار، فلا ينبغى أن يشغل المؤمنون عن استرجاع حقهم وأرضهم ، قال تعالى : (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ بِالْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ) (١).

٢- ظهر فى السياق المدنى الحديث عن تجربة الإخراج عند أهل الكتاب ، ووصفهم السياق بمخالفتهم لتعاليم التوراة ، واعتمادهم بهذا الأمر، خلافاً لأوامر شريعتهم ، محذراً من خطورة متابعتهم فى سيرتهم هذه ، والافتداء بهم قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَنُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٢).

٣- التذكير بحرمة الإخراج من الأوطان ، والتركيز على إظهار الحكم الشرعى لهذه القضية والتثديد بها ، قال تعالى : (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ...) (٣).

٤- السياق المدنى يقرر حلول عملية لظاهرة الإخراج بالإذن بالقتال وفريضة الجهاد فى سبيل الله ، قال تعالى : (أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ...) (٤).

٥- السياق المدنى أظهر صورة من صور المنافقين فى تعاملهم مع قضية الإخراج، وأنها أحد السهام التى كانوا يمكرون ويخططون لها، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا

^١ سورة محمد - الآية (٣٥)

^٢ سورة البقرة - الآيتان (٨٤ ، ٨٥)

^٣ سورة البقرة - الآية (٨٥)

^٤ سورة الحج - الآيتان (٣٩ ، ٤٠)

يَقُولُونَ لِلْإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ أُخْرِجَتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا
أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١).

٦- السياق المدني يشرح الأبعاد المترتبة على قضية الإخراج ، والآثار والمشكلات المترتبة عليها نفسياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (٢)

٧- السياق المدني دائم التحريض على مقابلة هذا الإخراج بإخراج حقيقي للعدو المتسبب في أصل مسألة الإخراج قال تعالى: (وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ...) (٣)
٨- ظهر لفظ النفي في سورة مدنية وهو أحد نظائر الإخراج في سياق العقوبة، ليدل على أن المدينة استقر فيها المنهج، ورسمت فيها الحدود والأحكام ، وأن النفي حد من حدود الشرع الحنيف أفره حماية للأمة .

٩- لوحظ أن لفظ الهجرة تكرر في السياق القرآني مرتبطاً بضرورة التضامن مع المهاجرين ، والقيام بالواجب الشرعي تجاههم ، وتقديم ما يمليه التكليف الشرعي في حقهم
١٠- سمى النص القرآني الهجرة والإخراج نصراً للمؤمنين وللنبي صلى الله عليه وسلم، يؤكد على أن قضية الهجرة والإخراج ليست هزيمة أو انتكاسة، قال تعالى: (إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ...) (٤) ، أوحى الآية بروح الأمل التي يحملها السياق القرآني .

١١- يلاحظ أن السياق المدني اعتمد مبدأ الإخراج والتشريد للعدو ، باعتباره مظهراً من مظاهر قوة الإسلام ، ودعماً للحق الذي يحملونه ، قال تعالى : (فَأِمَّا تَنْقَضْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ...) (٥).

^١ سورة الحشر - الآية (١١)

^٢ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

^٣ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٤ سورة التوبة - الآية (٤٠)

^٥ سورة الأنفال - الآية (٥٧)

المبحث الثاني

الإخراج بين التمحيص والعقوبة

إن الناظر في آيات الله التي تحدثت عن الإخراج يجد أن الآيات توضح سنه من سنن الله في إبتلاء عباده المؤمنين ومعاقبة المخالفين وجدت من ضروريات معرفه ذلك أن أتكلم في مبحثي هذا عن هذه السنة على الوجه التالي :

المطلب الأول : إخراج الإبتلاء والتمحيص

أولاً : عظم الإبتلاء والتمحيص

ذكر القرآن الإبتلاء والتمحيص بالإخراج ، على أنه أمر من الأمور الجليلة العظيمة ، بل جعلها القرآن من أكبر الكبائر والذنوب والجرائم دونها القتال في الأشهر الحرم ، ولقد عبر السياق القرآني عن ذلك ، في شرح قضية هامة وحادثة خطيرة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين ذلك من خلال ما ذكره في قوله تعالى " (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) .

^١ سورة البقرة - الآية (٢١٧)

" و قيل فى أسباب نزول هذه الآية ، إنها نزلت فى قصة عمرو بن الحضرمى ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله ابن جحش الأسدى (٢) مقدمة من بدر الأولى ، فلقوا عمرو بن الحضرمي ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل المخزوميان والحكم به كيسان ، فى آخر يوم من رجب على ما ذكر ابن اسحاق ، وفى آخر يوم من جمادى الآخرة على ما ذكره الطبرى عن السدى وغيره ، والأول أشهر ، على أن ابن عباس قد ورد عنه ذلك كان فى أول ليلة من رجب ، والمسلمون يظنونها من جمادى ، وأن القتل فى الشهر الحرام لم يقصدوه ، وأما على قول ابن اسحاق فانهم قالوا إن تركناهم اليوم دخلوا الحرم ، فأزمعوا قتالهم ، فرمى واقد ابن عبد الله عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، وأسر عثمان بن عبد الله والحكم ، وفرّ نوفل فأعجزهم ، واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوف فوتهم ، فقالت قريش محمد قد استحل الأشهر الحرم وعيروا بذلك ، وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال ما أمرتكم بقتال فى الأشهر الحرم ، فنزلت هذه الآية ومعنى الآية على قول الجمهور ، إنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال فى الشهر الحرام ، وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله ، لمن أراد الإسلام من كفركم بالله وإخراجكم أهل المسجد عنه ، كما فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر جرماً عند الله " (١)

ويتضح من السياق القرآنى أن جريمة الإخراج تقرن مع جرائم خطيرة ، تقشعر منها الجلود وتشيب منها نواصى الولدان ، فالألفاظ الواردة فى الآيات تقع فى النفس موقعها ، من مثل قوله صد وكفر وأكبر ، " وإن كان القتال فى الأشهر الحرم كبيرة ، إلا أن إخراج الموحدين من أرضهم وبلادهم وصدّهم عن سبيل الله ، لا تعادله كبيرة والظاهر المتبادر أن إثبات كون القتال فى الشهر الحرام كبيراً ، تمهيداً للحجة على أن ما فعله عبد الله بن جحش ، وما عساه يفعله المسلمون من القتال فيه ، مبنى على قاعدة لا ينكرها عقل ، وهى وجوب ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بد من أحدهما ، ولا شك أن القتال فى نفسه أمر كبير ، وجرم عظيم ، وإنما يرتكب لإزالة ما هو أعظم منه وذلك قوله تعالى : " وصد عن سبيل الله " أى وصد الناس ومنعهم عن الطريق الموصل إليه تعالى وهو الإسلام ، وهو الذى يفعله المشركون من اضطهاد المسلمين وفتنهم عن دينهم ، إذ يقتلون من يسلمون أو يؤذونه ، فى نفسه وأهله وماله ، ويمنعونه من الهجرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم "

٢ عبد الله بن جحش الأسدي أحو زينب أم المؤمنين عن سعد أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد ألا تأتى فنخلوا فندعوا فخلينا فدعا سعد فأرأته آخر النهار

وأفنه وأذنه لمعلقة فى حيط - أنظر التاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٣٨٧ .

١ الخمر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ج ١ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

وكفر به " أى بالله تعالى " والمسجد الحرام " أى وصد عن المسجد الحرام ، وهو منع المؤمنين من الحج والاعتماد " وإخراج أهله منه " وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين، وذلك كقوله فى آيات الإذن بالقتال فى سورة الحج : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...) (١) ، كل واحدة من هذه الجرائم التى عليها المشركون " أكبر عند الله " من القتال فى الشهر الحرام فكيف بها وقد اجتمعت " (٢).

إن الإسلام جاء فى مواقفه التربوية والتشريعية ، متكاملاً شاملاً يخاطب النفس الواقع ، ويذكر الأستاذ سيد قطب حول هذه الآية أقوالاً يوضح موقف المسلمين فى القتال حيث يقول : " إن المسلمين لم يبدأوا القتال ، ولم يبدأوا العدوان ، إنما المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام ، لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله ، ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون ، ولقد كفروا بالمسجد الحرام انتهكوا حرمة فأذوا المسلمين فيه ، وفتنواهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة ، وأخرجوا أهله منه ، وهو الحرم الذى جعله الله آمناً ، فلم يأخذوا بحرمة ولم يحترموا قدسيته، " وإخراج أهله منه أكبر عند الله "، من القتال فى الشهر الحرام ، وفتنة الناس عن دينهم ، أكبر عند الله من القتل، وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين، فسقطت حجتهم فى التحرز بحرمة البيت الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، ووضح موقف المسلمين ، فى دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات الذين يتخذون منها ستاراً ، حين يريدون وينتهكون قداستها ، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم إن وجدوهم لأنهم عادون باغون أشرار ، لا يرقبون حرمة ، ولا يتخرجون أمام قداسة ، وكان على المسلمين ، ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التى لا احترام لها فى نفوسهم ولا قداسة " (٣) ، ثم يضيف حول هذا المفهوم مبيناً طبيعة التعامل مع أولئك الذين يدوسون على القيم والحقوق ، فيقول : " إن الإسلام منهج واقعى للحياة، لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية، إنه يواجه الحياة البشرية كما هى بعوائقها وجوانبها وملابساتها الواقعية، ليقودها إلى قيادة واقعية إلى السير وإلى الارتقاء فى آن واحد ، يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعياتها ، ولا تترفرف فى خيال حالم ورؤى مجنحة لا تجدى على واقع الحياة شيئاً، هؤلاء طغاة بغاة، لا يقيمون للمقدسات وزناً، ولا يتخرجون أمام المحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة ، يقفون دون الحق فيصدون

^١ سورة الحج - الأيتان (٣٩-٤٠)

^٢ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ٢ ص ٣١٦

^٣ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ ص ٣٢٩

الناس عنه، ويفتتون المؤمنين ويؤذونهم أشد الإيذاء ، ويخرجونهم من البلد الحرام ، الذى يأمن فيه كل حى حتى الهوام ، ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام ، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات ويرفعون به أصواتهم، انظروا هاهو ذا محمد ومن معه، ينتهكون حرمة الشهر الحرام .

إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد فى هذا المبدأ ويصونه ، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس، لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون الصالحين، ويفتتون المؤمنين ، ويرتكبون كل منكر ، وهم فى منجاة من القصاص ، تحت ستار الحرمات التى يجب أن تصان .

وهذا هو القرآن يقف بالمسلمين على أرض صلبة، لا تتأرجح فيها أقدامهم ، وهم يمضون فى سبيل الله ، لتطهير الأرض من الشر والفساد ، ولا يدع ضمائرهم قلقة متحرجة، تأكلها الهواجس، وتؤذيها الوسوس، هذا شر وفساد وبغى وباطل ، فلا حرمة له إذن ، ولا يجوز أن يتترس بالحرمات ليضرب من ورائها الحرمات، وعلى المسلمين أن يمضوا فى طريقهم، فى يقين وثقة فى سلام مع ضمائرهم ، وفى سلام مع الله " (١).

ثانياً : الإبتلاء بالإخراج سنة ربانية

أفاض القرآن فى حديثه عن الإبتلاء والتمحيص ، وقد وردت فى ذلك آيات قال تعالى: (الم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) (٢) ، وقال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (٣).

والإبتلاء بالإخراج من السنن الربانية ، وقد ساوى القرآن بينها وبين قتل النفس قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْخُرْجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا) (٤) ، ولننظر إلى القرآن وهو يتحدث عن هذه السنة فى سورة إبراهيم ، قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج١ - ص ٣٣٠

^٢ سورة العنكبوت - الأيتان (٢ ، ١)

^٣ سورة تبارك - الآية (٢ ، ١)

^٤ سورة النساء - الآية (٦٦)

أَرْضَنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١) ، و قال تعالى:
(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (٢).

" وحين يعجز القوم عن مجادلة الرسل ، وإدارة الحوار والقناعة بالوحي الكريم ، ولا يجدوا وسيلة لهم بعد أن يفحموا ليس لهم سبيل إلا استعمال القوة مع أنبيائهم ، كما هو دأب المحجوج المغلوب في الخصومة ، فخيروا رسلهم بين أحد أمرين ، إما الخروج من الديار ، وإما العودة إلى الملة التي عليها الآباء والأجداد ، فقالوا لهم لنخرجنكم من بلادنا مطرودين منها ، إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به : (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا) (٣) وكما قال قوم لوط : (... أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (٤) ، وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) (٥)

إما إخراجكم وإما صيرورتكم في ملتنا ملة الآباء والأجداد، وهي عبادة الآلهة والأوثان ، وقد مكن لهم في ذلك أنهم كانوا كثرة ، وكان أهل الحق قلة ، كما جرت بذلك العادة ، في كل زمان ومكان ، فإن الظلمة يكونون متعاونين متعاضدين، ومن ثم استطاعوا أن يبرموا هذا الحكم بلا هوادة ولا رفق ، كما هو شأن المعتز بقوته الذي لا يخشى اعتراضاً ولا خلافاً .
والأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا في ملتهم ، ولم يعبدوا الأصنام طيلة حياتهم لكنهم لما نشأوا بين ظهرانيهم ، وكانوا من أهل تلك البلاد ، ولم يظهروا في أول أمرهم مخالفة لهم ، ظنوا أنهم كانوا على دينهم ، وفي ذلك تهديد ووعيد للمشركين من قريش على كفرهم وجرأتهم على نبيه ، وتثبيت لنبيه وأمر له بالصبر على ما يلقي من المكروه ، كما صبر من كان قبله من الرسل ، وبيان لأن عاقبة من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم، قال تعالى: "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً" (٦)، وقال تعالى : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) (٧) ، وقال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) " (٨) - (١) ، والقرآن يحدد لنا طبيعة هذا

^١ سورة ابراهيم - الآية (١٣)

^٢ سورة محمد - الآية (١٣)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٨٨)

^٤ سورة النمل - الآية (٥٦)

^٥ سورة الاسراء - الآية (٧٦)

^٦ سورة فاطر - الآية (٤٧)

^٧ سورة الصافات - الأيتان (١٧١ ، ١٧٢)

^٨ سورة المجادلة - الآية (٢١)

الصراع مع الباطل ، فى أنه لا يجب أن يرى صورة للحق مجتمعة ومتعاضدة ، ومن ثم فهو يصدر قراره الجائر والظالم، لمحاولة إخراج المؤمنين أو منعهم عن دينهم ، هذا ما يجب أن يفهمه الدعاة ، أن هذا الدين يصنع رجاله بهذه الامتحانات والبلاءات ، " هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام وبين الجاهلية ، أن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها ، ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها ، وهى لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها فالإسلام لا بد أن يبدو فى صورة تجمع حركى مستقل ، بقيادة مستقلة وولاء مستقل ، وهذا ما لا تطيقه الجاهلية ، لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلمهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم ، ولكن يطلبون منهم أن يعودوا فى ملتهم ، وأن يندمجوا فى تجمعهم الجاهلى ، وأن يذوبوا فى مجتمعهم فلا يبقى لهم كيان مستقل ، وهذا ما تأباه طبيعة هذا الدين لأهله وما يرفضه الرسل ويأبونه ، فما ينبغى لمسلم أن يندمج فى التجمع الجاهلى مرة أخرى . وعندما تسفر القوة الغاشمة عن وجهها الصلد ، لا يبقى مجال لدعوة ، ولا يبقى مجال لحجة ولا يسلم الله الرسل إلى الجاهلية " (٢) ، وقوله تعالى : " وقال الذين كفروا " (قيل لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين فى الكفر من أولئك الأمم الكافرة التى نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم ، كقوم شعيب وأضرابهم ، ولذلك لم يقل وقالوا " لرسلمهم لنخرجكم " وجوز أن يكون المراد بهم أهل الحل والعقد ، الذين لهم قدرة على الإخراج والإدخال " (٣).

ويكثر السياق القرآنى من ذكر هذا الإخراج بنظائره ومعانيه تذكيراً للنفس المؤمنة بأنه لا بد واقع ، وأن سنة الله فى ابتلاء المؤمنين ثابتة لا تتغير ، وأن المؤمنين لن يتم لهم الإمامة والثبات فى الأرض والتمكين ، إلا بعد أن يمحسوا ، ويجربوا بهذا الابتلاء ، حتى تعرف الأمة قيمة هذا النصر وهذا التمكين ، إذ العطايا لا تأتى إلا على ظهر البلايا ، قال تعالى :

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (٤)

" أى وكثير من الأمم التى كان أهلها أشد بأساً ، وأكثر جمعاً ، وأعد عدداً من أهل مكة ، الذين أخرجوك أهلكناهم بأنواع العذاب ، ولم يجدوا ناصراً ولا معيناً يدفع عنهم بأسنا وعذابنا ، فاصبر كماصبر قبلك أولوا العزم من الرسل ، ولا تبخع نفسك عليهم حسرات ، فإله مظهرك

^١ تفسير المراعى - أحمد مصطفى المراعى - ج ٥ ص ١٣٨

^٢ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ ص ١٤٥

^٣ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الأوسى - ج ٥ ص ١٩٩

^٤ سورة محمد - الآية (١٣)

عليهم ومهلكهم كما أهلك من قبلهم إن لم ينيبوا إلى ربهم ويتوبوا إلى رشدهم ، وغير خاف ما فى هذا من التهديد والشديد والوعيد الأكيد لأهل مكة " (١).

" وقد ذكر الإمام الترمذى هذه اللحظة الحاسمة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أخرج بسنده عن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزورة - التل الصغير - " فقال والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت " (٢).

" وهى آية يروى أنها نزلت فى الطريق بين مكة والمدينة فى أثناء رحلة الخروج والهجرة، تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتسرية عنه، وتهويناً من شأن المشركين الجبارين الذين وقفوا فى وجه الدعوة، وآذوا أصحابها حتى هاجروا من أرضهم وأموالهم فراراً بعقيدتهم (٣) ، وهنا مشهد آخر من كتاب الله نقف مع سورة الإسراء وهى التى كانت قريبة عهد بالهجرة، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) (٤) ، أى ولقد كاد أهل مكة يزعمونك ويستخفونك بعداوتهم ومكرهم من الأرض التى أنت فيها ليخرجوك منها بما فعلوه من حصرك والتضييق عليك، وقد وقع ذلك بعد نزول الآية، وصار ذلك سبباً لخروجه صلى الله عليه وسلم " وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً " أى ولو استفزوك فخرجت لا يبقون بعدك إلا زمناً قليلاً ، وفى هذا وعيد لهم بإهلاكهم بعد خروجه بقليل ، وقد تحقق ذلك بإفناء صناديد قريش فى وقعة بدر لثمانية عشر سنة من ذلك التاريخ ، أى هكذا عادتنا فى الذين كفروا برسولنا، وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم ، أن يأتيهم العذاب ، ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النعمة ما لا قبل لهم به ، حيث قال الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (٥) ، " ولن تجد لسننتنا تحويلاً " أى إن ما أجرى الله به العادة لا يتسنى لأحد سواه أن يغيره ولا يحوله " (٦) وهكذا يعلم المؤمن الطريق الذى يسلكه ، ويطمئن إلى قدر الله وموعود الله وسنة الله التى لا تتخلف وأن دائرة المكر الذى تمارسه الجاهلية فى حقه مردود عليها ، قال الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٧).

^١ تفسير المراعى - أحمد مصطفى المراعى - ج ٩ ص ٥٥-٥٦ - بتصرف

^٢ سنن الترمذى - كتاب المناقب - باب فى فضل مكة رقم ٦٩ حديث رقم ٣٩٢٥ ص ٨٨٠ تحقيق الألبان وقال عنه : صحيح

^٣ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٧ ص ٤٥٦

^٤ سورة الإسراء - الآية (٧٦)

^٥ سورة الأنفال - الآية (٣٠)

^٦ تفسير المراعى - أحمد مصطفى المراعى - ج ٥ ص ٨١

^٧ سورة الأنفال - الآية (٣٠)

والذى يجب أن يثبت عليه المؤمن وأن يستقر به فؤاده السنة الثابتة الجارية لله سبحانه وتعالى فى ملكه وملكوته ، " ولقد جعل الله فى هذه سنة جارية لا تتحول، لأن إخراج الرسل كبيرة تستحق التأديب الحاسم، وهذا الكون تصرفه سنن مطردة لا تتحول أمام اعتبار فردى ، وليست المصادفات العابرة هى السائدة فى هذا الكون ، إنما هى السنن المطردة الثابتة ، فلما لم يرد الله أن يأخذ قريشاً بعذاب الإبادة كما أخذ المكذبين من قبل لحكمة علوية ، لم يرسل الرسول بالخوارق، ولم يقدر أن يخرجوه عنوة ، بل أوحى إليه بالهجرة ومضت سنة الله فى طريقها لا تتحول " (١).

ثالثاً : ابتلاء الأنبياء وأتباعهم

أظهر القرآن من خلال الحديث عن دعوة الأنبياء إلى أقوامهم صورة من هذه الابتلاءات والمعاناة التى تعرضوا لها هم وأتباعهم، فما من نبي إلا وفكر القوم فى التشنيع عليه ، والنيل منه جسدياً ومعنوياً ، فتارة بالضرب، وأخرى بالرجم ، وثالثة بالصد والتكذيب ، ورابعة بالإخراج ، وهكذا ولربما يقف الناظر فى كتاب الله ، وهو يتلوه فيجد الآيات واضحة صريحة فى عظيم هذا البلاء ، وكيف لا والأنبياء هم أشد الناس بلاء ، وهذا نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام تعرض للإبتلاء وذلك فى قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (٢)، وكذلك كانت سنة الله فى نبيه نوح عليه الصلاة والسلام الذى هدد بالرجم حيث قال الله تعالى : (قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَه يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) (٣) ومن بعده جاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، الذى عانى من قومه ما عانى من ملاحقات وتضييق حتى رموا به فى النار ولم يجد أمامه إلا أرض الشام قال تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...) (٤) قال الحسن : ابتلاء بالهجرة إلى الشام (٥) ، وقد ابتلاه الله بإبعاد ولده اسماعيل وزوجته هاجر بواد غير ذى زرع عند البيت الحرام ، وقد آمن لوط عليه الصلاة والسلام وهاجر معه قال تعالى : (فَاَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٦) ، وقال الامام ابن كثير وقوله تعالى : " وقال إني مهاجر إلى ربي " يحتمل عود الضمير فى قوله " وقال إني مهاجر " على لوط عليه السلام لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عودته إلى ابراهيم ، قال ابن عباس والضحاك وهو المكنى عنه بقوله تعالى : (فَاَمَّنَ لَهُ لُوطٌ...) أى من قومه (٧) ، وهذا نبي الله

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ ص ٣٥٣

^٢ سورة الأعراف - الآية (٢٧)

^٣ سورة الشعراء - الآية (١١٦)

^٤ سورة البقرة - الآية (١٢٤)

^٥ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ١ ص ١٦٦

^٦ سورة العنكبوت - الآية (٢٦)

^٧ انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٣ ص ٤١٧

شعيب عليه الصلاة والسلام يتوعدده قومه فيما ذكره القرآن قال الله تعالى (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرُوا مِنْهُ) (١) ، وهذا نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام يحسده إخوته ، فلا يروا طريقاً أمامهم للتخلص منه إلا أن يخرجوه إلى أرض بعيدة طرْحاً وقسراً قال الله تعالى : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (٢) ، وهذا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام يتعرض للمؤامرة بالقتل ، فيحمل إليه جندي مجهول نصيحة بما يحدث ويوصيه بالخروج قائلاً وذلك في قوله تعالى : (...إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (٣)

ولم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعيداً عن هذه السنة، بل وضح القرآن فى أكثر من موقف هذا الحدث الخطير، قال تعالى: (وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (٤) ، وقال تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...) (٥) ، وقال تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٦). تلك سنة ثابتة من سنن الله فى أنبيائه ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ) (٧).

وكما يكون الأنبياء تجرى سنة الله فى حق الإتياع ، حيث طلب قوم نوح من نبيهم أن يطرد المؤمنين ويبعدهم فذكر القرآن هذه الكبيرة فى أكثر من موضع قال تعالى: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ) (٨).

وجاءت السنة القرآنية لتوضح الأمر لأتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بصفتهم الأمة الواحدة للأمة السابقة ، وأنها ستعرض إلى الفتن والامتحانات التى تعرضت لها الأمم السابقة، فذكر القرآن أن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ملاصقاً لاسمه فى قضية

^١ سورة الأعراف - الآية (٨٨)

^٢ سورة يوسف - الآية (٩)

^٣ سورة القصص - الآية (٢٠)

^٤ سورة محمد - الآية (١٣)

^٥ سورة التوبة - الآية (٤٠)

^٦ سورة الأنفال - الآية (٣٠)

^٧ سورة الأنعام - الآية (٣٤)

^٨ سورة الشعراء - الآية (١١٤)

الإخراج ، ليقول لهم : أنتم خير خلف لخير سلف وإن ما أصابكم هو ما أصاب النبي ذاته ، قال تعالى : (... يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ...) (١) .
وقد واسبى القرآن هؤلاء الأتباع بأن إخراجهم ظلم بغير حق قال الله تعالى : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (٢) .

بل إن حادثة الهجرة لم تكن إلا مرحلة من مراحل هذا الابتلاء والفتنة التي تعرض لها المؤمنون قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (٣) ، وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٤) .

ولذلك جاء القرآن ناصحاً وأمرأً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يتأفف ويتلطف بأهل البلاء، هؤلاء المطرودين المبعدين ، محذراً ومخوفاً إياهم من عاقبة ذلك قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...) (٥) .

والسياق القرآني يوضح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الطريق إلى الله لا يخلو من عقبات ، وأن الإخراج من الديار لا يتوقف على مطالبة المشركين وحدهم ، بل إن مجرمين آخرين فى الساحة هم المنافقون، الذين لم يألوا جهداً فى تهديد المؤمنين بالإخراج ، قال تعالى : (... لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...) (٦) .

ولقد تعاون هؤلاء المجرمون مع كفار قريش ، وتظاهروا على إخراج الموحدين من المدينة ، لتبقى دائرة التمحيص متواصلة ومتلاحقة فى حياة المؤمنين .

رابعاً : استشعار الجزاء بعظم البلاء

وإن كان الإخراج من الديار بلاء عظيم من الله ، فإن الآيات القرآنية حملت البشرى للمؤمنين فى إفراغ السكينة على قلوبهم وتثبيتهم على هذه المحنة ، ورسم طريق الأمل أمامهم فى عودة قريبة أكيدة للديار .

^١ سورة الممتحنة - الآية (١)

^٢ سورة الحج - الأيتان (٣٩ - ٤٠)

^٣ سورة النحل - الآية (٤١)

^٤ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٥ سورة الأنعام - الآية (٥٢)

^٦ سورة المنافقون - الآية (٨)

وأول هذه المعانى الحية التى رسمت مع هذا الابتلاء، ربط قضية الإخراج بالنية، وسلامة الطوية، والقصد الطيب لهؤلاء المخرجين ، قال الله تعالى: (...إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي...). (١) فهو خروج للجهاد وفى سبيل الله وتحقيقاً لنيل مرضاة الله. كما أن الإخراج وإن بدا فى صورة الاضطهاد والتشريد والتخويف إلا أن القرآن رسم صورة أخرى تبعث فى النفس صدى عظيم لهذا الابتلاء ، وهو أن القرآن سماه الإخراج نصراً فقال تعالى : (إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...) (٢) إذ معية الله مع المخرج، وتأييده له ونصرته ثابتة، ومعيته حاضرة، وهو على كل شىء قدير . وقد يعجل الله للمؤمنين الظفر بأعدائهم أو يرونهم هلكى حين تسول لهم أنفسهم أن يفتروا بالمشركين، أو يخرجونهم من ديارهم بغير حق، قال تعالى: (فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا) (٣) فبمجرد إرادة فرعون إخراج الموحدين لم تتحقق له إرادته ، بل سارع قدر الله العاجل إلى إغراقه وإهلاكه . وأى شىء أعظم من رحمة الله يبشر بها هؤلاء المخرجين والمجاهدين والمهاجرين فى سبيل الله، والقرآن يحمل لهم هذه البشارة واضحة نيرة ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٤) ، وأى شىء أعظم من جنة عرضها السماوات والأرض ، تكفر فيها السيئات وتغفر فيها الزلات، ولا يضيع أجر هؤلاء المهاجرين عند الله ، حيث قال تعالى : (...فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (٥).

وحسنة الدنيا وحسنة الآخرة فى طريق المخرجين ، ولذلك قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (٦) ، وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٧).

^١ سورة الممتحنة - الآية (١)

^٢ سورة التوبة - الآية (٤٠)

^٣ سورة الإسراء - الآية (١٠٣)

^٤ سورة البقرة - الآية (٢١٨)

^٥ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

^٦ النحل - الآية (٤١)

^٧ النحل - الآية (١١٠)

كما أن السعة والخير في طريق المخرجين حيث قال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (١) .

وأى فضل أعظم لأولئك المهاجرين الذين قرن الله توبته عليهم بتوبته على نبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى : (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (٢) .

المطلب الثاني : إخراج العقوبة

أولاً : العقوبة الأولى

يذكر القرآن أن العقوبة الأولى التي عوقب بها إبليس ، هي الإخراج والطرده من رحمة الله تعالى عقوبة له منه لتكبره على أمر الله بعدم السجود لآدم ، وقد سجل القرآن الكريم هذا الحكم الخالد في آيات بينات قال تعالى : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (٣) ، وقال تعالى : (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلْنَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (٤) ، وقال تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (٥) ، وقال تعالى : (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) (٦) .

^١ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٢ سورة التوبة - الآية (١١٧)

^٣ سورة الأعراف - الآية (١٣)

^٤ سورة الأعراف - الآية (١٨)

^٥ سورة الحجر - الآيات (٣٤ ، ٣٥)

^٦ سورة ص - الآية (٧٧)

وإبليس من أول العصاة الذين عوقبوا بالإخراج من الديار ، والطرده من جنة الله ، إذ يذكر القرآن الكريم قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (١). و يلاحظ أن هذه العقوبة حلت بإبليس جزاءً وفاقاً وحكماً عدلاً ، فقد تردى بلباس الكبر ، جاء في قوله تعالى : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (٢) " والفاء لترتيب الأمر بالهبوط على مخالفته للأمر ، أى إهبط من السماء التى هى محل المطيعين من الملائكة الذين لا يعصون الله فيما أمرهم إلى الأرض التى هى مقر من يعصى ويطيع ، فإن السماء لا تصلح لمن يتكبر ويعصى أمر ربه مثلك ولهذا قال : " فما يكون لك أن تتكبر فيها " فاخرج لتأكيد الأمر بالهبوط، وجملة (إنك من الصاغرين) تعليل للأمر : أى إنك من أهل الصغار والهوان على الله وعلى صالحى عباده وهكذا، كل من تردى برداء الإستكبار عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع ألبسه الله رداء الترفع " (٣).

والآيات القرآنية ترسم الصورة الحقيقية لهذه العقوبة ، مصحوبة بما يدل على ذلك من الألفاظ القرآنية وتأمل معى قول الله تعالى : (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين)، أى اخرج من الجنة إنك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة .

وانظر قوله تعالى: (قال اخرج منها مذعوماً مدحوراً) أى اخرج من الجنة مذعوماً مدحوراً، يقول معيباً والمدحور أى المقصى، ويقال اخرج منها لعينا منفياء، ويقال مذعوماً ممقوتاً ويقول صغيراً منفيماً مطروداً " (٤) وانظر قوله: (فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) والرجيم المرجوم وهو المشتموم ، والرجيم الملعون ، والرجم فى القرآن الشتم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السماوات ، وطرده عنها إلى يوم المجازاة وذلك يوم القيامة (٥) ، ويلاحظ من الآيات السابقة أن العقوبة بالطرده والإخراج كانت مصحوبة باللعن المستمر والمتواصل إلى يوم الدين ، والسخط

^١ سورة الكهف - الآية (٥٠)

^٢ سورة الأعراف - الآية (١٣)

^٣ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن على الشوكاني - ج ٢ ص ١٩٢

^٤ انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن - أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ج ٥ ص ١٠٣

^٥ انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن - أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - ج ٧ ص ٢٢

والغضب من الله على إبليس مع ما لزمه ذلك من الحقارة والمذلة والصغار، والهوان في حقه واللعنة الدائمة. (١)

إبتلاء آدم :

وآدم أكرمه الله بسكن الجنة والأكل منها قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (٢) ، إلا أن آدم و زوجته لم يسلما من أذى الحاسد الرجيم إبليس ، الذى ظل يوسوس لهما بمخالفة أمر الله بأكل الشجرة ، فوقعت من آدم المخالفة بطريقة الهفا والخطأ ، قال الإمام الطبرى " اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامتهم فأزلهما بتشديد اللام بمعنى استزلهما من قولك زل الرجل فى دينه إذا هفا فيه ، وأخطأ فأتى ما ليس له اتيانه فيه و أزله غيره إذا سبب له ما يزل من أجله فى دينه أو دنياه ، ولذلك أضاف الله تعالى ذكره إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة فقال فأخرجهما يعنى إبليس مما كانا فيه لأنه كان الذى سبب لهما الخطيئة التى عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة " (٣) ، وقد سارع آدم عليه السلام إلى التوبة والأوبة والندم والإستغفار والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى مستشعرا بهول المعصية والذنب الذى اقترفه، قال تعالى: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (٤)

(قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٥) وهكذا لما كانت المعصية يعقبها الندم كان يرجى لها القبول والتوبة فى حق آدم خلافا لإبليس الذى أتبع معصيته الكبر فحق به من الله الجزاء ما يستحق ، " وفى قصة آدم وعقوبته بالإخراج وتلقى التوبة من الله دروس وعبر ، إن أبرز إichاءات قصة آدم كما وردت فى هذا الموضوع هو القيمة الكبرى التى يعطيها التصور الإسلامى للإنسان ولدوره فى الأرض ، ولمكانه فى نظام الوجود وللقيم التى يوزن بها ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله وحقيقة هذا العهد الذى قامت خلافته على أساسه ، وأول اعتبار من هذه الإعتبارات وأن الإنسان سيد هذه الأرض ، ومن أجله خلق كل شئ فيها ، فهو إذن أعز وأكرم وأعلى من كل شئ مادي ، لا يجوز أن يعتدى على أى مقوم من مقومات انسانيته الكريمة " (٦).

^١ المرجع السابق - ج ١ ص ١٨٦

^٢ سورة البقرة - الآية (٣٥)

^٣ جامع البيان فى تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى - ج ١ ص ١٨٦

^٤ سورة البقرة - الآية (٢٧)

^٥ سورة الأعراف - الآية (٢٣)

^٦ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ ص ٧١-٧٢ - بتصرف

" والحديث فى حق نبى الله آدم عليه السلام فى ظل هذه العقوبة بعد المعصية ، مما ينبغى التحفظ فيه عن مجارة النفس فى هذا الحديث إذ الأنبياء معصومون ، وأما مسألة عصمة آدم فالجرب على طريقة السلف .

يذهب بنا إلى أن العصيان والتوبة من التشابه كسائر ما ورد فى القصة، مما لا يركن العقل إلى ظاهره ولنا أن نقول إن تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه : (...فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (١) والإتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة ، وقد يكون الذى وقع من آدم نسياناً فسمى تفخيماً لأمره عصياناً والنسيان والسهو مما لا ينافى العصمة " .(٢) والقرآن دائم التذكير بهذه العقوبة لهذه الذرية تذكيراً لهم بالعقوبة الأولى وتحفيزاً لهم على اجتيازها، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (٣)

" وفرق بين الخطأ والخطيئة ، فالخطأ يصوب ، ولكن الخطيئة يعاقب عليها ، وآدم أخطأ وصوب الله له وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، إذن لا توجد له خطيئة بعد أن علمه الله التوبة ، وتاب إلى الله " (٤)

ثانياً : تعجيل العقوبة :

إن الحديث عن عقوبة الإخراج حديث فيه غصة وألم وهذا الألم أكثر ما يكون متوارداً فى سرعته وتعجيله قال تعالى : (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (٥) ، " فالشقاء بالكد والعمل والشروء والضلال والقلق والحيرة واللهفة والإنتظار والألم والفقدان كلها تنتظر خارج الجنة، وأنت فى حمى منها كلها مادمت فى رحاب الفردوس .

إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظم فيها ولا تضحي فهذا كله مضمون لك مادمت فى رحابها والجوع والعري يتقابلان مع الظمأ والصحوة وهى فى مجموعها تمثل متاعب

^١ سورة طه - الآية (١١٥)

^٢ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ١ ص ٢٨٠

^٣ سورة الأعراف - الآية (٢٧)

^٤ تفسير الشعراوى - ج ١ ص ٢٦٩

^٥ سورة طه - الآيات (١١٧ - ١١٩)

الإنسان الأولى فى الحصول على الطعام و الكساء والشراب والظلال " (١) وقد حذر القرآن الكريم من تعجيل العقوبة فى غير موضع قال تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٢) .

روى الإمام مسلم بسنده (٣) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال له المشركون: اطرد هؤلاء يجترئون علينا ، قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان ، لست أذكر اسميهما فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله " ولا تطرد الذين .." إذا علمت ذلك تبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يطرد بالفعل ، وإنما هم بإبعادهم عن مجلسه لأن قدوم أولئك ليتألفهم فيقودهم ذلك إلى الإيمان فنهاه الله عن امضاء ذلك الهم " فتطردهم فتكون من الظالمين" والظلم وضع الشئ فى غير محله أى فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشئ فى غير موضعه ". (٤) وقد يكون الأمر بتعجيل العقوبة بالهلاك والدمار لأعداء الله حين يتربصون بالمؤمنين ويقعون بالمستضعفين مما يدفع النفس المؤمنة إلى ثبات يقينها بالله واستسلامها لأوامر الله وأن العقوبة إنما تحل عاجلاً أم آجلاً بالمجرمين سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، قال الله تعالى : (فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا) (٥) ، فبمجرد أن أراد لهم الإستفزاز من الأرض والإخراج منها وتنحياتهم واستئصالهم والتخلص منهم، أخذ الله بالغرق وعاجله بالعقوبة ، وقال تعالى : (...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ...) (٦).

أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص له تلك البلاد ، والله تعالى أهلك فرعون وجعل ملك مصر خالصة لموسى ولقومه، وقال تعالى : (...لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ...) (٧) خالصة لكم خالية من عدوكم (٨)

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ ص ٥٠١

^٢ سورة الأنعام - الآية (٥٢)

^٣ صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فى فضل سعد بن أبى وقاص - حديث رقم ٢٤١٣ ج ٤ ص

١٨٧٨

^٤ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمى - ج ٥ ص ٢٧٢ - بتصرف

^٥ سورة الإسراء - الآية (١٠٣)

^٦ سورة فاطر - الآية (٤٣)

^٧ سورة الاسراء - الآية (١٠٤)

^٨ التفسير الكبير - الامام الفخر الرازى - ج ٢١ ص ٦٦

ثالثاً : الآثار الظاهرة على العقوبة :

والآثار الظاهرة على العقوبة بينة واضحة المعالم قاسية المشاعر، فما بين ديار انتهكت وأعراض دنست ومزارع أتلقت، وموودة قتلت ، وصغار ضيعت، ونساء رملت، قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (١)

" وخلص المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه ، ولكل عصر مستضعفون وما أكثر المستضعفين في عصرنا وما أقل قتالنا ، والمستضعفين ساعة نزول الآية هم الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون من المشركين الأذى الشديد ، وذكر الولدان تسجيل لإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لأبائهم وأمهاتهم ، وفي عصرنا يفتن صغار المسلمين عن دينهم في مدارسهم ، وفي غير ذلك بالوف الوسائل فهل يعقل المسلمون ، ثم وصف الله حال هؤلاء المستضعفين في قوله تعالى : (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) القرية الظالم أهلها يوم نزول الآية في مكة والوصف يصدق على كل حالة مشابهة" واجعل لنا من لَدُنْكَ وَلِيًّا" يتول أمرنا ويستتقذنا من أعدائنا" واجعل لنا من لَدُنْكَ نَصِيرًا" ينصرنا على أعدائنا فهم يدعون الله بالخلص و يستتصرونه " (٢)

وقد ساق لها المشهد القرآني صورة حية لقوم من اليهود عجلت لهم العقوبة بالجلاء والإخراج من بيوتهم بعدما نقضوا عهد الله ورسوله وزاغوا عن أمر الله فجعل الله عقوبتهم آية معجلة فيها.

^١ سورة النساء - الآية (٩٧)

^٢ الأساس في التفسير - سعيد حوى ج ٢ ص ١١٢٨

المبحث الثالث

الإخراج المحمود والإخراج المذموم

المطلب الأول : الإخراج المحمود

ونقصد بالإخراج المحمود ما كان مقصده محموداً ووسائله ونتائجه وأهدافه حسنةً ، وكان الباعث عليه باعث خير للمؤمن من حسن نية أو نجاة أو نصره لدين الله أو إذلال الكفرة مع بيان ثواب وفضيلة هذا الإخراج ، ويذكر كتاب الله الإخراج في صور شتى منها ، الإخراج المحمود ، والإخراج المذموم ، تحدث عنها القرآن ونتاجها بالبحث فيما يلي :

أولاً : الهجرة بنية خالصة لله

يهتم الإسلام بالنية ومقاصد الأمور، قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١) ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .." (٢) ، ولما كان الإخراج من الديار أمراً من أمور ديننا ، وقد يصل أحياناً إلى حكم الوجوب كالهجرة من مكة إلى المدينة ، لذا ركز القرآن على هذا المقصد العظيم والمفهوم الجليل، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً) (٣)

قال الإمام الشوكاني في الآية: (هذه الجملة متضمنة للترغيب في الهجرة والتنشيط إليها ، وقوله " في سبيل الله" فيه دليل على أن الهجرة لا بد أن تكون بقصد صحيح، ونية خالصة غير مشوبة بشئ من أمور الدنيا ، ومنه الحديث الصحيح " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ") . (٤)

(ولفظ في سبيل الله له من الأثر النفسى فى نفسية المهاجر ما يبدد المخاوف ويزيل الهواجس، ويثبت مفهوم هذه النية ، فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها " فى سبيل الله " ، وهذه هى الهجرة المعتبرة فى الإسلام، فليست هجرة للثراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب، أو هجرة للذائد والشهوات ، أو هجرة لأى غرض من أغراض الحياة الدنيا، ومن يهاجر هذه الهجرة فى سبيل الله يجد فى الأرض فسحة ومنطقاً ، فلا تضيق به الأرض ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة والرزق والحياة) (٥)

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية أحاديث منها ما أخرجه ابن أبى حاتم وأبو يعلى والطبرانى، قال السيوطى بسند رجاله ثقات بسند جيد عن ابن عباس قال : خرج صخرة بن جندب من بيته مهاجراً ، فقال لأهله احملونى فأخرجونى من أرض المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزل الوحي " .. ومن يخرج من بيته .." الآية (٦)

^١ سورة الكهف - الآية (١١٠)

^٢ صحیح البخارى - كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ١ - ج ١ ص ١٧

^٣ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٤ فتح القدير - الشوكاني - ج ١ ص ٥٠٥ والحديث سبق تخريجه

^٥ فى ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٢ ص ٥٠١

^٦ فتح القدير - الشوكاني - ج ١ ص ٥٠٦

قال الزمخشري حكاية عن المفسرين : إن كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة ، أو قناعة أو زهداً في الدنيا وابتغاء رزق طيب ، فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله .. وقع في كلام الزمخشري على الآية السابقة هذا الدعاء وهو : اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بدينى فاجعلها سبباً في خاتمة الخير ، ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك ، وصل جواري لك بعكوفى عند بيتك ، بجوارك فى دار كرامتك يا واسع المغفرة " (١) ، وما أجمل خاتمة الآية وهى تبسط هذه البشرى لأولئك الذين تافت أنفسهم إلى رحمة الله ومغفرته، أجره كله أجر الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام ، والحياة فى دار الإسلام ، فماذا بعد ضمان الله من ضمان ، ومع ضمانة الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة فى الحساب ، وهذا فوق الصفقة الأولى " وكان الله غفوراً رحيماً " ، إنها صفقة رابعة دون شك يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى (خطوة الخروج من البيت مهاجراً إلى الله ورسوله) ، والموت هو الموت فى موعده الذى لا يتأخر ، والذى لا علاقة له بهجرة أو إفاقة .

وقد ذكر الألوسى كلاماً لطيفاً فى الآية حيث قال : (الدلالة على أن المهاجر له إحدى الحسينين ، إما أن يرغم أنف أعداء الله ويذلهم بسبب مفارقتهم لهم واتصالهم بالخير والسعة ، وإما أن يدركه الموت ويصل إلى السعادة الحقيقية والنعيم الدائم ، ووضع " يدركه الموت " موضع يمت إشعاراً بمزيد الرضا من الله تعالى ، وأن الموت كالهديّة منه سبحانه له ، لأنه سبب للوصول إلى النعيم المقيم الذى لا ينال إلا بالموت . (٢) وتأمل قول الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) (٣) وقد اختلف المفسرون فى معنى الآية فقبل نزلت حين أمر بالهجرة ، يريد ادخال المدينة والإخراج من مكة واختاره ابن جرير .. " (٤) ، وهو دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به ، ولتتعلم أمته كيف تدعوا الله وفيه تتجه إليه ، دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج ، كناية عن صدق الرحلة كلها ، بدئها وختامها أولها وآخرها ، وما بين الأول والآخر ، وللصدق هنا قيمته ، بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزل الله عليه ليفترى على الله غيره ، وللصدق كذلك ظلاله ظلال الثبات والإطمئنان والنظافة والإخلاص " (٥)

^١ تفسير محاسن التأويل - القاسمى - ج ٥ ص ١٤٩٨

^٢ روح المعانى - الألوسى - ج ٥ ص ١٢٨

^٣ سورة الاسراء - الآية (٧٦)

^٤ فتح القدير - الشوكانى - ج ٣ ص ٢٥٢

^٥ فى ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٥ ص ٣٥٤

وتأمل قول الله تعالى : (...إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي...) (١)

ثانياً : الخروج للنجاة من الظالمين

ومن محامد هذا الإخراج أن يكون به النجاة أحياناً للدعاة ، إذ لا يكف الباطل عن ملاحقة أهل الحق فيكون الخروج رحمة بهم من أن ينالهم أذى المجرمين ، ولقد حكى القرآن الكريم صورة من هذه النجاة فى قوله تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) (٢).

" قيل المراد بهذا الرجل حزقيل وهو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم موسى، وقيل اسمه شمعون ، وقيل طالوت ، وقيل شمعان ، والمراد بأقصى المدينة آخرها وأبعدها " . (٣)

" إنها يد القدرة تسفر فى اللحظة المطلوبة لتتم مشيئتها ، ولقد عرف الملاء من قوم فرعون وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى ، وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر ، فهى فعلة طابعها الثورة والتمرد والانتصار لبني اسرائيل ، "... من أقصا المدينة .." فى جد واهتمام ومسارة ليلبغ قبل أن يبلغه رجال الملك ، ومرة أخرى نلمح السمة الواضحة فى الشخصية الانفعالية ، التوتر والتلفت، ونلمح معها التوجه المباشر بالطلب إلى الله، والتطلع إلى حمايته ورعايته، والالتجاء إلى حماه فى المخافة وترقب الأمن عنده والنجاة ، " رب نجنى من القوم الظالمين " ثم يتبعه السياق خارجاً من المدينة خائفاً يترقب ، وحيداً فريداً ، غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه ، والتوجه إليه طالباً عوناً وهداه (٤) ، ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون ، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانى ، وكان موسى لا يعرف إليها الطريق ، قال ابن عباس : خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه.(٥)

ولننظر إلى حلقة أخرى من حلقات النجاة ، قال الله تعالى : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ

^١ سورة الممتحنة - الآية (١)

^٢ سورة القصص - الآيات (٢٠-٢٢)

^٣ فتح القدير - الشوكاني - ج ٤ ص ١٦٥

^٤ فى ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٦ ص ٣٣٤ - بتصريف

^٥ الكشف - الزمخشري - ج ٣ ص ١٦١

لِلْمُسْرِفِينَ* فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ* وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (١)

وتحكى هذه الآيات حواراً بين الملائكة ونبي الله إبراهيم ، يسألهم عن وجهتهم فيجيبون أن جهتهم إلى قوم لوط ، لتعذيب المجرمين برجمهم بحجارة من طين ، معلمة بعلامات تعرف بها المتمادين في الضلال ، " فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين " ، أى لما أردنا إهلاك قوم لوط ، أخرجنا من كان في قري قوم لوط من قومه من المؤمنين ، " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " ، أى غير أهل بيت يقال بيت شريف ويراد به أهله " وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم " ، أى وتركنا في تلك القرى علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم . (٢)

" وأخرجنا من كان فيها من المؤمنين " لانجائهم وحمايتهم ، " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " هم بيت النبي لوط ، كما ورد في مواضع أخرى ، فكانوا هم الناجين إلا امرأته كانت من المهلكين ، " وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم " ، فالذين يخافون هم الذين يرون الآية ويدركونها وينتفعون بها أما الآخرون فمطموسون ، لا يرون آيات الله ، لا فى الأرض ولا فى أنفسهم، ولا فى أحداث التاريخ (٣)

وها هو القرآن يذكر بنعمة الله على عبده ونبيه يوسف فى قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٤)

فهو يذكر بنعمة الله وانجائه مع ما شمله لطف الله وعنايته له فى أصعب الظروف والأوقات تذكيراً بهذه النعمة دون أن يلوح أو يعرض بإخراجه من الجب لسبب (ولم يذكر إخراجه من الجب لأن فى ذكره نوع تثريب للأخوة ، وقد قال لا تثريب عليكم فيه ، وقد قيل إن وجه عدم ذكر إخراجه من الجب ، أن المنة كانت فى إخراجه من السجن أكبر من المنة فى إخراجه من الجب). (٥) ، ويكفى المؤمن شرفاً أن يعلم أن حسنة الدنيا والآخرة فى طريق المخرجين ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ

^١ سورة الذاريات - الآيات (٣١ - ٣٧)

^٢ فتح القدير - الشوكانى - ج ٥ ص ٨٩

^٣ فى ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٧ ص ٥٨٤ - بتصرف

^٤ سورة يوسف - الآية (١٠٠)

^٥ فتح القدير - الشوكانى - ج ٣ ص ٥٦

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١). وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) (٢) .

يقول الشوكاني : أفرد سبحانه المهاجرين بالذكر تحقيقاً لهم بمزيد الشرف فقال : " والذين هاجروا في سبيل الله " قال بعض المفسرين : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ، وقال بعضهم الذين هاجروا من الأوطان في سرية أو عسكر ، ولا يبعد حمل ذلك على الأمرين ، والكل في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا في حال الهجرة ليرزقنهم رزقاً حسناً " (٣).

ثالثاً : الإخراج لنصرة الدين وتعظيمه وإذلال الكافرين

قد يكون العقاب بالمثل حكماً من أحكام القرآن الكريم ، وهو يقرره على المؤمنين الذين ذاقوا من عدوهم صنوف العذاب ، فشردوا من ديارهم ، وأخرجوا منها بغير حرق ، وتركوا من خلفهم الأموال والأولاد والوطن قال الله تعالى : (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (٤)

" ورد في بعض الروايات أن هذه الآيات هي أول ما نزل في القتال ، نزل قبلها الإذن من الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار بأنهم ظلموا ، وأحس المؤمنون بأن هذا الإذن هو المقدمة لفرض الجهاد عليهم ، وللتمكن لهم في الأرض ، كما وعدهم الله في آيات سورة الحج قال تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) . (٥) - (٦)

والقرآن واضح الدلالة في هذه المعركة ، إذ يغري المؤمنين ويدفعهم إلى هذا الإخراج المحمود ، إظهاراً لعظمة هذا الدين بأن يخرجوا المشركين من حيث أخرجوهم " وأخرجوهم

^١ سورة النحل - الآيتان (٤١ ، ٤٢)

^٢ سورة الحج - الآيتان (٥٨ ، ٥٩)

^٣ فتح القدير - الشوكاني - ج ٣ ص ٤٦٤

^٤ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٥ سورة الحج - الآيتان (٣٩ ، ٤٠)

^٦ في ظلال القرآن . سيد قطب - ج ١ ص ٢٥٦

من حيث أخرجوكم " ، أى من المكان الذى أخرجوكم منه ، وهو مكة ، فقد كان المشركون أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين منها ، وقد كانوا يفتنونهم عن دينهم ، ثم صدوهم عن دخولها لأجل العبادة ، فرضى النبي والمؤمنون على شرط أن يسمحوا لهم فى العام القابل بدخولها لأجل النسك ، والإقامة فيها ثلاثة أيام كما تقدم ، فلم يكن من المشركين إلا أن نقضوا العهد ، أليس من رحمة الله تعالى بعباده أن يقوى هؤلاء المؤمنين ، ويأذن لهم بأن يعودوا إلى وطنهم ناسكين مسالمين ، وأن يقاوموا من يصددهم عنه من أولئك المشركين الخائنين؟ وهل يصح أن يقال فيهم أنهم أقاموا دينهم بالسيف والقوة دون الإرشاد والدعوة؟ كلا لا يقول هذا إلا غر جاهل ، أو عدو متجاهل ، ثم زاد التعليل " والفتنة أشد من القتل " أى أن فتنتهم إياكم فى الحرم عن دينكم بالإيذاء ، والتعذيب والإخراج من الوطن ، والمصادرة فى المال أشد قبحاً من القتل ، إذ لا بلاء على الإنسان أشد من إيذائه ، واضطهاده وتعذيبه على اعتقاده الذى تمكن من عقله ونفسه ، وراه سعادة له فى عاقبة أمره . (١) وقوله : " وأخرجوهم من حيث أخرجوكم " أى من مكة ، وقد امتثل رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى أمر ربه فأخرج من مكة من لم يسلم يوم أن فتحها الله عليه . (٢)
وهكذا يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون حازماً غليظاً على المنافقين والكافرين مفرقاً لجمعهم ، مشتتاً لشملمهم ، لا تأخذه بهم رافة ورحمة ، جزاءً ونكالاً وعبرة لغيرهم ، قال الله تعالى : (فَأِمَّا تَرَفُّقَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) . (٣)

(أى فإما أن تصادفهم فى ثقاف ، وتلقاهم فى حالة تقدر عليهم فيها ، وتتمكن من غلهم فشرد بهم من خلفهم ، أى ففرق بقتلهم . والتتكيل بهم من خلفهم من المجاورين لك من أهل الشرك حتى يهابوا جانبك ، ويكفوا عن حربك ، فخافوا أن ينزل بهم ما نزل بهؤلاء) (٤)

(والشريد المبعد عن الوطن أو نحوه ، والمعنى بفعل تفعله بهم من قتل أو نحوه يكون تخويفاً لمن خلفهم ، أى لمن بعدهم بمثل ما أتوا به ، وسواء كان معاصراً لهم أم لا ، فإن أسرت هؤلاء المنافقين فى حربك فافعل بهم من النعمة ما يكون تشريداً لمن يأتى خلفهم فى مثل طريقهم) (٥)

^١ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ٢ - ص ٢٠٩

^٢ فتح القدير - الشوكانى - ج ١ - ص ١٩٠ - بتصرف

^٣ سورة الأنفال - الآية (٥٦)

^٤ فتح القدير - الشوكانى - ج ٢ - ص ٣١٩ - بتصرف

^٥ المحرر الوجيز - ابن عطية الأندلسي - ج ٨ - ص ٩٤ - بتصرف

وإنه لتعبير عجيب ، يرسم صورة للأخذ المفزع ، والهول المرعب الذى يكفى السماع به للهرب والشرود فما بال من يحل به هذا العذاب الرهيب ، إنها الضربة المروعة ، يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد ، وانطلقوا من ضوابط الإنسان ليؤمن المعسكر الإسلامى أولاً ، وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيراً ، وليمنع كائنا من كان أن يجرؤ على التكفير فى وجه المد الإسلامى من قريب أو من بعيد ، أنها طبيعة هذا المنهج التى يجب أن تستقر صورتها فى قلوب العصابة المسلمة ، إن هذا الدين لا بد له من هيبة ، ولا بد له من قوة ، ولا بد له من سطوة ، ولا بد له من الرعب الذى يزلزل الطواغيت حتى لا تقف للمد الإسلامى ، وهو ينطلق لتحرير الإنسان فى الأرض من كل طاغوت ، والذين يتصورون أن منهج هذا الدين هو مجرد الدعوة والتبليغ فى وجه العقبات المادية من قوى الطاغوت هم ناس لا يعرفون شيئاً عن طبيعة هذا الدين (١) ، ولا أدل على هذه العظمة من أن ينسب الله هذا الإخراج لنفسه فى كتابه العزيز قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ...) (٢) ، وأن يأتى ذلك بعد التسبيح بحمد الله والإعتراف بنعمته إذ هو الناصر لدينه، والمظهر لنبيه، قال تعالى: (سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣) ، وفى القصص القرآنى صورة من صور العزة للإسلام بإظهار هذا الإخراج إعزازاً لدين الله ، وضرب الذلة على أعداء الله ، قال الله عن نبيه سليمان عليه السلام فى قصة سبأ : (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) (٤) ، فيصبحوا أذلة بعد ما كانوا أعزة يلبسهم الصغار والذل والأسر والإستعباد، فوقع فى أنفسهم ما وقع من الخوف والرعب من نبي الله وجنده . ونون القسم التى يوردها النص القرآنى " فلنأتينهم " ، " ولنخرجنهم " لها من الوقع فى النفس ما لها إذ فيها جلال العظمة ، وقوة الحق ، ومنطق القوة ، وعزة الدين .

انظر قوله تعالى: (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٥) وفيها من التهيب والحض على قتالهم ما فيه.

^١ فى ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٤ ص ٤٦ - بتصرف

^٢ سورة الحشر - الآية (٢)

^٣ سورة الحشر - الآية (١)

^٤ سورة النمل - الآية (٣٧)

^٥ سورة التوبة - الآية (١٣)

وحيثما ظهرت قوة هذا الدين وعظمته في إجراء أحكامه على الخلق، كان النفس والإخراج من الديار عقوبة يفرضها المنهج الإسلامي على الخارجين عن نظام هذا الدين ، المفسدين في الأرض قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١)

رابعاً : ثواب الإخراج المحمود

لا شيء أَرْضَى لِلنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَرْغَبَ لَهَا فِي الْعَمَلِ مِنْ أَنْ تَرَى ثَوَابَ الْعَمَلِ شَاخِصًا أَمَامَهَا يَزِينُهُ الْقُرْآنُ وَيُدْفَعُ هَذِهِ الْأَنْفُسَ الْمُؤْمِنَةَ إِلَيْهِ ، وَالْعِلْمُ بِهَذَا الثَّوَابِ وَالْفَضْلُ يَسْرِعُ بِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِنَيْلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : (قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) (٢) ، وقد ذكر القرآن صورة من هذا الثواب في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٣). ويلاحظ من هذه الآيات جملة أحكام شرعية فهنا " إن الذين آمنوا وهاجروا " أى فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ورسوله هم المهاجرون ، والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار " بعضهم أولياء بعض " أى يتولى بعضهم بعضاً فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرباب حتى نسخ ذلك بقوله: " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " ، وقوله " أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم " (لأنهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر

^١ سورة المائدة - الآية (٣٣)

^٢ سورة طه - الآية (٨٤)

^٣ سورة الأنفال - الآيات (٧٢ - ٧٥)

بالتواصل " والذين آمنوا من بعد " يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة .(١) " ثم أخبر سبحانه بأن لهم مغفرة لذنوبهم في الآخرة ، ولهم في الدنيا رزق كريم خالص عن الكدر طيب مستند ، ثم أخبر سبحانه بأن من هاجر بعد هجرتهم وجاهد مع المجاهدين الأولين والأنصار فهو من جملتهم ، أى من جملة المهاجرين الأولين والأنصار فى استحقاق ما استحقوه من الموالاة والمنصرة وكمال الإيمان والمغفرة والرزق الكريم " (٢).

" أولئك هم المؤمنون حقاً " ، فهذه هى الصورة الحقيقية التى يتمثل فيها الإيمان ، هذه هى صورة النشأة الحقيقية والوجود الحقيقى لهذا الدين ، إنه لا يوجد حقيقة بمجرد إعلان القاعدة النظرية، ولا بمجرد اعتناقها ، ولا حتى بمجرد القيام بالشعائر التعبدية فيها ، إن هذا الدين منهج حياة ، لا يتمثل فى وجود فعلى إلا إذا تمثّل فى تجمع حركي ، أما وجوده فى صورة عقيدة فهو وجود حكمي لا يصبح (حقاً) إلا حين يتمثل فى تلك الصورة الحركية الواقعية ، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ، والرزق يذكر هنا بمناسبة الجهاد والإنفاق والإيواء والنصرة وتكاليف هذا كله ، وفوقه المغفرة وهى من الرزق الكريم بل هى أكرم الرزق الكريم .(٣)

وإن كان للطاعات مقامات يتنافس في طلبها الطالبون ويتسابق عليها السائرون ، فإن القرآن قد أفصح المقال عن أعظم هذه الدرجات وأثبتها وأفضلها عند الله ، حيث قال الله تعالى :
(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .(٤)

وفى هذه الآيات جملة أحكام تفهم من خلالها درر كريمة تلتقط من أعماقها منها أن من أسباب نزولها " قيل أن كفار قريش قالوا لليهود إنا نسقى الحبيج ونعمر البيت أفنحن أفضل أم محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ؟فقال لهم أحبار اليهود بل أنتم فنزلت الآية فى ذلك ؟...وقال ابن عباس والضحاك أن المسلمين عيروا أسرى بدر بالكفر فقال العباس بل نحن سقاة الحاج وعمرة البيت فنزلت الآية فى ذلك وقيل أن لما حكم الله تعالى فى الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بين ذلك فى الآية الأخيرة وأوضحه فعدد الإيمان والهجرة و الجهاد

^١ الكشاف - الزمخشري ج ٢ ص ١٣٥ - بتصرف

^٢ فتح القدير - الشوكاني - ج ٢ ص ٣٢٩

^٣ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ٧٤

^٤ سورة التوبة - الآية (١٩)

بالمال والنفس ، وحكم أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق ، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية ، أما فى نيل رغبة أو نجاة من مهلكة (١) والهجرة لها مكانتها بين هذه الأعمال من الإيمان والجهاد ، الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس " أعظم درجة عند الله " ، وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المشركة المفتخرة بأعمالها المحبطة الباطلة ، وفى قوله " عند الله " تشرىف عظيم للمؤمنين والإشارة بقوله " أولئك " إلى المتصفيين بالصفات المذكورة " هم الفائزون " ، أى المختصون بالفوز عند الله ثم فسر الفوز " يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجات لهم فيها نعيم مقيم " ، والتكثير فى الرحمة والرضوان والجات للتعظيم ، والمعنى أنها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين والنعيم المقيم ، الدائم المستمر الذى لا يفارق صاحبه ، وذكر الأبد بعد الخلود تأكيد له ، وجملة " إن الله عنده أجر عظيم " مؤكدة لما قبلها مع تضمناها للتعليل ، أى أعطاهم الله سبحانه هذه الأجر العظيمة لكون الأجر الذى عنده عظيم ، يهب من ما يشاء لمن يشاء (... وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (٢) ولا يفوتنا أن نذكر بما أعده الله للمهاجرين والمخرجين من حسنة الدنيا والأخرة وضمان المغفرة والرزق الكريم ، وبثبوت ثواب المهاجرين عند الله سبحانه وتعالى ، وتأمل معى قول الله تعالى : (...وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...) (٣) ، (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٤) (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (٥)

الطلب الثاني : الإخراج المذموم

ونعني بالإخراج المذموم ما كان الباعث فيه النية السيئة والوسيلة التي يقصد بها ارهاب المؤمنين والمستضعفين وملاحقة الأمنين مما ذم القرآن فاعله ، وشان على مرتكبه.

أولاً : الخروج كبيراً وبطراً ورناء الناس

إن المقابلة الصادقة فى الإخراج المحمود عند المؤمنين يذكره السياق القرآنى بصورة من الأشر والبطر والرياء والكبر لهؤلاء المشركين فى خروجهم محذراً المؤمنين من متابعتهم

^١ المحرر الوجيز - ابن عطية - ج ٨ ص ١٥٠

^٢ فتح القدير - الشوكانى - ج ٢ ص ٣٤٥ والآية - (٧٤) من سورة آل عمران

^٣ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٤ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٥ سورة النحل - الآية (٤١)

فى هذه الروح من الخيلاء والكبر، قال الله تعالى : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ، وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى
عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ " (١)

نزلت فى المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغى وفخر ، قالوا : ولما رأى أبو سفيان أنه
قد أحرز غيره أرسل إلى قريش : أنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ، فقد نجاها الله فارجعوا ،
فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا وكان موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها
سوق كل عام فنقيم بها ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف
علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان
الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان ، فهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم
بإخلاص النية والحسبة فى نصر دينه ومؤازرة نبيه صلى الله عليه وسلم (٢) وهو درس
عظيم فى النية والسلوك فأعراض العجب والرياء والبطر ، تنخر فى جسم الأمة فتكون
سبباً فى هلاكها ، وتعجل فى دمارها ، والمؤمن إنما يسعى لمرضاة الله وإخلاص العمل ،
فلا تتشبهوا بالمشركين أهل مكة حين خرجوا من ديارهم لحماية العير بطراً ، أى دفعاً للحق
وإظهار الفخر والإستعلاء بنعمة القوة أو الغنى أو الزعامة ، ومن أجل مراعاة الناس ، أى
المفاخرة والتكبر عليهم ، وعمل ما يحبون أن يراهم الناس عليه ليعجبوا منه ، كما قال أبو
جهل فامتلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه ، واحذروا التشبه بأعدائكم المشركين بطرين
مترفعين بالنعمة ، مرئين الناس فتبدل الحال كله عليهم ، فتجرعوا كأس المنون ، وانقلبوا
أذلة صاغرين فى عذاب سرمدى أبدى وأرادوا بخروجهم المنع عن سبيل الله ، أى حجب
الناس عن الإسلام والحيلولة بينهم وبين تبليغ الدعوة الإلهية ، وهذه الأفعال التى لا تصدر
عادة إلا من أناس امتلأت قلوبهم بالكفر والجهل والحقد ، هى كلها عوامل دمار وهدم وفناء
لذا تضمنت الآية الزجر والتهديد بخصال الكفار ، وهى الرياء والبطر والكبر دفع الحق
ومعاداته، والله بما يعملون محيط ، أى عالم بما جاؤوا به ولأجله فيجازيهم عليه شر

^١ سورة الأنفال - الآيات (٤٧ - ٥٠)

^٢ معالم التفسير فى التنزيل والتأويل - البغوى - ج٢ - ص٦٣٩ - بتصرف

الجزاء فى الدنيا والأخرة بمقتضى سنته فى ترتيب الجزاء على الأعمال ، وفى هذا حض على إخلاص النية والعمل والترغيب فى نصره النبى صلى الله عليه وسلم ، ومؤازرة الدين الذى جاء به من عند الله تعالى (١)

وقد أشارت آيات القرآن فى سورة الأنفال فى القصة المذكورة ، أن كفار قريش كانوا مقتدين بسنة المهالكين قبلهم من قوم فرعون ، حيث ذكر السياق قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ). (٢)

(ذكر بعد ذلك أن ما فعله بهؤلاء المشركين ، إنما هو كفعله فى الأمم المكذبة قبلهم، فتلك سنته فى المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول ، الكافرين بآيات الله ، أن يأخذهم الله بسبب ذنوبهم فيهلكهم وهو الذى لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب .. كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التى أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين " (٣) وهكذا جروا على عادتهم فى التكذيب ، فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم من التعذيب .والقرآن يحذر من هذه النماذج السيئة التى لا ترى أثرا لنعمة الله عليها ، بل ترى نفسها دائما فى الكبر والبغى والعجب وتزكية النفس ، ولقد حدثتنا سورة القصص عن نموذج من هذه النماذج السلبية قارون فى قوله تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِدِينَ). (٤) ، ولا يخفى على ذى بصيرة ما حل بقارون إذ فرح بكثرة المال وبطر نعمة الله ، ونسب ذلك كله لنفسه طغياناً وكفراً مدعياً ذلك لنفسه : قال سهل : ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح ، والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله ، وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الأفعال والأقوال ، والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ، فافتخر بها ، وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوماً ، كما خسف بقارون لما ادعاها لنفسه فضلاً " (٥) .

^١ التفسير المنير-د. وهبة الزحيلي ج ١٠ ص ٢٧ - بتصرف

^٢ سورة الأنفال - الآية (٥٢ - ٥٤)

^٣ الأساس فى التفسير - سعيد حوى ج ٤ ص ٢١٨٤ - بتصرف

^٤ سورة القصص - الأيتان (٧٦ ، ٧٧)

^٥ تفسير النسفى - ج ٣ ص ٣٥٥

ولذلك لما علم القرآن سوء ظن هؤلاء الكفرة والمنافقين، وفساد نيتهم وخبث طويتهم ، ردهم على أعقابهم خائفين ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (١) .
 فعصم الله عباده المؤمنين من هذه الفئة النكدة ،ومن هذا الرجس ، لما فيه من فساد فى نياتهم وخبث فى سرائرهم .

ثانياً : إدعاء الخروج بهدف الإشاعة

دأب المجرمون على إثارة الناس ونشر الفاحشة والإشاعة بينهم ، تحقيقاً لمآربهم فى الصد عن سبيل الله ، وفى صراع نبي الله موسى مع فرعون صورة من هذه الصور، التى استخدمها فرعون فى نشر الإشاعة والكذب حول دعوة موسى ورسالته ، قال تعالى : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (٢) ، (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) (٣) ، (...يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ...) (٤) ، (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكُمْ...) (٥) وحين خسر فرعون المعركة الأولى مع نبي الله موسى فى سيطرة السحرة وغلبتهم شعر بالهزيمة ، انها نكبة جاءت لفرعون الذى يدعى الألوهية ، ونكبة لمن حوله من هؤلاء الذين يوافقونه ، فكيف يواجهها حتى يظل فى هيئته وهيبته ، قال عن موسى : إنه ساحر لكى يصرف الناس الذين رأوا معجزات موسى عن الإيمان والافتتاع به ، وأنه رسول رب العالمين ، وبعد ذلك يهيج فرعون وطنيتهم ويثير غيرتهم ، ويحرك انتماءهم إلى مكانهم ، فقال : " يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " اتهموا موسى عليه السلام بأنه يريد أن يخرج الناس بسحره من أرضهم ، وهذا القول من فرعون ومن معه له هدف ، هو تهيج الناس وإثارتهم ، لأن فرعون أفتع الناس أنه إله ، وها هى أى الألوهية تكاد تنهدم فى لحظة ، فقال عن موسى إنه ساحر . (٦) . وهكذا لما شعر فرعون بالسقوط تنادى إلى هذه الاشاعة، لما تحير فرعون برؤية الآيتين، وزل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكببيه كبرياء الربوبية ، وارتعدت فرائصه خوفاً طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده ، وهو

^١ سورة التوبة - الآيتان (٤٦ ، ٤٧)

^٢ سورة الأعراف - الآية (١١٠)

^٣ سورة طه - الآية (٥٧)

^٤ سورة طه - الآية (٦٣)

^٥ سورة الشعراء - الآية (٣٥)

^٦ تفسير الشعراوي - ج ٧ ص ٤٢٨٦

^٢ سورة طه - الآيتان (٤٧) و (٥٧)

^٣ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ٧٤ - بتصريف

إلهمم أو جعلهم آمريين ونفسه مأموراً. " ويظهر أن استعباد بني اسرائيل كان إجراء سياسياً خوفاً من تكاثرهم وغلبتهم، وفي سبيل الملك والحكم لا يتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية، وأشنعها بربرية ، وأبعدها عن كل معاني الإنسانية وعن الخلق والشرف والضمير ، ومن ثم كان فرعون يستأصل بني اسرائيل ، ويذلمهم بقتل المواليد الذكور ، واستبقاء الاناث ، وتسخير الكبار في الشاق المهلك من الأعمال ، مثلما قال له موسى وهارون ، قال تعالى : (.. فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم..)، (قال أجنبتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) (٢)

لأن اطلاق بني اسرائيل تمهيد للاستيلاء على الحكم والأرض ، وإذا كان موسى " في زعم فرعون " يطلب اطلاق بني اسرائيل لهذا الغرض ، وكل ما يقدمه هو عمل من أعمال السحر فما أسهل الرد عليه ، " فلنأتينك بسحر مثله " ، وهكذا يفهم الطغاة ، أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفى وراءها هدفاً من أهداف هذه الأرض ، وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم ، ثم هم يرون مع أصحاب الدعوات آيات ، إما خارقة كآيات موسى ، وإما مؤثرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم ، وإن لم تكن من الخوارق ، فإذا الطغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهرياً سحر نأتى بسحر مثله ، كلام نأتى بكلام من نوعه ، صلاح نتظاهر بالصلاح ، عمل طيب نرائى بعمل طيب ، ولا يدركون أن للعقائد رصيذاً من الايمان ورصيذاً من عون الله ، فهي تغلب بهذا وبذاك لا بالظواهر والأشكال. (٣) والملاحظ أن السياق القرآني كرر نفس العبارة على لسان فرعون وقومه " يريد أن يخرجكم من أرضكم " وهذا الكلام ذكر على لسان فرعون في سورة الشعراء ، وهنا ذكر على لسان الملائكة ، فيما أن كلا منهم قاله فحكى قوله ثمة وقولهم هنا ، أو قاله ابتداء فتلقفه الملائكة بعد أن أوحى إليهم به وتبنوه ، " يريد أن يخرجكم من أرضكم " أي مصر. (١)

إن أول الاشاعة التي استخدمتها أجهزة فرعون وتناقلتها ، ورمت بها موسى وهارون ، كان لها من الأثر والوقع في النفس الشيء الكثير ، إذ أنها تجرى على لسان الأجهزة الحاكمة ، وتصدر من أكبر رأس في النظام فينتفاه الناس بالقبول والتصديق ، ويذهب بهم فرعون إلى مآلات الأمور ونتائجها الخطيرة . " إنهم يصرحون بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة ، إنها الخروج من الأرض ، إنها زهاب السلطان ، إنها إبطال شرعية الحكم ، أو محاولة قلب نظام الحكم بالتعبير العصري الحديث . إن الأرض لله ، والعباد لله ، فإذا ردت الحاكمة في أرض الله ، فقد خرج منها الطغاة الحاكمون بغير شرع ، أو خرج منها الأرباب

^١ الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج ٤ ص ١٩٧٨

المتألهون الذين يزاولون خصائص الألوهية ، بتعبيد الناس لشريعتهم وأمرهم ، وخرج منها
 المأل الذين يوليههم الأرباب المناصب والوظائف الكبرى فيعيدون الناس لهذه الأرباب .
 هكذا أدرك فرعون ومأله خطورة هذه الدعوة ، وكذلك يدركها الطواغيت في كل مرة ، لقد
 قال الرجل العربي بفطرته وسليقته ، حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس
 إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : هذا أمر تكرهه الملوك ، وقال له رجل
 عربي آخر بفطرته وسليقته : إذن تحاربك العرب والعجم ، لقد كان هذا العربي وذاك يفهم
 مدلولات لغته كان يفهم أن شهادة أن لا إله إلا الله ثورة على الحاكمين بغير شرع الله ،
 عرباً كانوا أو عجماً ، كانت لشهادة أن لا إله إلا الله جديتها في حس هؤلاء العرب ، لأنهم
 كانوا يفهمون مدلول لغتهم جيداً ، فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن تجتمع في قلب واحد
 ولا في أرض واحدة شهادة أن لا إله إلا الله مع الحكم بغير شرع الله ، فيكون هناك آلهة مع
 الله ، ما كان أحد منهم يفهم شهادة ألا إله إلا الله كما يفهمها اليوم بعض من يدعون أنفسهم
 مسلمين . (١)

ويلاحظ أن السياق القرآني ذكر هذه الأقوال منسوبة تارة إلى فرعون وتارة إلى المأل ،
 وتارة إلى السحرة ، مما يظهر أن تكاتف الباطل في جميع أجهزته ، يعتمد على إشاعة هذا
 الاعلام الباطل ، وأن هؤلاء السحرة أشبه بالإعلاميين الذين يجندون أنفسهم لبث هذه السموم
 والإشاعات ، ويلقونها بقوة على أفئدة الناس حتى تصبح على كل لسان وفي كل بيت ، مما
 يفهمك أن الباطل يعتمد هذا المنهج في عصر وفي كل قلم وعلى كل لسان وفي كل شاشة
 وفي كل وسيلة.

ثالثاً : إخراج المستضعفين

ليس أصعب على النفس البشرية من أن ينال هذا الإخراج الطائفة المستضعفة التي ليس لها
 حول ولا قوة ، والمستضعفون عاشوا بلا قوة ولا صنعة ولا حمية ولا عشيرة فلم يحسب
 الظالمون لهم حساباً ، قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب : (...وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا
 أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ...) (٢)
 وهكذا جاء السياق القرآني ليؤكد حرمة هؤلاء المستضعفين في إذلالهم وإخراجهم قال الله
 تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ...) (٣)

^١ في ظلال القرآن . سيد قطب - ج ٣ ص ٦٠١

^٢ سورة هود - الآية (٩٢)

^٣ سورة الأنعام - الآية (٥٢)

وقال الله تعالى حكاية عن نبي الله نوح عليه السلام : (...وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكَنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) (١)

وقال الله تعالى: (قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَيَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (٢) ، أى ليس من شأنى طرد المؤمنين وتحتيتهم من مجلسى ويظهر من هذا أن أكبر الكفار كانوا يبيغون تخصيصهم ببعض المزايا والإمتيازات ، كتخصيص مجلس خاص بهم ، لا يلتقون فيه مع الضعفاء والفقراء أنفة منهم وكبر وترفعاً ، كما حدث تماماً بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه قريش فقال تعالى: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...) (٣) "إنهم ملاقوا ربهم " ، إن هؤلاء الأتباع سيلقون ربهم وسيحاسبهم على أعمالهم كما يحاسبهم ويعاقب من طردهم ولكنى أراكم قوما تجهلون الحقائق وتترددون فى ظلمات الجهل فى استردالكم لهم وسؤالكم طردهم ، فإن تفضيل الناس بعضهم على بعض ، إنما هو بالعمل الطيب والخلق الفاضل لا بالثروة والمال والجاه كما تزعمون (٤) ، والملاحظ أن الكفرة يتعلقون بحجج واهية وبراهين ساقطة ، إنما تتم عن كبر غليظ ونفس متردية ، ولا وجه لدعوتهم ، ولا قوة لبينتهم، ثم لما بين أن لا وجه لكراهة دعوتهم، إذ لا تنقصهم من دنياهم شيئاً فلم يبق إلا خسة أتباعه، ولا ترتفع إلا بطردهم ، قال : " وما أنا بطارد الذين آمنوا " (أى لأنهم أهل القربة والمنزلة عند الله ، وطردهم قد يكون مانعاً لهم من الإيمان أو لأفعالهم ، ولا يفعل ذلك إلا عدو لله مناوئ لأوليائه ، ولو كان

طردهم سبب إيمانكم ، ولم يرتدوا أخاف من طردهم شكائيتهم ، وهذا معنى قوله : " إنهم ملاقوا ربهم " أى فيخاصمون طاردهم عنده ، أو المعنى أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ثم أشار إلى أن خستهم ليست مانعة من الإيمان إذ لا تلحقهم بقوله " ولكنى أراكم قوما تجهلون " أى فتخافون لحوق خستهم لمشاركتهم إياهم فى الإيمان من جهلكم إذ الخسيس لا تترك مشاركته فى كل شئ أو تجهلون ما يصلح به المرء للقاء الله ولا تعرفون الله ولا لقاؤه ، ولذهاب عقولكم فى الدنيا أو تسفهون وتؤذون المؤمنين ، وتدعوهم أراذل أو تجهلون أهم خير منكم ، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

^١ سورة هود - الآيتان (٢٩ - ٣٠)

^٢ سورة الشعراء - الآية (١١١ - ١١٤)

^٣ سورة الأنعام - الآية (٥٢)

^٤ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي ج ١٢ ص ٥٧

مَنْ بَيَّنَّا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (١)، ثم أشار إلى أن طردهم يستوجب عقابه تعالى بقوله: (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ). (٢) ، " أَى فإِن أفادكم طردهم تعزركم فإنى أستوجب قهره بطردهم ومن يدفعه عنى وفيه إعلام بأن الطرد ظلم موجب بحلول السخط قطعاً ، وإنما ام يصرح به إشعاراً بأنه غنى عن البيان لا سيما وقد تقدم ما يلوح به من كرامتهم بإيمانهم بالله واليوم الآخر أفلا تذكرون " تتعظون فتنزجروا عما تقولون قال بعضهم ثمرة ذلك وجوب تعظيم المؤمن وتحريم الإستخفاف به ، وإن كان فقيراً عارفاً للجاه متعلقاً بالحرف الوضيعة لأنه تعالى حكى كلام نوح وتجهله للرؤساء لما طلبوا طرد من عدوه من الأراذل " (٣) ولهذا جعل الله من سنته لهؤلاء المستضعفين أن يظهر كرامتهم وأن يرفع علامتهم ونصرهم قال الله تعالى : (ونريد أن نمنن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ٥ ونمكن لهم في الأرض ونرزي فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون). (٤) ، وقال الله تعالى: (واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون). (٥).

المبحث الرابع

أسباب ودوافع قضية الإخراج

إن أسباب ودوافع ومسوغات قضية الإخراج كثيرة وعديدة ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :
القسم الأول ربانية : تتناول سنن الله فى الإخراج الدائرة بين حكمة التشريع وقضاء الله وقدره ، وفيها عدة نقاط يمكن البحث من خلالها ، وإلقاء الضوء عليها .

^١ سورة الأنعام - الآية (٥٢)

^٢ سورة هود - الآية (٣٠)

^٣ تفسير محاسن التأويل - القاسمى - ج ٨ ، ٩ ص ٣٤٣١ - بتصرف

^٤ سورة القصص - الآيتان (٥ ، ٦)

^٥ سورة الأنفال - الآية (٢٦)

والقسم الثاني : أسباب بشرية وهى دائرة بين أسباب داخلية ذاتية تتعلق بالفئة المؤمنة ودعوتها ومنهجها وحالها وأحوالها ومفاهيمها ، وأسباب خارجية غير ذاتية تتعلق بغير المؤمنين من أعداء ومنافقين وغيرهم ممن يتربصون بالمؤمنين ، ويحاولون دائماً إيذاءهم واضطهادهم ، وفيه نقاط نبرزها فى مكانها . **وإليك الحديث عن ذلك مفصلاً :**

أولاً : الأسباب الربانية :

قبل الحديث فى هذا الباب ينبغى أن نستذكر قول الله تعالى : (لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ). (١)

فالمؤمن وقاف عند حدود الله ، والحديث فى هذا الباب بحاجة إلى أدب مع الله ، ولذلك ندخل إلى ذكر هذه الأسباب بقصد الكشف عن العلة ، ومعرفة القصد فيما أذن الله لنا أن نتعرف عليه من سننه وأحكامه.

١- تمرد إبليس

وهو أول من أخرج من جنة الله ، وسبب إخراجهم تمردهم عن أمر الله ، واستكفاه عن السجود لآدم ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ). (٢).

وقال تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ). (٣).

وفى سورة البقرة يجمع القرآن صفتين لإبليس وهما الإباء والكبر : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). (٤).

والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالغطرسة والإباء ، وقد أدمج فى

معصية إبليس أربع معاصى :

^١ سورة الأنبياء - الآية (٢٣)

^٢ سورة الأعراف - الآيات (١١ - ١٣)

^٣ سورة الحجر - الآيتان (٣١ - ٣٢)

^٤ سورة البقرة - الآية (٣٣)

مخالفة أمر الله ، والاستكبار عن التنفيذ ، وتحقير آدم عليه السلام ، ومفارقته للجماعة ، وأول معصية وقعت كانت بسبب الكبر والتكبر (١).

(وبعد العصيان حجب اللعين من السماء ، التي هي مقره ومعبده " فما يكون لك " أى فما يصح ولا يستقيم لك " أن تتكبر فيها " تعليل للأمر بالهبوط وفيه تنبيه على أن التكبر ، لا يليق بأهل الجنة ، وأنه تعالى طرده لتكبره ، لا بمجرد عصيانه ، ولا يخفى لطافة التعبير به ، دون الخروج فى مقابلة " أنا خير منه " والمراد بالتكبر التكبر على الله ، وهو أعظم التكبر " فأخرج " تأكيد للأمر بالهبوط " إنك من الصاغرين " أى ممن أهانه الله لكبره . (٢)

٢- إغواء إبليس لعنه الله لآدم عليه السلام :

ومن الأسباب التى أدت إلى إخراج آدم غواية الشيطان، واستزلاله لآدم عليه السلام ، قال تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ). (٣) ، (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ). (٤)

قال الله تعالى : " فأزلهما الشيطان عنها " أى حولهما وزحزحهما عن الجنة ، أو حملهما على الزلة بسبب الشجرة ، وقرأ حمزة " فأزالهما " والشيطان إبليس الذى لم يسجد ولم يخضع ، وقد وسوس لهما بما ذكر فى سورتي الأعراف وطه حتى أوقعهما فى الزلل ، وحملهما على الأكل من الشجرة فأكلتا فأخرجهما مما كانا فيه ، أى من ذلك المكان أو النعيم الذى كانا فيه ، فكان الذنب متصلاً بالعقوبة اتصال السبب بالمسبب ، ثم بين الله تعالى كيفية الإخراج بقول " وقلنا اهبطوا " (٥) وفى سورة الأعراف نص واضح فى هذه العقوبة والتحذير منها ، قال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا...). (٦) ، لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن

^١ المقتطف من عيون التفسير - العلامة مصطفى الخيري المنصوري - تحقيق محمد على الصابون - ج ١ ص ٦٧

^٢ المرجع السابق - ج ٢ ص ٢٠٤

^٣ سورة البقرة - الآية (٣٦)

^٤ سورة الأعراف - الآيات (٢٠ - ٢٢)

^٥ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ١ ص ٢٧٨

^٦ سورة الأعراف - الآية (٢٧)

أخرجهما منها ، " ينزع عنهما لباسهما " حال ، أخرجهما نازعاً لباسهما بأن كان سبباً فى أن نزع عنهما (١)

٣- الامتحان بالإخراج :

ومن أسباب الإخراج أن يكون امتحاناً يمتحن الله بعض عباده ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا). (٢) والآية تشير إلى هذا الامتحان الكبير الذى يمتحن الله بعض عباده شرطاً لقبول توبتهم ، ويذكرهم بأن هذا الامتحان عن قتل النفس ، والهجرة من الأوطان والخروج أمر عسير على النفس البشرية ، لا يقوى له إلا رجال الإيمان فى صدورهم أثبت من الجبال الرواسى ، وقد كتب الله هذا الامتحان على بنى اسرائيل ، وما استجاب له إلا القليل ، وقد جاء السياق القرآنى ليقرن قتل النفس بحب الأوطان وصعوبة الهجرة منها لما فى هذا الامتحان من مشقة على النفس البشرية كما حصل لبنى اسرائيل بأمر الخروج من مصر . (٣)

٤- سنة الله فى الذين بطروا النعمة

ومن أسباب الإخراج أنه يكون بسبب بطر النعمة وكفراً بها ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن قوم سبأ فى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْقَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ). (٤).

" أى سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار ، فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات ، أو سيروا فيها آمنين لا تخافون غداً ولا جوعاً ولا عطشاً، وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياماً وليالى ، قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجباتنا ، ونربح فى التجارات ، ونفاخر فى الدواب والأسباب ، بطروا النعمة وملوا العافية ، فطلبوا الكد والتعب . " (٥)

فأجابهم إلى سؤالهم جزاءً وفاقاً ، ومزقهم فى البلاد والعباد ، وجعلهم مثلاً مضروباً للخلق .

٥- قدر الله فى إخراج اليهود من المدينة

^١ تفسير النسفى - الامام عبد الله بن أحمد النسفى ج ٢ ص ٧٣

^٢ سورة النساء - الآية (٦٦)

^٣ انظر التفسير المنير - د.وهبة الزهيلي - ج ٥ ص ١٤٣

^٤ سورة سبأ - الأيتان (١٨ - ١٩)

^٥ تفسير النسفى - الامام عبد الله بن أحمد النسفى ج ٣ ص ٤٧٠

وهو من الأسباب الواضحة فى إخراج اليهود من بنى النضير الذين نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخانوه وغدروا به ، فجاء القرآن ليوضح هذه الدوافع ، والأسباب الحقيقية فى إخراجهم ، (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). (١)

بيان لبعض آثار عزته تعالى والضمير راجع إليه تعالى ، وفيه إشعار بأن الإخراج حكمة باهرة .

روى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بنى النضير ، وهم رهط من اليهود وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه ، فلما كان من يوم أحد نكثوا ، فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين ركاباً إلى مكة فحالفوا قريشاً عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم ، فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصارى فقتل كعباً غيلة ثم صبحهم بالكنايب ، فقال لهم : اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج ، فدى عبد الله بن أبى وأصحابه إليهم ألا تخرجوا من الحصون ، فإن قاتلوكم فنحن معكم ، فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة ، فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب ، وأيسوا من نصر المنافقين ، طلبوا الصلح ، فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات بغير ما شاعوا من متاعهم ، فجلوا إلى الشام ، فأنزل الله هذه السورة إلى قوله تعالى: (والله على كل شىء قدير) . (٢)

٦- سنة الله فى الأمم والأنبياء

قال الله تعالى : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا . سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) . (٣)

" أى سن الله سنة والمعنى هذه عادة الله جل وعلا مع رسله أن يهلك كل أمة أخرجت رسولها من بين أظهرهم وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت لأجلهم " (٤)

(وَكَايِنَ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) . (٥)

^١ سورة الحشر - الآية (٢)

^٢ المقتطف من عيون التفاسير - العلامة مصطفى الخيري المنصوري - تحقيق محمد على الصابوني - ج ٥ ص ٢١٦

^٣ سورة الإسراء - الأيتان (٧٦ ، ٧٧)

^٤ المرجع السابق - ج ٣ ص ٢١٧

^٥ سورة محمد - الآية (١٣)

أى وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل مكة ، الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم ، ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيذان بأولوية الثانية بالاهلاك ، ووصف الثانية بإخراجه صلى الله عليه وسلم ، تلميح لعظم جنايتهم " فلا ناصر لهم " أى فمن ينصرهم أحد ، ولم يستطع دفع العذاب عنهم ، وهذه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، أى كذلك نفعل بالمجرمين من قومك . (١)

٧- تهيئة النبي للهجرة

وفى سورة التوبة تفسير واضح لعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ذكرها القرآن: (إِنْ تَتُوبُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ...) (٢). أى إلا تتصروا الرسول الذى استتصركم فى سبيل الله على من أرادوا قتاله من أولياء الشيطان ، فسينصره الله بقدرته وتأييده ، كما نصره إذ أجمع المشركون على الفتك به وأخرجوه من داره وبلده، أى اضطروه إلى الخروج والهجرة ، ولولا ذلك لم يخرج، وقد تكرر فى التنزيل ذكر إخراج المشركين للرسول والمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق ، وليس المراد منه أنهم تولوا طردهم وإخراجهم مجتمعين ولا متفرقين فإن أكثرهم خرج مستخفياً ، كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه " رضى الله عنه " ، أو تقدير الكلام إلا تتصروه فقد أوجب الله له النصر فى كل حال وكل وقت ، حتى نصره فى ذلك الوقت الذى لم يكن معه جيش ولا أنصار منكم. (٣) وليس أدل من هذه العداوة الظاهرة ما أكده القرآن فى قوله (... وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ). (٤)

٨- إرادة الله فى إحقاق الحق بالخروج للقتال

ومن الأسباب التى ذكرها القرآن فى سبب الإخراج إحقاق الحق فى قوله تعالى : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

^١ المرجع السابق - ج ٥ ص ٢٧

^٢ سورة التوبة - الآية (٤٠)

^٣ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ١ ص ٤٢٦

^٤ سورة البقرة - الآيتان (٢١٧)

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
* لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ). (١)

" أى بسبب الحق الذى وجب عليك وهو الجهاد ، والمراد من البيت مسكنه صلى الله عليه وسلم أو المدينة نفسها لأنها مثواه وإضافة الإخراج إلى الرب ، إشارة إلى أنه كان بالوحي ومعنى الآية حالهم هذه فى كراهة ما وقع من أمر الأنفال كحال إخراجك من بيتك فى كراهتهم له وهو حق " وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون " الخروج إما لعدم الاستعداد للقتال أو للنفرة الطبيعية عنه ، وهذا مما لا يدخل تحت القدرة والاختيار ، فلا يرد أنه لا يليق بمنصب الصحابة (ليحق الحق ويبطل الباطل) أى لهذه الغاية فعل ما فعل ، ومعنى احقاق الحق إظهار حقيقته وكذا ابطال الباطل (ولو كره المجرمون) ، ذلك أعنى احقاق الحق وابطال الباطل والمراد بهم المشركون لا من كره الذهاب إلى النفيير لأنه لا جرم منهم " (٢)

٩- نصره الدين وعدم قبول الذل والهوان

لقد كتب الله على بعض المؤمنين الهجرة والإخراج نصره للدين ، وعدم القبول بالذل والهوان الذى يفرضه الواقع أحياناً ، وتسلب المجرمين على المؤمنين ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا). (٣)

" إن الذين تتوفاهم الملائكة حين انتهاء آجالهم ، حالة كونهم ظالمى أنفسهم بترك الهجرة ، ورضاهم الإقامة فى دار الشرك ، نقول لهم أى للمتوفين الملائكة توبيحاً لهم ، وتقريعاً فى أى شىء كنتم من أمر دينكم ، أى إنهم لم يكونوا فى شىء منه ، لقدرتهم على الهجرة ولم يهاجروا ، وهؤلاء كانوا ناساً من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا ، حين كانت الهجرة فريضة ، فقالوا معتذرين عما وبخوا به بغير العذر الحقيقى كنا مستضعفين ومستذلين فى مكة ، فلم نقدر على إقامة الدين وواجباته ، وهذه حجة واهية لم تقبلها الملائكة ، فردوا عليهم المعذرة قائلين ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ المراد أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ، ومن الهجرة إلى

^١ سورة الأنفال - الآيتان (٥ ، ٨)

^٢ المقتطف من عيون التفسير - العلامة مصطفى الخيري المنصوري - تحقيق محمد على الصابوني - ج ٢ ص ٣٢٠

^٣ سورة النساء - الآيتان (٩٧-٩٩)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة " . (١)
والآية فيها من الإشارة الواضحة بترك المكان الذي لا يتمكن فيه الرجل من إقامة
دينه بأى سبب ويستثنى من ذلك المستضعفون من الرجال والنساء والولدان ، العجزة عن
هذا التكليف فقد سقط الإثم والحرَج عليهم وعسى الله أن يعفو عنهم .

١٠ - فضح المنافقين وإظهار مكائدهم

والنفس البشرية لا يظهر صدق انتماؤها إلا بالتكاليف الشرعية ، ومن أعظم هذه التكاليف
الشرعية التي أظهرت فساد أخلاقهم ، وسوء نياتهم ، ما ذكره الله من تقاعسهم عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متعللين بالحجج الواهية ، والأعذار الباطلة ، قال تعالى
: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ
الْقَاعِدِينَ). (٢). وهكذا لما أنهم أبطنوا سوء النية ، وعمدوا إلى عدم الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، علماً أنهم كانوا مياسير ، إلا أن الله كره انبعاثهم ، ونهوضهم للخروج
فكسلهم وضعف رغبتهم ، وذمهم وألحقهم بالنساء والصبيان ، والزمى الذين شأنهم القعود
فى البيوت ، إذ أن خروجهم مع المؤمنين لا يزيد إلا فساداً وشراً ، وسعيّاً بالتضريب والنمائم ،
وإفساد ذات البين طلباً للفتنة، وإشغالها وهى عادتهم من قبل ذلك فى تدبير الحيل والمكائد ،
وتدوير الآراء فى إبطال أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، لكن جاء أمر الله ، وظهر نصره
للمؤمنين ، وغلب دينه ، وعلا شرعه رغم كراهية المنافقين وفتنهم (٣).

١١ - إجابة دعاء المؤمنين

وقد يكون الإخراج خلاصاً للمؤمنين ونجاة لهم ، وفرجاً بعد الشدة ، التى كانوا يلاقونها على
أيدى الكافرين فيستجيب الله دعاءهم ، ويجعل لهم فرجاً ومخرجاً بنجاتهم من أيدي الظالمين ،
قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا
مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا). (٤) ، " كانوا يدعون الله بالخلّاص ويستتصرونه ، فيسر الله لبعضهم

^١ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي - ج ٥ ص ٢٢٨

^٢ سورة التوبة - الآيات (٤٦- ٤٨)

^٣ انظر : تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى - ج ٢ ص ١٨٦

^٤ سورة النساء - الآية (٧٥)

الخروج إلى المدينة ، وبقي بعضهم إلى الفتح ، حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر، وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر " (١)

" والحديث عن المستضعفين الذين يستدلون فيه من الدلالة ، ما يلفت النظر " وقد جعل الله هؤلاء سبيلاً لاثارة النخوة وهز الأريحية ، وإيقاظ شعور الرحمة والأنفة ، فوصفهم بما يجعل نفس الحر تشتعل حماسة وغيره على إنقاذهم والسعى فى رفع الظلم عنهم ، فقال :

" أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها " أى أن هؤلاء المستضعفين فقدوا النصير والمعين وتقطعت بهم أسباب الرجاء ، فاستغاثوا بربهم ودعوه ليفرج كربهم، ويخرجهم من تلك القرية (مكة) لظلم أهلها لهم ، ويسخر لهم بعنايته من يتولى أمرهم، وينصرهم على من ظلمهم، فيتمكنوا بذلك من الهجرة إليكم، ويرتبطوا بكم أقوى الروابط " . (٢)

ثانياً : الدوافع البشرية :

ودوافع الإخراج البشرية على قسمين :

قسم دوافعه داخلية ذاتية تتعلق بالفئة المؤمنة ومنهجها ، ودوافع خارجية غير ذاتية تتعلق بالفئة المجرمة الكافرة ، وما تخطط به للمؤمنين ، وإليك بيانها بالآتى :

القسم الأول : الدوافع الداخلية

١ - الإستجابة للتكليف الشرعى :

ومن أبرز أسباب ودوافع الإخراج والهجرة ، أن يكون السبب المباشر فى ذلك أنه تكليف وأمر من الله سبحانه وتعالى ، يأمر به عباده المؤمنين ، فقد أمر الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهجرة ، وأمر من قبل إبراهيم ولوطاً عليهما السلام .

^١ انظر : تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى - ج ٢ ص ٣٤٥

^٢ تفسير المراعى - أحمد مصطفى المراعى - ج ٢ ص ٩٢

وقد عنون الإمام البخارى باباً سماه باب هجرة الحبشة ، وقالت عائشة : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لأبنتين " ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، (١) وذكر الامام ابن حجر فى الفتح عن ابن إسحاق أن السبب فى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم : " إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً " ، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال : أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما ، فقدمت امرأة ، فقالت له : لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال : " صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط " . (٢) وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين" . (٣) قال الله تعالى : "والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا" . (٤) (والذين آمنوا ولم يهاجروا المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ، ولما أبقي للذين لم يهاجروا اسم الإيمان ، وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة ، دل على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان) (٥) . (إن هذه الهجرة كانت فرضاً فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى باقية مفروضة إلى يوم القيامة ، والتى انقطعت بالفتح إنما هى القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن بقى فى دار الحرب عصى) . (٤)

٢ - القيام على حماية الدعوة والدعاة :

ومن دوافع الإخراج التى شرعت ، والتى لا تخفى على ذي بصيرة ، أنها جاءت لحماية الدعوة الإسلامية ، وحماية الدعاة المؤمنين ، ولا شك أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت موضحة لهذا المعنى ، وهى سنة ربانية جرت فيها أقدار الله على الأنبياء من قبل ،

^١ صحيح البخارى - كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة الحبشة - حديث مقدمة الباب - ج ٢ ص ٤٦٠

^٢ فتح الباري - ابن حجر العسقلانى - - كتاب مناقب الأنصار - - باب هجرة الحبشة - ج ٩ ص ٤٣ - ٤٦

^٣ صحيح البخارى - كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة - حديث رقم ٣٩٠٢ -

ج ٣ ص ٤٦٨

^٤ سورة الأنفال - الآية (٧٢)

^٥ تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى - ج ٢ ص ١٦٣

^٤ الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٥ ص ٢٢٤

فهذا نبي الله موسى عليه السلام يتعرض للمكر والأذى ، فلا تكون نجاته ودعوته إلا بالخروج ، قال تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ). (١)

وقد ذكر القرآن صورة العذاب الواقعة على المؤمنين ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (٢) ، وهذه الآية في سورة النحل وهي سورة مكية ، وهي أول آية تذكر الهجرة للمؤمنين المستضعفين في مكة ، وتبعث في النفس المهاجرة الأثر الطيب ، والحسنة المباركة من حسنات الدنيا . " والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا "هم رسول الله وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، فجمع بين الهجرتين ، ومنهم من هاجر إلى المدينة .

" لنبوتنهم في الدنيا حسنة " صفة للمصدر أي تبوءة حسنة ، أو لنبوتنهم مباءة حسنة وهي المدينة ، حيث آوهم أهلها ونصروهم ، " ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . " الذين صبروا أي هم الذين صبروا ، أو أعنى الذين صبروا ، وكلاهما مدح ، أي صبروا على مفارقة الوطن ، الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب ، فكيف بقلوب مسقط رؤوسهم ، " وعلى ربهم يتوكلون " أي يفوضون الأمر إلى ربهم ، ويرضون بما أصابهم في دين الله . (٣)

(عن عائشة رضي الله عنها : لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه ، فقد جعل الله له منعة ، وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة ، وجعل البلاء يشد على المسلمين من المشركين ، لما يعلموه من الخروج ، فضيقوا على أصحابه وتعبثوا بهم ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستأذنوه في الهجرة .

... فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك . كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب ، وما يروونه من المشركين من ألوان الهزاء والسخرية ، فلما أذن لهم الرسول بالهجرة أصبحت فتنتهم في

^١ سورة القصص - الآية (٢٠ - ٢٢)

^٢ سورة النحل - الآية (٤١)

^٣ تفسير النسفي - الامام عبد الله النسفي - ج ٢ ص ٤١٣ - بتصريف

ترك وطنهم ، وأموالهم ، ودورهم ، وأمتعتهم ، ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم . (١)

٣- ممارسة مفهوم الولاء والبراء :

ومن أسباب الإخراج أن القرآن أمر به ، وأوصى حفاظاً على مفهوم الولاء والبراء ، وصيانة لهذا المبدأ العظيم من أركان ديننا الحنيف ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (٢)

(بعد أن أبان الله تعالى قواعد الحرب والسلام مع الكفار ، وحكم معاملة الأسرى ، ختم السورة ببيان قرابة الإسلام ، ورابطته البديلة عن علاقة الكفر ، وهي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، بمقتضى الإيمان والهجرة ، وفي مقابلة ولاية الكافرين بعضهم لبعض ، ولكن بشرط المحافظة على العهود والمواثيق مع الكفار مدة العهد .

إن الذين صدقوا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة ، وظلوا مقيمين في أرض الشرك تحت سلطان المشركين ، أى في دار الحرب والشرك ، لا يثبت لهم ولاية (نصره) المؤمنين الذين في دار الإسلام ، أما من أسره الكفار من أهل دار الإسلام فله حكم أهل هذه الدار .

إن الولاية منقطعة بين أهل الدارين إلا في حالة واحدة ، ذكرها تعالى بقوله : " وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير " . ومن أجل دعم الولاية (التناصر والتعاون) بين المهاجرين والأنصار ، ذكر الله تعالى حال الكفار في مواجهة المؤمنين ، ليكونوا صفاً واحداً تجاههم ، وليعلموا قطع الموالات بينهم وبين الكفار ، فقال : " والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم " .

^١ فقه السيرة النبوية - د.محمد سعيد رمضان البوطي - ص ١٢٩ - بتصرف

^٢ سورة الأنفال - الآيات (٧٢ - ٧٥)

أى أن الله تعالى يخبر عنهم بأنهم هم المؤمنون حق الإيمان وأكمله ، دون من لم يهاجر وأقام بدار الشرك مع حاجة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى هجرته ، وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة التامة والصفح عن ذنوبهم إن كانت ، وبالرزق الكريم فى الجنة . (١)

٤ - الاتقياد لمقتضيات يفرضها شرع الله :

وقد يكون الإخراج علاجاً يلجأ إليه أهل الإسلام ، ويفرضونه حماية للأمة على مصالحها ، وأمر دينها ، فقد يظهر المفسدون ويحاربوا أهل الإسلام ، وقد يكون الإخراج سبباً لإهلاكهم ، وكسر شوكتهم ، قال تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . (٢) .

" أو ينفوا من الأرض " قال السدى : هو أن يطلب أبداً بالخيل والرجل حتى يؤخذ فيقام عليه حد الله ، أو يخرج من دار الإسلام هرباً ممن يطلبه ، وحكى عن الشافعى أنهم يخرجون من بلد إلى بلد ، ويطلبون لتقام عليهم الحدود ، وقال الليث بن سعد والزهرى أيضاً ، وقال مالك أيضاً ، والكوفيون : نفيهم سجنهم ، فينفي من سعة الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سجن فقد نفي من الأرض إلا من موضع استقراره .

حكى مكحول (٣) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من حبس فى السجن ، وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ، ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذيهم ، والظاهر أن الأرض فى الآية هى أرض النازلة (٤) وما يلحق بهؤلاء المفسدين من إخراجهم من الديار لفسادهم وإفسادهم ، ذكره القرآن بحق آخرين وهم الزناة ، فقال الله تعالى : (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهَذَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) . (٥) هذه الآية الكريمة فيها حكم الزانى فى الحد ، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ، فإن الزانى لا يخلو إما أن يكون بكاراً ، وهو الذى لم يتزوج أو محصناً ، وهو الذى وطىء فى نكاح صحيح ، وهو حر بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكاراً لم يتزوج ، فإن

^١ التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج ١٠ ص ٨٤ - ٨٦ - بتصرف

^٢ سورة المائدة - الآيتان (٣٣ - ٣٤)

^٣ مكحول الشامي أبو عبد الله ثقة فقيه كثير الإرسال مشهور من الخامسة مات سنة بضع عشرة ومائة روى له البخارى فى جزء القراءة ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

^٤ الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٦ ص ١٠٠

^٥ سورة النور - الآيتان (١ - ٢)

حده جلد مائة كما فى الآفة ، ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله ، فإن عنده أن التغريب إلى رأى الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يغرب (١)

وفى شرع الله يجوز للإمام أن يقدر مسألة الطرد والإخراج من البلاد لظروف وأحكام معينة سنعرضها فى حينه .

٥- إظهار عظمة الدين :

ومن دوافع الإخراج إظهار عظمة هذا الدين بالامتنال إلى ما أقره على عباده المؤمنين ، من مواجهة هؤلاء الكافرين الطامعين فى إذلال المؤمنين ، فإنهم تسبوا فى إخراج الموحدين من أرضهم وأوطانهم ، ولا سبيل لأن يعز هذا الدين إلا أن تكون المعاملة بالمثل ، قال الله تعالى : (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ...) . (٢)

" وإذا نشب القتال بينكم وبين أعدائكم فاقتلوهم أينما أدرتكموهم ، وحيثما وجدتموهم ، ولو فى أرض الحرم ، وأخرجوهم أو أجلوهم من المكان الذى أخرجوكم منه وهو مكة ، فإنهم أخرجوكم من وطنكم وهو مكة ، وتعاونوا على إخراجكم منها ، وصادروا أموالكم ، وأخذوا ممتلكاتكم ، وفتنوكم عن دينكم بالإيذاء والتعذيب ، والاضطهاد ، وبسبب عقيدتكم ، وهذه الصفة فى الدين أشد على المؤمن الحر الأبي من قتل النفوس ، لأن العقيدة أقدس شىء فى الوجود " . (٣)

وانظر إلى أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى اليهود والمشركين ، حيث أمره فقال تعالى : (فَإِمَّا تَقَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) . (٤)

" فإما تصادفهم وتظفرون بهم " فشرد بهم من خلفهم " ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة، والنكاية فيهم من ورائهم من الكفرة ، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم ، واتعاضاً لهم بحالهم " لعلهم يذكرون " لعل المشركين من ورائهم يتعظون " . (٥)

٦- الجهاد فى سبيل الله وابتغاء مرضاته :

ومن دوافع الإخراج أن يكون من أسبابه تحقيق مرضاة الله سبحانه، والجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ

^١ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٣ ص ٢٦٨

^٢ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٣ التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج ٢ ص ١٥٩ - بتصرف

^٤ سورة الأنفال - الآية (٥٧)

^٥ تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى ج ٢ ص ١٥٧

كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ). (١)

إن ولايته لا تصح إلا بالإيمان ، ولا يثبت الإيمان إلا بدلائله من الأعمال ، ولا تصح الأعمال إلا بالإخلاص ، ولا يكون الإخلاص إلا بمباينة الأعداء " إن كنتم " أى كوناً راسخاً حين أخرجوكم من أوطانكم لأجل إيمانكم بى " خرجتم " أى منها ، وهى أحب البلاد إليكم " جهاداً " أى لأجل الجهاد " فى سبيلى " أى بسبب إرادتكم تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى أن يسلكوها " وابتغاء مرضاتى " أو لأجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضائى. (٢)

القسم الثانى : الدوافع الخارجية

والدوافع الخارجية هى التى سلكها المجرمون فى خطتهم ومنهجهم من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين ، وتمثلت هذه الدوافع فى عدة نقاط :

١ - سياسة الكفار الإجرامية :

وهى سياسة اعتمدها الكفار متمثلة فى مكرهم وتخطيطهم ، وتفكيرهم فى الانتقام من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، قال تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ). (٣)

وهو تصوير مخيف لموقف هؤلاء المجرمين وهم يبيتون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة الهجرة ، ويتآمرون عليه ، " لقد كانوا يمكرون ليؤتقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت ، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه ، أو ليخرجوه من مكة منفياً مطروداً ، ولقد اتنمروا بهذا كله ، ثم اختاروا قتله على أن يتولى ذلك المنكر فتية من القبائل جميعاً ، ليتفرق دمه فى القبائل ، ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهى الأمر، والصورة التى رسمها قوله تعالى : " ويمكرون ويمكر الله " صورة عميقة التأثير ، ذلك حين

^١ سورة الممتحنة - الآية (١)

^٢ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - الامام برهان الدين أبى الحسين ابراهيم بن عمر البقاعى ج ٧ ص ٥٤٩

- بتصرف

^٣ سورة الأنفال - الآية (٣٠)

تتراعى للخيال ندوة قريش ، وهم يتآمرون ويتذكرون ويدبرون ويمكرون ، والله من ورائهم محيط يمكر بهم ويبطل كيدهم وهم لا يشعرون . إنها صورة ساخرة ، وهى فى الوقت ذاته صورة مفزعة ، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل ، من تلك القدرة القادرة ، قدرة الله الجبار ، القاهر فوق عباده ، الغالب على أمره ، وهو بكل شىء محيط . (١)

وهى ذاتها المؤامرة التى تأمر بها المجرمون على نبي الله موسى حين فكروا بقتله ، والقضاء عليه فكان خروجه سبباً ودرءاً لهذه السياسة الإجرامية ، قال الله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). (٢)

يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ، أو يتشاورون بسببك ، والائتمار التشاور، يقال الرجلان يتآمران ويتآمران ، لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشىء أو يشير عليه بأمر . (٣)

٢- الأذى والاضطهاد :

وهى الصورة الأبرز فى هذا الباب إذ أن المجرمين فى كل زمان ومكان ، اعتمدوا مبدأ الأذى والاضطهاد ، للمؤمنين ، وقد رسم السياق القرآنى آيات بينات فى أكثر من موضع لهذا الجانب ، قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). (٤) ، وقال تعالى : (...لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِّنْ قَرْيَتِنَا...). (٥) وقال تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ). (٦)

وقال تعالى : (...فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). (٧) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (٨) ، وقال تعالى : (...فَقَاتِلُوا ثُمَّ جَاهِدُوا

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٣ ص ٨٤٤

^٢ سورة القصص - الآيات (٢٠ - ٢٢)

^٣ تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى ج ٧ ص ٣٣٤

^٤ سورة ابراهيم - الآية (١٣)

^٥ سورة الأعراف - الآية (٨٨)

^٦ سورة محمد - الآية (١٣)

^٧ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

^٨ سورة النحل - الآية (٤١)

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). (١) فالذين هاجروا أى صدقوا إيمانهم بمفارقة أحب الناس إليهم فى الدين المؤدى إلى المقاطعة وأعز البلاد عليهم ، ولما كان للوطن من القلب ما ليس لغيره نبه عليه بقوله : " وأخرجوا من ديارهم " أى وهى أثر المواطن عندهم بعد أن باعدوا أهلهم وهم أقرب الخلائق إليهم ، ولما كان الأذى مكروهاً لنفسه لا بالنسبة إلى معين بنى للمفعول قوله " وأوذوا " أى بغير ذلك من أنواع الأذى " فى سبيلى " أى بسبب دينى الذى نهجته ليسلك إلي فيه ، وحكمت أنه لا وصول إلى رضائى بدونه " وقاتلوا " أى فى سبيلى (٢)

٣- التخوف من المؤمنين :

لقد كان التخوف من المؤمنين ركناً أساسياً فى اعتماد مبدأ الإخراج للمؤمنين فى منهج الكافرين ، ولذلك صرح القرآن ما جاء على لسان فرعون : (...إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ...). (٣) وكان سبب هذا التخوف من أمور عديدة منها خوف المشركين من امتداد دعوة المسلمين وبلوغها إلى قلوب العامة ، ومنها خوفهم من تزايد عدد المسلمين ونموهم السكانى ، ومكائرتهم للمشركين ، ومنها أنهم كانوا يتخوفون من سلطان المسلمين وامتداد تواجدهم ، وقوة مراكزهم وسعة نفوذهم ، ومنها التخوف من هيمنة الفكر الإسلامى وطهارته ونظافته على أخلاق الناس ، وعلى كل فالتخوف من المؤمنين له جوانب كثيرة أحببنا أن نهتم بأبرزها إذ شخصية الكافر والمنافق كما صورها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (...يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ...). (٤)

قال تعالى: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ). (٥) ، وقال تعالى : (قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى). (٦) ، وقال تعالى: (...إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا...). (٧)

وقال تعالى: (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ). (٨) ، وقال تعالى (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ). (١) ، وقال تعالى: (يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى

^١ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٢ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - الامام برهان الدين أبى الحسين ابراهيم بن عمر البقاعى ج ٢ ص ٢٠٠

^٣ سورة غافر - الآية (٢٦)

^٤ سورة المنافقون - الآية (٤)

^٥ سورة البروج - الآية (٨)

^٦ سورة طه - الآية (٥٧)

^٧ سورة الأعراف - الآية (١٢٣)

^٨ سورة الأعراف - الآية (١١٠)

الْمَدِينَةَ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...). (٢) ، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ). (٣)

(يا عجباً أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليبقى فيها الملوثون المذنسون، ولكن لماذا
العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون ، فلا ينغمسون فى
الوحل الذى ينغمس فيه مجتمعات الجاهلية ، وتسميه تقدمية ، وتحطيماً للأغلال عن المرأة
وغير المرأة ، أليست تطاردهم فى أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك
ولا تطيق أن تراهم يتطهرون لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين المذنسين القذرين ، إنه
منطق الجاهلية فى كل حين). (٤)

(ولقد أدرك فرعون وملؤه خطر الدعوة إلى رب العالمين ، وأحسوا أن توحيد الربوبية
معناه سلب سلطان فرعون – سلطانهم المستمد منهم – فعبروا عن هذا الخطر بأن موسى
يريد أن يخرجهم من أرضهم ... وما أرادوا إلا أن هذه الدعوة إلى رب العالمين لا تحمل إلا
مدلولاً واحداً ، هو انتزاع السلطان من يد العبيد والطواغيت ، وردة إلى صاحبه سبحانه
وهذا معناه من وجهة نظرهم الإفساد فى الأرض ، أو كما يقال اليوم فى قوانين الجاهلية لمثل
هذه الدعوة بذاتها : إنها محاولة لقلب نظام الحكم). (٥)

وهكذا تتضح لنا معالم الجاهلية وهي تحاول جاهدة طمس معالم الإسلام ، وملاحقة المسلمين ورصد
حركاتهم ، واستئصال شأفتهم ، وقتل مستقبلهم ، لكنها إرادة الله أن ينصر دينه ويؤيد رسله .

٤ - فتنة الحسد :

ومن دوافع الإخراج أن يكون الحسد سبباً فى إخراج المؤمنين وطرحهم وطردهم وإقصائهم ،
قال تعالى : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا
صَالِحِينَ). (٦)

" لقد دفع التباغض والتحاسد والغيرة إخوة يوسف على تدبير مؤامرة لقتله أو إلقائه فى بادية
بعيدة عن الناس حتى يهلك ، أو يأخذه بعض التجار المسافرين ويتملكونه، لأن خبر المنام
بلغهم ، فتأمروا على كيدته ، أو لمجرد الغيرة الشديدة من عاطفة أبيهم نحو يوسف وأخيه ،
أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد، ويورث الآفات، لكن يعقوب عليه

^١ سورة الشعراء - الآية (٣٥)

^٢ سورة المنافقون - الآية (٨)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٨٢)

^٤ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٣ ص ٥٥٥

^٥ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٣ ص ٥٧٤

^٦ سورة يوسف - الآية (٩)

السلام العالم بذلك لم يفضل ولديه يوسف وأخيه إلا فى المحبة، والمحبة ليست فى وسع البشر، فكان معذوراً فيه، ولا لوم عليه" (١)

٥- الكبر والبطر :

وهو داء دفين يظهر على فلتات اللسان فيما صوره القرآن الكريم لأولئك النفر من المشركين فى طلبهم طرد المؤمنين ، وعدم مجالستهم ، قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ). (٢)

(جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم " إنهم ملاقوا ربهم " فيشكوننى إليه إن طردتهم " ولكنى أراكم قوماً تجهلون " تتسافهون على المؤمنين ، وتدعونهم أراذل ، أو تجهلون لقاء ربكم ، أو أنهم خير منكم). (٣)

٦- كراهية إيمان المؤمنين :

ومن عجيب القول أن يصل الحال بالكافرين أن يضيقوا ذرعاً بهؤلاء الموحدين ، وأن يخرجوهم من ديارهم ، ويظاهروا على إخراجهم بسبب إيمانهم بالله ، وتوحيدهم له سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ). (٤)

قال الامام النسفى : " أن تؤمنوا " تعليل ليخرجون أى يخرجونكم من مكة لإيمانكم " بالله ربكم ". (٥)

٧- مكر المنافقين :

والمنافقون لهم دور بارز فى الدس والمكر لإخراج المؤمنين ، ولهم نصيب كبير فى محاولات الإخراج من خلال ما بينه السياق القرآنى والسيرة العطرة ، قال تعالى : (يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...). (٦) ، ذكر الإمام البغوى فى تفسيره فى أسباب نزول الآيات المتعلقة بذلك فى سورة المنافقون الحادثة التى نزلت بعد غزوة بنى

^١ التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج ٣ ص ٢١٥

^٢ سورة هود - الآيتان (٢٩ ، ٣٠)

^٣ تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى ج ٢ ص ٢٦٧

^٤ سورة المتحنة - الآية (١)

^٥ تفسير النسفى - الامام عبد الله النسفى ج ٤ ص ٣٦١

^٦ سورة المنافقون - الآية (٨)

المصطلق ، وفيها أن غلامين للأنصار والمهاجرين اقتتلا عند بئر الماء ، ونادى كل واحد منهما على قومه ، فقال ابن أبي : افلوها فقد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما مثنا ومثلهم إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل ، يعنى بالأعرز نفسه ، وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ، ولتحولوا إلى غير بلادكم ، فلا تبقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد ، فقال زيد بن أرقم : أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين . (١)

٨- الإصرار على مخالفة الشرائع والمواثيق :

دأب اليهود خاصة على مخالفة تعاليم التوراة بممارسات كشف القرآن عن صورتها الحقيقية ، حيث أخذ عليهم الميثاق أن لا يغيروا ولا يبدلوا ، ولا يكفروا بعهد الله وآياته ، وألا يمارسوا أموراً واضحة في المخالفة لدين الله ، ومنها الإخراج من الديار ، فكان سبب إخراجهم للمؤمنين ، وإخراجهم لبعضهم البعض حرصهم الشديد على مخالفة التعاليم والمواثيق ، قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ٨٤ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُقَادُوهُمْ وَهُوَ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون). (٢)

" واذكر يا محمد لليهود وقت أخذنا عليهم في التوراة العهد بأن لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من دياره ووطنه ، ثم أقررتم أيها اليهود والمعاصرون بالميثاق الذي أخذ على أسلافكم ولم تنكروه فالحجة قائمة عليكم ، ثم أنتم بعد الإعراف بالميثاق تنتقضون العهد فيقتل بعضهم بعضاً كما كان يفعل من قبلكم ، فكانت بنو قينقاع أعداء بنى قريظة ، وكان يهود بنى قريظة حلفاء الأوس ، يقاتلون يهود بنى النضير حلفاء الخزرج ، إذا تقاتل الأوس والخزرج أو كان مقتضى الإتفاق في الدين واللغة والنسب بين اليهود أن يكونوا جميعاً صفاً واحداً.

^١ معالم التنزيل - البغوى - ج ٥ ص ٢٨٩

^٢ سورة البقرة - الآيتان (٨٤ ، ٨٥)

وكذلك كان كل من اليهود يعاون حلفاء على إخوانه اليهود بالإثم كالقتل والسلب والنهب والعدوان ، كالإخراج من الديار .
وكانوا إذا تم الإتفاق على مفاداة الأسرى ، يفدى بالمال كل فريق من اليهود أبناء جنسه ، عملاً بالكتاب المقدس ، مع أن السبب الذى أدى إلى الأسر ، وهو الطرد والإجلاء محرم عليكم فى التوراة كتحريم القتل ، فكيف تؤمنون ببعض الكتاب ، وتمتثلون حكم مفاداة الأسرى ، وتكفرون بالأحكام الأخرى ، فترتكبون جرائم القتل والإخراج ، والتعاون بالإثم والاعتداء ، علماً بأن الإيمان بشيء لا يتجزأ ، والكفر ببعضه كالكفر ب كله " (١)
وهكذا تتضح لنا البواعث الحقيقية التي يسلكها أهل الإجرام في تنفيذ خطتهم وبرامجهم لؤاد المسلمين ، إنها النفس الشريرة الأثمة واليد القاتلة ، والروح التي تأصل فيها قتل الآخرين ، فتحركت في الظلام ، لتمكر وتخطط وتفكر ولكنها نسيت شيئاً واحداً ، نسيت الله ونسيت قدرة الله .

المبحث الخامس

آثار الإخراج ونتائجه

الحديث عن آثار الإخراج ونتائجه ، يظهر لنا أن هذه الآثار تدور بين آثار حسنة إيجابية ، وآثار سيئة سلبية ، وإليك بيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : الآثار الإيجابية :-

١ - نصره دين الله :

^١ التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج١ ص ٢١٦

اعتبر القرآن حادثة الإخراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم - الهجرة - نصراً عظيماً فى المفهوم الديني ، قال تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...). (١)

فمن أهم مواطنه هو النصر فى الهجرة ، ونرى قوله تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...) أن نصر الله له ثلاثة أزمنة و إذ تكررت ثلاث مرات ، فسبحانه يقول : " إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " أى أننا أمام ثلاثة أزمنة ، زمن الإخراج ، وزمن الغار ، والزمن الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر " لا تحزن إن الله معنا " وقد جاء النصر فى هذه الأزمنة الثلاثة فى ساعة الإخراج من مكة ، وساعة دخل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر إلى الغار ، وساعة حديثه مع أبي بكر ولسائل أن يسأل : هل أخرج الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؟ أم أن الله هو الذى أخرجه ؟ ونقول : إن عناد قومه وتآمرهم عليه وتعنتهم أمام دعوته كل ذلك اضطره إلى الخروج ، ولكن الحق أراد بهذا الخروج هدفاً آخر غير الذى أراده الكفار ، فهم أرادوا قتله ، وحين خرج ظنوا أن دعوته سوف تختنق بالعزل عن الناس ، فأخرجه الله لتتساح الدعوة وأوضح لهم سبحانه : أنتم تريدون إخراج محمد بتعنتكم معه ، وأنا لن أمكنكم من أن تخرجه مذبذباً ، وسأخرجه أنا مدعوماً بالأنصار ... ففكرة الهجرة مسبوقة مع البعثة ، ولأن البعثة هى الصيحة التى دوت فى آذان سادة قريش ، وهم سادة الجزيرة ، ولو صاحبها فى آذان قوم ليسوا من سادة العرب ، لقالوا : استضعف قوماً

فصاح فيهم ، ولكن صيحة البلاغ جاءت فى آذان سادة الجزيرة العربية كلها ، فانطلقوا فى تعذيب المسلمين ليقضوا على هذه الدعوة ، وشاء الله سبحانه وتعالى ألا ينصره بقريش فى مكة ، لأن قريشاً ألفت السيادة على العرب ، فإذا جاء رسول هداية الناس عاممة إلى الإسلام ، لقال من أرسل فيهم : لقد تعصبت له قريش لتسود الدنيا كما سادت الجزيرة العربية ، فأراد الحق سبحانه أن يوضح لنا : لا لقد كانت الصيحة الأولى فى آذان سادة العرب ، ولا بد أن يكون نصر الإسلام ، الإنسيح الدينى لا من هذه البلدة بل من بلد آخر ، حتى لا يقال : إن العصبية لمحمد هى التى خلقت الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى خلق العصبية لمحمد صلى الله عليه وسلم ... والإخراج نفسه فيه نصر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وحده

^١ سورة التوبة - الآية (٤٠)

من بيته ، الذى أحاط به شباب أقوياء من كل قبائل العرب ليضربوه ضربة رجل واحد ، وينثر عليهم التراب فتغشى أبصارهم ، وكان أبو بكر رضى الله عنه ينصره فى الخارج ، وكان الحق سبحانه وتعالى يريد أن يثبت لهم أنهم لن ينالوا من محمد لا بتأمر خفي ، ولا بتساند عنى ، وهذا نصر من الله . (١)

٢ - المؤاخاة بنصرة الأنصار للمهاجرين :

وكان من أبرز نتائج الهجرة والإخراج ما يسره الله لنصرة المؤمنين المهاجرين من إخوانهم الأنصار ، الذين آووا ونصروا وقدموا وما بخلوا فى أعظم مؤاخاة حصلت فى وجه التاريخ ، وقد عبر عنها القرآن بقوله : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (٢)

" والآية دليل على اتصاف الأنصار بصفات خمس : وهى استيطانهم دار الهجرة مسبقاً وجعل الإيمان مستقراً ووطناً لهم ، ومحبتهم إخوانهم المهاجرين ، وترفعهم عن الجشع والطمع والحسد والحزاة ، وإيثارهم المحتاجين على أنفسهم ، ولو كان بهم حاجة ، واتصافهم بالجود والبعد عن الشح ، لذا وصفوا بأنهم المفلحون الظافرون بما أرادوا " (٣)

" لم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم ، وبهذا البذل السخي ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصاري إلا بقرعة ، لأن عدد الراغبين فى الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين ، " ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا " مما يناله المهاجرون من مقام مفضل فى بعض المواضع ، ومن مال يختصون به كهذا الفىء فلا يجدون فى أنفسهم شيئاً من هذا ، ولا يقول حسداً ولا ضيقاً ، إنما يقول " شيئاً " مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم ، والبراءة المطلقة لقلوبهم فلا تجد شيئاً أصلاً " . (٤)

٣ - المغفرة والجنة :

فالثواب والجزاء بالجنة والمغفرة كان يتراءى للمهاجرين ، ويذكر ذلك السياق القرآنى قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن

^١ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٨ ص ٥١٢٥

^٢ سورة الحشر - الآية (٩)

^٣ التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج ٢٨ ص ٨٤

^٤ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٨ ص ٤٠

بَعْضِ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). (١)

بين تعالى حال المهاجرين ، ثم الآية بعد تتسحب على كل من أودى في الله تعالى وهاجر أيضاً إلى الله تعالى ، وإن كان اسم الهجرة وفضلها الخاص بها قد انقطع بعد الفتح ، فالمعنى باقٍ إلى يوم القيامة ، " والله يضاعف لمن يشاء " وهاجر مفاعلة بين اثنين ، وذلك أن الذي يهجر وطنه وقرابته في الله ، كان الوطن والقرابة يهجرونه أيضاً فهي مهاجرة ، وقوله تعالى : " وأخرجوا من ديارهم " عبارة إلزام ذنب للكفار ، وذلك أن المهاجرين إنما أخرجهم سوء العشرة ، وقبيح الأفعال فخرجوا باختيارهم وإذا جاء الكلام في مضمار الفخر والقوة على الأعداء ، تمسك بالوجه الآخر من أنهم خرجوا برأيهم . (٢)

" إنه ليس مجرد التفكير ومجرد التدبر ، وليس مجرد الخشوع والارتجاف ، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات ، والنجاة من الخزي والنار ، إنما هو " العمل " ، العمل الإيجابي الذي ينشأ عن هذا التلقي وعن هذه الإستجابة ، وعن هذه الحساسية الممتلئة في هذه الارتجافة.

العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكير والتدبر ، والذكر والإستغفار والخوف من الله ، والتوجه إليه بالرجاء بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة ، ثم تفصيل للعمل تبين منه تكاليف هذه العقيدة في النفس والمال ، كما تبين منه طبيعة المنهج ، وطبيعة الأرض التي يقوم عليها وطبيعة الطريق وما فيه من عوائق وأشواك ، وضرورة مغالبة الأشواك ، وتكسير الأشواك

وقد كانت هذه صورة الداعين المخاطبين بهذا القرآن أول مرة ، الذين هاجروا من مكة وأخرجوا من ديارهم ، في سبيل العقيدة ، وأودوا في سبيل الله لا في أى غاية سواه ، وقاتلوا وقتلوا ... (٣)

٤ - نجاة المهاجرين والمخرجين :

ولعل من الآثار الظاهرة للإخراج والهجرة تحقيق مبدأ النجاة ، فالجاهلية لا ترغب في أن ترى موحداً مسلماً في الطريق ، إذ منهجها الاستئصال والتخلص من الموحدين ، قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى

^١ سورة آل عمران - الآية (١٩١)

^٢ المحرر الوجيز - للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي - ج ٣ ص ٣٢٤ - بتصريف

^٣ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٢ ص ١٩٥

قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). (١)

والقرآن يحذر المؤمنين من البقاء في أرض كفر يفتن المرء فيها عن دينه ، ولا يستطيع أن يقوم بالتكاليف الشرعية ، فقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). (٢) ، وحينما حلَّ العذاب بقوم لوط ، ذكر القرآن فضل الله على المؤمنين من قوم لوط ، واختصهم بالنجاة فقال تعالى : (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ). (٣)

٥- وقوع أجر المهاجر على الله :

ومن آثار الهجرة المباركة أن يثبت للمهاجر الأجر كاملاً عند الله ، وذلك من رحمة الله وبعفه بعده ، قال الله تعالى : (...وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). (٤) أي يثبت أجره عند الله بثبوت الأمر الواجب بوعده الله تعالى ، وهو تأكيد للوعد ، فلا شيء يجب على الله لأحد من خلقه ، وفي الشرطين دلالة على أن المهاجر له إحدى الحسنين : إما أن يرغب أنف أعداء الله تعالى ، بالوصول إلى الخير والسعة ، وإما أن يدركه الموت ، ويصل إلى السعادة الحقيقية والنعيم الدائم . (٥)

وقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير المأثور طرقاً كثيرة في أسباب نزول الآية، وفيمن نزلت فيهم ، منهم رجل من بنى ضمرة، ومنهم رجل من خزاعة، ومنها رجل من بنى ليث، ومنهم رجل من بنى كنانة، ومنهم في مهاجرة الحبشة، وكلها تدل على فضل عظيم لهؤلاء المخرجين، وثبوت أجرهم عند الله سبحانه وتعالى . (٦)

ويذكر الشيخ الشعراوي لطيفة طيبة في هذه الآية ، حيث يقول : " وقع أجره على الله أي سقط أجره على الله كأن الحق سبحانه وتعالى يقول للعبد : أنت عندما تهاجر إلى أرض الله الواسعة ، إن أدركك الموت قبل أن تصل إلى السعة والمراغم ، فأنت تذهب إلى رحابي ، والمراغم سبب من أسبابي وأنا المسبب ، وحتى نفهم معنى " وقع أجره على الله " علينا أن

^١ سورة القصص - الآيتان (٢٠ ، ٢١)

^٢ سورة النساء - الآية (٩٦)

^٣ سورة الذاريات - الآيتان (٣٥ - ٣٦)

^٤ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٥ المقتطف من عيون التفاسير - العلامة مصطفى الخيري المنصوري - ج ١ ص ٤٩٣

^٦ انظر : الدر المنثور في التفسير المأثور - للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - ج ٢ ص ٦٤٩

نقرأ قول الحق : (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ...) . (١) ، والوقوع هنا هو سقوط ، ولكنه ليس كالسقوط الذى نعرفه ، بل هو الذهاب إلى الله ، ولماذا يستخدم الحق هنا وقع بمعنى سقط ؟ هو سبحانه يلفتنا إلى ملحظ هام ، حيث يكون الجزاء أحرص على العبد من حرص العبد عليه ، فإذا ما أدرك العبد الموت ، فالجزاء يسعى إليه وهو عند الله ، ويعرف الجزاء من يذهب إليه معرفة كاملة " . (٢)

٦- هداية المخرج إلى صراط مستقيم :

وإن من آثار الإخراج أن يكون المخرج فى معية الله ، وأن يسلك به ربنا صراطاً مستقيماً ، تطمئن به النفس ، ويرضى به القلب ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا * وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) . (٣)

(وهنا يساوى الحق بين الأمر بقتل النفس والأمر بالإخراج من الديار ، فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعى ، والإخراج من الديار هو الترحيل القسرى بقوة قسرية خارج الأرض التى يعيش فيها الإنسان ، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار ، فساعة يقتل الإنسان فهو يتألم ، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم ، وكلاهما شاق على الإنسان .

ولو فرضنا أن الله قال : اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم بعد ذلك فعلوه لوجدوا فى ذلك الخير عما كان فى بهم ، لأن الناس يجب أن تفتن إلى أن تسأل نفسها : ما غاية المؤمن حين يؤمن بالله ؟ وما غاية هذا الإيمان ؟ أنت فى دنياك تعيش مع أسباب الله المخلوقة لك ، وحين تنتقل إلى الله تعيش مع المسبب ، فما الذى يحزنك عندما قال لك : اقتل نفسك ؟ إنه قال لك : اقتل نفسك لماذا ؟ لأنك تنتقل للمسبب وتحيا دون تعب ، فإذا كان من يقا تل فى سبيل الله قد امتثل لأمر الله ، فسوف يجد فضلاً أكثر ، فكيف يكون جزاء من يقتل نفسه امتثالاً لأمر ربه ؟ إن امتحان النفس يكون بالنفس ، وليس امتحان النفس بالعدد ، وما الميزة فى سيدنا إبراهيم ؟ هل قال له الحق : أنا سأميت ولدك ؟ أقال له : إن واحداً آخر سيقتل ابنك ؟ لا بل قال له : إذبحه أنت ، وهذه هى ارتقاء قتل النفس .

^١ سورة النمل - الآية (٨٢)

^٢ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٥ ص ٢٥٨٧

^٣ سورة النساء - الآيات (٦٦ - ٦٨)

ونحن أمام أمرين إما أن يقتلوا ، وإما أن يخرجوا من ديارهم ، فقله : " ولهديناهم صراطاً مستقيماً " لمن ؟ للذى قتل أم لمن خرج ؟ هو قول لمن خرج من دياره لأنه ما زال على قيد الحياة " (١)

٧- هلاك الظالمين المخرجين :

ومن نتائج الإخراج أن الله قد تكفل بنصرة المُخْرَج ، وإهلاك المخرج الظالم الذى تسبب فى هذا الإخراج ، قال الله تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) . (٢)

" ولما وعد سبحانه أنه ينصر من ينصره ، لأنه مولاه ويدخله دار نعمته ، ويخذل من يعانده لأنه عاداه إلى أن يدخله دار شقوته ، كان التقدير دليلاً على ذلك ، فكأين من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك نصرناهم على من كذبهم ، فلا خاذل لهم فعطف عليه قوله " وكأين " ولما كانت قوة قريش فى الحقيقة ببلدهم ، وكان الإسناد إليها أدل على تماؤؤ أهلها وشدة إتفاقهم حتى كأنهم كالشئ الواحد قال " من قرية " أى كذبت رسولها " هى أشد قوة " وأكثر عدة " من قريتك ولما كان إنزال هذه بعد الهجرة ، عين فقال " التى أخرجتك " أى أخرجك أهلها متفقين فى أسباب الإخراج من أنواع الأذى على كلمة واحدة حتى كأن قلوبهم قلب واحد ، فكأنما هى المخرجة - وهى مكة - كذبوك وآذوك حتى أخرجناك من عندهم لننصرك عليهم بمن أيدناك بهم من قريتك هذه التى آوتك من الأنصار نصراً جارياً على ما تألفونه وتضادونه " أهلكناهم " بعذاب الاستئصال كما اقتضت عظمتنا ، وحكى حالهم الماضية بقوله " فلا ناصر لهم " . (٣)

٨- تحصيل المخرج رحمة الله :

ومن آثار الإخراج أن المخرج الذى عانى الشقاء والعذاب والحصار ، يتطلع يوماً إلى أن تدركه رحمة الله سبحانه وتعالى ، فجاء السياق القرآنى ليؤكد له هذا الرجاء ، ويحقق حصول الرحمة فى حالة الإخراج ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . (٤)

" إن الآية قد عدت ثلاثة أصناف : الصنف الأول هم الذين آمنوا ، والصنف الثانى هم الذين هاجروا ، والصنف الثالث هم الذين جاهدوا ، إن الذين آمنوا إيماناً خالصاً لوجه الله ،

^١ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج٤ ص٢٣٨٥ - بتصرف

^٢ سورة محمد - الآية (١٣)

^٣ نظم الدرر - البقاعي - ج٧ ص١٥٨

^٤ سورة البقرة - الآية (٢١٨)

وهاجروا لنصرة الدين ، وجاهدوا من أجل أن تعلق كلمة الإسلام ، هؤلاء قد فعلوا كل ذلك ، وهم يرجون رحمة الله ، ولقائل أن يقول : أليست الرحمة مسألة متيقنة عندهم ؟ ونقول ليس للعبد عند الله أمر متيقن ، لأنك قد لا تظن إلى بعض ذنوبك التي لم تحسن التوبة فيها ولا التوبة عنها ، وعليك أن تضع ذلك في بالك دائماً ، وأن تتيقن من استحضار نية الإخلاص لله في كل عمل تقوم به ، فقد غوتك نفسك بشيء قد يفسد عليك عملك ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد الخلق وسيد الموصولين بربهم يقول : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع) (١) ماهى الرحمة ، الرحمة ألا تبتلى بالألم من أول الأمر فالؤمن يرجو الله ولا يشترط على الله ، إن المؤمن يتجه بعمله خالصاً لله ، يرجو التقبل والمغفرة والرحمة ، وكل ذلك من فضل الله " (٢)

٩- تحقيق الولاية والإيمان للمهاجرين :

ومن نتائج الهجرة المباركة ما تحقق للمؤمنين من كمال الإيمان وعظيم الولاية لله سبحانه وتعالى ، كما وصفهم القرآن حين فارقوا الأهل والوطن حباً لله وكرامة ، أعقبهم على هجرتهم إيماناً يجدون حلاوته في قلوبهم ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنَّصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (٣)

يقول الإمام ابن كثير (٤) : ذكر تعالى أصناف المؤمنين ، وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم ، وجاءوا لنصر الله ورسوله ، وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك ، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك أووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم ، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض ، أي كل منهم أحق بالآخر من كل واحد ، ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

^١ سنن ابن ماجه - باب الإنتفاع بالعلم والعمل - ص ٦١ حديث رقم (٢٥٠) - صحيح الألباني

^٢ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٢ ص ٩٣٦ - بتصريف

^٣ سورة الأنفال - الآيات (٧٢ - ٧٥)

^٤ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٢ ص ٣٢٩

المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان ، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدماً على القرابة ، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث .

ثم ساق ابن كثير أحاديث في هذا المعنى ، قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير عن ابن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض ، والطلاقاء من قریش ، والعتقاء من ثقیف ، بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة " . (١)

روى الامام أحمد قال : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرشد عن سليمان بن يزيد عن أبيه عن يزيد بن الخصيب الأسلمى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه على خاصة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وقال : (اغزوا بسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال ، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين ، وأن عليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا واختاروا دارهم ، فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الفىء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) (٢)

١٠- جزاء المهاجر حسنة الدنيا والآخرة :

ومن أبرز نتائج الهجرة ما كان ينزل من القرآن يطمئن المؤمنين عن جزاء هجرتهم وثوابها ، وحسنة الدنيا والآخرة ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) . (٣) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) . (٤)

^١ مسند الامام أحمد - من حديث جرير بن عبد الله - ج ٣١ ص ٥٤٧ حديث رقم ١٩٢١٥ - تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد . قال المحقق حديث حسن لغيره

^٢ مسند الامام أحمد - من حديث بريدة الأسلمى - ج ٣٨ ص ٧٨ حديث رقم ٢٢٩٧٨ - تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد . قال المحقق صحيح على شرط مسلم

^٣ سورة النحل - الآيتان (٤٠ ، ٤١)

^٤ سورة الحج - الآيتان (٥٨ ، ٥٩)

قال الدكتور وهبة الزحيلي فى تفسيره للآية الأولى : (هذه الآية تحدد جزاء المهاجرين فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، الذين فارقوا ديارهم وأوطانهم ، وتركوا أموالهم وأولادهم فى سبيل الله ، وحباً فى إرضائه ، وذهبوا إلى ديار أخرى بعد أن ظلموا وأوذوا من الأعداء ، لنزلهم فى الدنيا داراً أو بلدة حسنة ، ومنزلة حسنة ، وهى الغلبة على أهل مكة الذين ظلمهم ، وعلى العرب قاطبة ، وعلى أهل المشرق والمغرب ، فالحسنة هى المنزلة الطيبة والمسكن المرضى والموطن الأصلح وهو المدينة كما قال ابن عباس والشعبى وقتادة ، وقال مجاهد : هى الرزق الطيب ، قال ابن كثير ولا منافاة بين القولين ، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم ، فعوضهم الله خيراً منها فى الدنيا ، فإن من ترك شيئاً لله ، عوضه الله بما هو خير له منه ، وكذلك أصبحوا سادة العباد والبلاد ، فالحسنة هى المنزلة الرفيعة المادية والمعنوية ، ولأجر الآخرة أى وثوابهم فى الآخرة على هجرتهم أعظم مما أعطيناهم فى الدنيا لأن ثوابه هو الجنة ذات النعيم الدائم الذى لا يفنى .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءً قال : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك ربك فى الدنيا ، وما نذر لك فى الآخرة أكثر . (١)

١١ - تحقيق الطمأنينة والاستقرار والأمن فى المجتمع :

ومن النتائج الظاهرة على تنفيذ عقوبة النفى بالمجرمين والمحاربين الذين أفسدوا فى الأرض ، وأشاعوا الرعب والخوف فى قلوب العامة ، ما يستشعره الناس من طمأنينة وأمن واستقرار حين يضرب على يد الظالم ، ويقتص منه ، وكذلك الحال فى الزانى البكر الذى يُغرب عاماً درءاً للفساد ومنعاً للفتنة ، قال الله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . (٢)

" أن يقتلوا أو يصلبوا " جاء للشدّة والتقوية حتى يقف منهم المجتمع الإيماني العام موقف القائم على هذا الأمر ، والسلطة الشرعية قامت عن الجميع فى هذا الأمر ، كما يقال : أن النائب العام نائب عن الشعب فى أن يرفع الدعوى ، حتى لا ينتشر التقتيل بين الناس دون أن يفقهوا حكمة كل أمر . والنفى معناه الطرد والإبعاد ، والطرْد لا يتأتى إلا لثابت

^١ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي - ج ١٤ ص ١٤١

^٢ سورة المائدة - الآية (٣٣)

مستقر ، والإبعاد لا يتأتى إلا لمتمكن ، إذن فقبل أن ينفى لابد أن يكون له ثبوت وتمكن فى موضع ما وهو ما نسميه اصطلاحاً السكن أو الوطن، أو المكان الذى يقيم به الإنسان لأنه ثابت فيه ، ولكن إلى أى مكان يخرج إليه هذا الذى نحكم عليه بالنفى ؟ قد يقول قائل : أنت أخرجته من مكان أفسد فيه ، وذهب به إلى مكان آخر فقد تشيع فساده ، لا لأن النفى لا يتيح له ذلك الإفساد ، ذلك أن التوطن الأول يجعل له إلفاً بجغرافية المكان ، وإلفاً بمن يخيفهم ، فهو يعرف سلوك جيرانه ، ويعرف كيف يخيف فلاناً وكيف يغتصب بضاعة آخر وهكذا ... ولكنه إن خرج إلى مكان غير مستوطن فيه فسوف يحتاج إلى وقت طويل حتى يتعرف إلى جغرافية المكان ، ومواقع الناس فيه ، ومواطن الضعف فيهم ، وعلى ذلك يكون النفى هو منع لإفساد الفاسد.(١)

١٢ - تحقيق لوعده الله :

والإخراج والهجرة حركة من التدافع الربانى فى الكون ، كما قال ربنا : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ). (٢) ، فهجرة الإنسان من أرضه ووطنه قد تبدو فى نظر الكثيرين صورة واحدة للاضطهاد والعذاب ، ولكن السياق القرآنى يشير إلى أن هذا الإخراج هو سنة ربانية هدفها تحقيق غايات ربانية سنها الله لخلقه بمشية وإرادة قادرة على علم وحكمة بالغة ، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). (٣)) (الآن يتوجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفه القلة المسلمة التى كانت يومها بمكة ، يتوجه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخرج من بلده ، مطارده من قومه ، وهو فى طريقه إلى المدينة لم يبلغها بعد ، فقد كان بالجحفة قريباً من مكة ، قريباً من الخطر ، يتعلق قلبه وبصره ببلده الذى يحبه ، والذى يعز عليه فراقه ، لولا أن دعوته أعز عليه من بلده وموطن صباه ، ومهد ذكرياته ، ومقر أهله ، يتوجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى موقعه ذاك " إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " فما هو بتاركك للمشركين ، وقد فرض عليك القرآن وكلفك الدعوة ، ما هو بتاركك للمشركين يخرجونك من بلدك الحبيب إليك ، ويستبدون بك وبدعوتك ، ويفتنون المؤمنين من حولك ، إنما فرض عليك القرآن لينصرك فى الموعد الذى قدره ، وفى الوقت الذى فرضه ، وإنيك اليوم لمخرج منه مطارده ، ولكنك غداً منصور إليه عائد .

^١ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٥ ص ٣٠٩٥ - بتصرف

^٢ سورة البقرة - الآية (٢٥١)

^٣ سورة القصص - الآية (٨٥)

وهكذا شاعت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظروف المكروب ، ليمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه آمناً واثقاً ، مطمئناً إلى وعد الله الذى يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة منه ، وإن وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى في سبيل الله فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان فى النهاية ، وتولى عنه المعركة حين يبذل ما فى وسعه ، ويخلى عاتقه ، ويؤدى واجبه ، " إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " ولقد رد موسى من قبل إلى الأرض التى خرج منها هارباً مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، ودمر به فرعون وماله ، وكانت العاقبة للمهتدين ، فامض إذن فى طريقك ، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك لله ، الذى فرض عليك القرآن . (١)

ثانياً : الآثار السلبية

والآثار السلبية على الإخراج أصلها السياق القرآنى بصورتها الحقيقية التى رسمت معانى من القهر والشتات والفقر ، مما كان له الأثر الشديد على نفس المهاجر والمخرج ، كل ذلك لحكمة عليية ، وسنة قدرية أرادها الله لعباده ، وعند البحث فى هذه الآثار وجدتها تدور فى النقاط التالية :

١ - الإخراج من الجنة :

ففى أول الآثار إذ لا يذكر الإخراج إلا ويذكر الإخراج الأول ، وما ترتب عليه من نتائج وآثار ، قال الله تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ). (٢)

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا...). (٣) ، هذا فى حق آدم ، وأما إبليس فقد صاحب خروجه وإخراجه اللعنة والطرده ، قال الله تعالى : (قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ). (٤) ، وقال تعالى : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٦ ص ٣٧٩

^٢ سورة البقرة - الآية (٣٦)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٢٧)

^٤ سورة الأعراف - الآية (١٨)

مِنَ الصَّاعِرِينَ). (١) ، وقال تعالى : (قَالَ فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَأَيْنَكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ). (٢)

وقد سبق الحديث عن كلا الأمرين بالتفصيل ، إلا أن الحديث يستوقفنا عند قوله تعالى : (...فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...). (٣) ، من النعيم والكرامة والجنة ، وهى أول الآثار السلبية أن يكون فقدان الجنة أول ثمرات الإخراج ، وأول آثاره السلبية .

٢ - العداوة المستمرة :

وكان من أبرز سمات الإخراج الذى حصل فى حق آدم وزوجه وإبليس هى العداوة المستمرة إلى يوم القيامة ، كما قررها القرآن : (...اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...). (٤) (إذن فالعداوة معلنة ومسبقة ، ولنفرض أنها غير معلنة ، ألم يشهد آدم الموقف الذى عصى فيه إبليس أمر الله ، ولم يسجد لآدم ؟ ألم يعرف مدى تكبر إبليس عليه ؟ العداوة هنا بين الشيطان والإنسان ، والعداوة أيضاً بين شياطين الإنس والمؤمنين ، هذه العداوة تؤدى بنا إلى نشاط وتنبه). (٥)

(وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة فى مجالها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان ... وانتقلت المعركة الخالدة إلى ميدانها الأصيل ، وانطلقت من عقالها ما تهدأ لحظة وما تقتر ، وعرف الإنسان فى فجر البشرية ، كيف ينتصر إذا شاء الانتصار ، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسار). (٦)

٣ - الشقاء والعناء والتعب :

ومن الصور التى رسمها القرآن لإخراج آدم من الجنة ، تلك الصورة التى حملت معانى الشقاء والعناء والتعب ، قال الله تعالى : (...إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى). (٧)

^١ سورة الأعراف - الآية (١٣)

^٢ سورة الحجر - الآيات (٣٤ ، ٣٥)

^٣ سورة البقرة - آية (٣٦)

^٤ سورة البقرة - الآية (٣٦)

^٥ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ١ ص ٢٦٩ - بتصرف

^٦ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ ص ٦٥

^٧ سورة طه - الآيات (١١٧ ، ١١٩)

(أى فقلنا له عقب إياه السجود : يا آدم إن إبليس عدو لك ولزوجك فلم يسجد لك ، وعصانى فلا تطيعاه ، ولا يكون سبباً لإخراجكما من الجنة ، ففتعب فى حياتك الدنيا فى الأرض فى تحصيل وسائل المعاش كالحرث والزرع ، فإنك ههنا فى عيش رغيد هنىء بلا كلفة ولا مشقة ، كما قال تعالى : " إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى " أى إن لك فى الجنة تمتعاً بأنواع المعاش ، وتنعماً بأصناف النعم من المأكّل الشهية ، والملابس البهية ، فلا تجوع ولا تعرى ، ولا تعطش فى الجنة ، ولا يؤذيك الحر ، كما يكون لسكان الأرض ، فإن أصول المتاعب فى الدنيا : هى تحصيل الشبع (ضد الجوع) والكسوة (ضد العري) والري (ضد الظمأ) والسكن (ضد العيش) فى العراء أو تحت الشمس ، ويلاحظ أن نعم الجنة كما جاء فى الآية لا عناء فيها فى هذه الأصول الأربعة ، فلا جوع فيها ولا عري ، ولا ظمأ ولا إصابة بحر الشمس ، فأيهما يفضل العقلاء ، ما فيه تعب وعناء ، أو ما ليس فيه تعب . (١)

٤ - الحزن على فراق الأرض والأهل والديار :

والمخرج رجل يعيش مع الذكريات والآلام والأحزان على فراق الأرض والأهل والولدان والديار ، وتترأى له هذه الذكريات والمشاعر فى كل موطن تطؤه قدماه ، قال الله تعالى :
(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ). (٢)

وقال تعالى : (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ). (٣)

(وهى صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح للمهاجرين ، أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم ، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد ، والتتكر من قرابتهم وعشيرتهم فى مكة " الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله " وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم " يبتغون فضلاً من الله ورضواناً " اعتمادهم على الله فى فضله ورضوانه ، لا ملجأ لهم سواه ، ولا جناب لهم إلا حماه ، وهم مع أنهم مطاردون قليلون " ينصرون الله ورسوله " بقلوبهم وسيوفهم من أخرج الساعات وأضيق الأوقات " أولئك هم الصادقون " الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وصدقوها بعلمهم ، وكانوا صادقين مع الله فى أنهم إختاروه ،

^١ التفسير المنير - وهبة الزحيلي - ج ١٦ ص ٨٦

^٢ سورة الحشر - الآية (٨)

^٣ سورة البقرة - الآية (٢١٨)

وصادقين مع رسوله فى أنهم اتبعوه ، وصادقين مع الحق فى أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراهما الناس) (١)

(ونجد أن الأمر واضح فى حسهم ، مقرر فى نفوسهم ، إن أعداءهم أعداء الله ولدين الله ، وقد أخرجوهم من ديارهم وسبوا أبناءهم ، وقتلهم واجب ، والطريق الواحدة التى أمامهم هى القتال ، ولا ضرورة إلى المراجعة فى هذه العزيمة أو الجدل) . (٢)

ولا زالت أصداء كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم تدوى فى التاريخ ، ذكر الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح : " عن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزورة (النل الصغير) فقال : والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أننى أخرجت منك ما خرجت) . (٣)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلى ، ولولا أن قومي أخرجوك منك ما سكنت غيرك) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . (٤)

٥- المساومة على الدين :

ومن الآثار الخطيرة التى تظهر على المخرجين هى مساومتهم على أمر دينهم ، وتخيرهم بين الكفر وبين الخروج من الديار ، وهى مساومة صعبة يلجأ المجرمون إليها تغطية على جرائمهم وكفرهم ، قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) . (٥)

" وهكذا نرى أن فاشية الخير حين فشيت فى الناس ، يغضب منها المستفيدون من الفساد والذين يعيشون عليه ، ويتجه تفكير المفسدين إلى ضرورة إخراج ضمائر الخير من الأرض التى يعيش المفسدون على الإستفادة من أهلها .

وإن عزت الأرض على ضمائر الخير ، فعليهم أن يعلنوا عودتهم إلى ديانة الكافرين ، ولا يقال : عدت إلى الشىء إلا إذا كنت فى الشىء ثم خرجت عنه وعدت إليه ، وهل كان الرسل الذين يهددهم أهل الكفر بالإخراج من البلاد ، يقبلون العودة إلى ديانة الكفر ؟ طبعاً لا ، ولذلك نفهم من قوله تعالى : " أو لتعودن فى ملتنا " بمعنى أو لتصيرن فى ملتنا ، ولم يقبل الرسل تلك المساومة ذلك أن الحق سبحانه وتعالى ينزل جنود التنبيت والطمأنينة والسكينة

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٨ ص ٤٠

^٢ المرجع السابق - ج ١ ص ٣٩٠

^٣ الجامع صحيح سنن الترمذى - كتاب المناقب - باب فى فضل مكة - حديث رقم ٣٩٢٥ ص ٨٨٠ - تحقيق الألبانى وقال عنه صحيح .

^٤ الجامع صحيح سنن الترمذى - كتاب المناقب - باب فى فضل مكة - حديث رقم ٣٩٢٦ ص ٨٨٠ - تحقيق الألبانى وقال عنه صحيح .

^٥ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

على قلوب رسله المؤمنين ، فلا يتأثر الرسل ومن معهم بمثل هذا الكلام ، وهذا ما يعبر عنه قول الحق سبحانه في آخر الآية " فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين " وهكذا يأتي القانون السماوى بالعدل ، وهو إهلاك الظالمين ، وتلك قضية إيمانية باقية ودائمة أبداً . (١)

٦- الفرقة والشتات للمخرجين :

ومن الآثار التى يلمسها المبعدون والمخرجون شتاتهم فى الأرض ، وذوبانهم وافتراقهم ، فلا بيت كالوطن يجمع الشتات ، ويلم الفرقة ، قال الله حكاية عن بنى إسرائيل : (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبْنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ...) . (٢)

(فهل هناك مسكن إلا الأرض ؟ إن أحداً لا يقول : اسكن كذا إلا إذا حدد مكاناً من الأرض ، لأن السكن بالقطع سيكون فى الأرض ، فكيف يأتي القول : " اسكنوا الأرض " ؟ والشائع أن يقال : اسكن المكان الفلاني من المدن ، مثل المنصورة أو أريحا أو القدس ، وقوله الحق : " اسكنوا الأرض " هو لفظة قرآنية ، وما دام الحق لم يحدد من الأرض مسكوناً خاصاً ، فكأنه قال ذوبوا فى الأرض ، فليس لكم وطن ، وانساحوا فى الأرض ، فليس لكم وطن ، أى لا

توطن لكم أبداً ، وستسيحون فى الأرض مقطعين ، وقال سبحانه : (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا...) . (٣)

وحين يأتي القرآن بقضية قرآنية فلنبحث أيدتها القضايا الكونية أو عارضتها ؟ القضية القرآنية هنا هى تقطع بنى إسرائيل فى الأرض أماً أى تفريقهم وتشتيتهم ، ولم يقل القرآن وأذنبناهم بل قال " وقطعناهم " وتفيد أنه جعل بينهم أوصالاً ولكنهم مفرقون فى البلاد ، وعندما نراهم فى أى بلد نزلوا فيها نجد أن لهم حياً مخصوصاً ، ولا يذوبون فى المواطنين أبداً ويكون لهم كل ما يخصهم من حاجات يستقلون بها فكأنهم شائعون فى الأرض وهم مقطعون فى الأرض ولكنهم أمم ، فهناك حارات وأماكن خاصة لليهود فى كل بلد . (٤)

ويردد الشيخ الشعراوى قريباً أيضاً من هذا القول بقوله : (فليس لهم وطن خاص وتمت بعثرتهم فى كل الأرض ، وهذا هو الواقع الذى حدث فى الكون ، أوجد لبنى إسرائيل

^١ تفسير الشعراوى - محمد متولى الشعراوى - ج ١٢ ص ٧٤٦

^٢ سورة الإسراء - الآية (١٠٤)

^٣ سورة الأعراف - الآية (١٦٨)

^٤ تفسير الشعراوى - محمد متولى الشعراوى - ج ٥ ص ٣٠٤٧

استقرار فى أى موطن ؟ لا وحتى الوطن الذى أقاموه بسبب وعد بلفور لم يترك الحق أمره ، بل أعطى وعده للمؤمنين بأن يدخلوا المسجد إذا ما أحسنوا العمل لاسترداده ، وما زال اليهود بطبيعتهم شتاتاً فى أنحاء الأرض ، ولهم فى كل موطن حى خاص بهم ، وتحفظ كل جماعة منهم فى أى بلد بذاتيتهم ، ولا يذوبون فى غيرهم . (١)

٧- ضياع هوية المبعدين :

ويترتب على الإبعاد والإخراج أن يفقد المبعد هويته ، وأن تدرس معالم هذه الهوية خاصة إذا طالت قضية الإبعاد فيصبح بلا هوية وبلا وطن ، ولقد ذكر القرآن مثلاً من ذلك فى سورة سبأ ، قال تعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ). (٢)

" كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها ، وكانت التبابعة منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم ، وكانوا فى نعمة وغبطة فى بلادهم وعيشتهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم ، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى فأعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق فى البلاد أيدى سبأ شذر مذر . وعن فروة بن مسيك المرادى أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو ، أرض أم امرأة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة وأم الذين تيامنوا : فالأزد ، والأشعرون ، وحمير ، ومذبح ، وأنمار ، وكندة ، فقال رجل يا رسول الله : وما أنمار قال : الذين منهم خثعم وبجيلة " . (٣)

قال علماء النسب كمحمد بن اسحاق : اسم سبأ : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وإنما سبأ سبأ ، لأنه أول من سبأ - أى تفرق - فى العرب ، وكان يقال له : الرائش : لأنه أول من غنم فى الغزو فأعطى قومه خمس الرائش ، والعرب تسمى المال ريشاً ورياشاً.

^١ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٥ ص ٣٠٩٩

^٢ سورة سبأ - الأيتان (١٨ ، ١٩)

^٣ سنن الترمذى - كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب سورة سبأ - ص ٧٢٨ حديث رقم ٣٢٢٢ - تحقيق الألبانى وقال عنه حسن صحيح

وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي : أما غسان فلقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام ،
وأما الأنصار فلقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلقوا بتهامة ، وأما الأزد فلقوا بعمان فمزقهم الله
كل ممزق. (١)

" فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق " أى جعلناهم حديثاً للناس ، وسمراً يتحدثون به من
خبرهم ، وكيف مكر الله بهم ، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة ، والعيش الهنيء تفرقوا
فى البلاد ههنا وههنا ، ولهذا تقول العرب فى القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ ،
وتفرقوا شذر ومذر . (٢)

٨- شعور الخوف وخطر الملاحقة :

ومن الآثار التى ترتبت على الهجرة إلى الحبشة أن المهاجر كان يشعر أنه ليس فى أرضه
التي ولد ونشأ فيها ، وظلت ملامح الذلة والتخوف تطاردهم وتلاحقهم ، خاصة وأن قریش
كانت تلاحقهم وتطالب برجوعهم قهراً وقسراً ، وهم الذين قال الله فيهم وفى أمثالهم : (أَذِنَ
لِلَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ
حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...). (٣)

(ويذكر الامام ابن كثير طرفاً من ذلك ، عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : لما ضاقت
مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتتوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء
والفتنة فى دينهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منعة من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شئ مما يكره ،
ومما ينال أصحابه ، فأمرنا بالهجرة إلى الحبشة فخرجنا إليها أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها
فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، آمنين على ديننا ولم نخش فيها ظملاً ، فلما رأت قریش أننا
قد أصبنا داراً وأمناً غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشى ، ليخرجنا من بلاده ،
وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، فجمعوا له هدايا
ولبطارقتة ، فقالوا إنما قدمنا على هذا الملك فى سفهائنا ، فارقوا أقوامهم فى دينهم ، ولم
يدخلوا فى دينكم ، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل
، فقالوا نفع ، وقالوا للملك إن فتية منا سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ،
وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ، أبأؤهم

^١ تفسير ابن كثير - ج ٤ - ص ٥٣٣ - بتصرف

^٢ تفسير القرآن العظيم - الامام ابن كثير - ج ٤ - ص ٥٣٣ - بتصرف

^٣ سورة الحج - الآيتان (٣٩ ، ٤٠)

وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عيناً ، فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك ، فغضب النجاشى ورفض تسليمهم (١)

٩ - فقر المهاجرين :

ومن الآثار الاقتصادية الظاهرة على الهجرة حالة الفقر التى أصابت المهاجرين ، فقد تركوا أموالهم وديارهم وممتلكاتهم فى الأرض التى خرجوا منها (٢) ، ووضعت قريش يدها على هذه الأملاك ، وقد وصفهم السياق القرآنى بلفظ الفقير ، قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً...) (٣) وقد ذكر الامام النسفى فى تفسيره لهذه الآية ، أن الله أخرج رسوله من الفقراء ، وأن يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير - بينما لازم هذا الوصف للمهاجرين - وأن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن الله تعالى سمى المهاجرين فقراء ، مع أنه كانت لهم ديار وأموال. (٤)

بين الله تعالى حال الفقراء المستحقين له فقال : " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً " أى أن هؤلاء الأصناف الأربعة وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هم فقراء المهاجرين والأنصار والتابعين ، وفقراء

المهاجرين : هم الذين اضطروهم كفار مكة إلى الخروج منها وإلى ترك أموالهم وديارهم فيها ، طلباً لمرضاة الله وفضله ورزقه فى الدنيا ، وثوابه ورضوانه فى الآخرة . (٥) وقد وصف نفسه نبي الله موسى عليه السلام بعد إخراجة بفقره إلى الله تعالى : (..رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) . (٦) ، كان ذلك بعد خروجه جهة مدين مطاردة من فرعون وقومه . " وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) نزلت فى الهجرة وترك المال والديار لأجلها ، روى أن صهيياً أخذ أهله وهو قاصد النبي صلى الله عليه وسلم ، فافتدى منهم بماله ، ثم أدركه آخر فافتدى منه ببقية ماله ، وغيره عمل عمله فأتى عليهم " . (٧)

١٠ - الذلة وخذلان المُخْرَج :

^١ السير النبوية - الامام ابن كثير - ج ٢ ص ١٨ - بتصرف

^٢ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٥ ص ٣٠٤٧

^٣ سورة الحشر - الآية (٨)

^٤ تفسير النسفى - ج ٤ ص ٣٥٤ - بتصرف

^٥ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي - ج ٢٨ ص ٨٣

^٦ سورة القصص - الآية (٢٤)

^٧ أحكام القرآن - ابن العربى - ج ١ ص ١٤٤

" ومن الآثار البارزة فى الإخراج الخذلان الذى يصيب المخرج ، خاصة عندما يبنى ببعض الضمانات الوهمية وقد ذكر السياق القرآنى صورة من ذلك ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ) . (١)

فهؤلاء قوم من منافقي المدينة لهم أقوال تخالف ما يبطنون ، منهم عبد الله بن أبي وشيعته رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع يحاصر بني النضير ويقاتلهم ، فأرسلوا إليهم يقولون لهم : إنا قادمون لمساعدتكم بخيلنا ورجلنا ، ولا نسلمكم لمحمد أبداً ، فجدوا فى قتالهم ، ولا تهنوا فى الدفاع عن دياركم وأموالكم ، حتى إذا اشتد الحصار ، وأوغل المسلمون فى الدخول فى ديارهم ، وتحريق نخيلهم ، وهدم بيوتهم رأى بنو النضير أن تلك الوعود كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وأنهم بين أمرين :
- الاستسلام وقبول حكم محمد عليهم .

- فناؤهم وتخريب ديارهم .

وقد أدخل الله الرعب فى قلوبهم ، فاختراروا الدنية ، وقبلوا الجلاء عن الديار ، واستبان لهم أن المنافقين كانوا كاذبين لا عهود لهم ولا وعود ، كما هو دأبهم فى كل زمان ومكان .
وبعد أن كذبهم على سبيل الاجمال كذبهم تفصيلاً ليزيد تعجيب المخاطب من حالهم ، وليبين له مبلغ خبيث طويتهم ، وشدة جبنهم ، وفرعهم من القتال ، وأن هذه الوعود أقوال كاذبة لاكتها ألسنتهم وقلوبهم براء ، فقال : (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ) . (٢) ، أي لئن أخرج بنو النضير من ديارهم فأجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم بالخروج من ديارهم ، ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصرونهم ولئن نصرهم ليولن الأدبار منهزمين عن محمد وأصحابه هاربين منهم خاذلين لهم ، ثم لا ينصر الله بنى النضير " . (٣)

المبحث السادس

حكم عقوبة الإخراج وأحكامها الشرعية

يرى بعض العلماء أن عقوبة الإبعاد هي عقوبة تعزيرية يحددها الإمام ، ويرى أكثر العلماء أن عقوبة الإبعاد هي حد منصوص عليه بالنص الشرعي ، والمراجع الفقهيّة تفصل فى الحكم على قضية الإبعاد والإخراج ، وتذكره أحياناً بالتغريب أو النفي أو الطرد وإليك بيان ذلك فى مطالب :

المطلب الأول : تحريم الإخراج من الديار

^١ سورة الحشر - الآيات (١١ ، ١٢)

^٢ سورة الحشر - الآية (١٣)

^٣ تفسير المراعى - أحمد مصطفى المراعى - ج ١٠ ص ٤٨

كفلت شريعة الله للمؤمن حق الحياة ، وحق الإقامة فى أرضه آمناً مطمئناً على نفسه وماله وأهله ، وجعل الاعتداء على هذا الحق جريمة يجب مقاومتها ، قال الله تعالى : (...فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ...) . (١) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قتل دون ماله فهو شهيد " (٢)

وقد جاء النص بتحريم إخراج المؤمنين من ديارهم فى أكثر من موضع ، قال الله تعالى : " (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ) . (٣)

وأنت ترى من خلال الآيات أن الله أخذ الميثاق على بنى إسرائيل ، ودخل فيه بالمعنى من بعدهم عظم هذا الميثاق ، وخطورة نقضه ونكثه ، قال الإمام القرطبي : (فإن قيل : وهل يسفك أحد دمه ويخرج نفسه داره ؟ قيل له : لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحد ، وكانوا فى الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضاً وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونفياً لها . وقيل المراد القصاص أى لا يقتل أحد فيقتل قصاصاً ، فكأنه سفك دمه ، وكذلك لا يزني ولا يرتد فإن ذلك يبيح الدم ولا يفسد فينفي ، فيكون قد أخرج نفسه من دياره وهذا تأويل فيه بعد وإن كان صحيح المعنى .

وإن كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة ميثاقاً ألا يقتل بعضهم بعضاً ولا ينفيه ولا يسترقه ، ولا يدعه يسرق ، إلى غير ذلك من الطاعات . قلت وهذا كله محرم علينا ، وقد وقع ذلك كله بالفتن فينا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون وفى التنزيل : (...أَوْ يُبْسِكُمْ شَيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ...) . (٤)

قال ابن خويز منداد : وقد يجوز أن يراد به الظاهر ، لا يقتل الإنسان نفسه ، ولا يخرج من داره سفهاً كما تقتل الهنود أنفسهم أو يقتل الإنسان نفسه من جهد وبلاء يصيبه ، أو يهيم فى الصحراء ولا يأوى البيوت جهلاً فى ديانتته وسفهاً فى حلمه ، فهو عموم فى جميع ذلك .

وقد روى أن عثمان بن مظعون بايع فى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزموا أن يلبسوا المسوح ، وأن يهيموا فى الصحراء ولا يأوا البيوت ، ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجاء إلى دار عثمان بن مظعون فلم يجده ، فقال لامرأته : (ما حديث بلغنى عن عثمان) ؟ وكرهت أن تقشي سر زوجها ، وأن

^١ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٢ صحيح البخارى - كتاب المظالم - باب من قتل دون ماله ج ٢ ص ١١٣ حديث رقم ٢٤٨٠

^٣ سورة البقرة - الآية (٨٤)

^٤ سورة الأنعام - الآية (٦٥)

تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن كان قد بلغك شيء فهو كما بلغك ، فقال : (قولى لعثمان أخلاف لسنتى أم على غير ملتي إني أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأغشى النساء وآوى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى) فرجع عثمان وأصحابه عما كانوا عليه . (١)

كان الله قد أخذ عليهم أربعة عهود : ترك القتل ، وترك الإخراج ، وترك المظاهرة ، وفداء أسراهم ، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء ، فوبخهم الله على ذلك توبيخاً يتلى فقال تعالى : " (...أَفْتُوْمِنُونَ بَبِعْضِ الْكِتَابِ...) . (٢) ، وهو التوراة (وتكفرون ببعض) قلت : ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض ليت بالمسلمين ، بل بالكافرين حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجرى عليهم حكم المشركين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . (٣)

وقال تعالى : (يسئلونك عن الشهر الحرام ...) إنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال فى الشهر الحرام ، وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ، ومن كفركم بالله وإخراجكم أهل المسجد منه ، كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر جرماً عند الله . (٤)

المطلب الثانى : أحكام الهجرة

فصل العلماء فى ذكر أحكام الهجرة وأقسامها إلى أمور ، وذكر الإمام ابن العربي أنه تتعدد أقسامه من جهات مختلفة ، فتقسم من جهة المقصود به إلى هرب أو طلب ، وتقسم من جهة الأحكام إلى خمسة أحكام ، وهى من أحكام أفعال المكلفين الشرعية ، واجب ، ومندوب ، ومباح ، ومكروه ، وحرام .

وينقسم من جهة التنوع فى المقاصد إلى أقسام :

القسم الأول : الهجرة ، وهى تنقسم إلى ستة أقسام : الأول : الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وكانت فرضاً فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة ، والتي انقطعت بالفتح هى القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان ،

^١ الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٢ ص ١٤ - ١٧ وبحثت عن الحديث فلم أجد تخريجه

^٢ سورة البقرة - الآية (٨٥)

^٣ المرجع السابق

^٤ المرجع السابق - ج ٣ ص ٣٢

فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام ، فإن بقي فقد عصى ، ويختلف في حاله كما تقدم بيانه .

القسم الثاني : الخروج من أرض البدعة . قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها السلف . وهذا صحيح ، فإن المنكر إذا لم يقدر علي تغييره نزل عنه ، قال تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) . (١)

القسم الثالث: الخروج عن أرض غلب عليها الحرام ، فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم **القسم الرابع :** الفرار من الإذابة في البدن ، وذلك فضل من الله عز وجل أن أرخص فيه ، فإذا خشى المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه ، والفرار بنفسه ، ليخلصها من ذلك المحذور .

وأول من حفظناه فيه الخليل إبراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال تعالى : (...إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي...) . (٢) ، وقال تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) . (٣) ، وموسى قال الله سبحانه فيه : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) . (٤)

القسم الخامس : خوف المرض في البلاد الوخمة ، والخروج منها إلى الأرض النزهة ، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للرعاء حين استوخموا المدينة أن يتتزهوا إلى المسرح ، فيكونوا فيه حتى يصحوا ، وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون ، فمنع الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) عن سعد أن الطاعون ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :انه رجز أصيب به من كان قبلكم فإذا كان بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كنتم بأرض وهو بها فلا تخرجوا منها ، بيد أني رأيت علماءنا قالوا هو مكروه .

القسم السادس : الفرار خوف الإذابة في المال ، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله أو أكد ، فهذه أمهات قسم الهرب .

^١ سورة الأنعام - الآية (٦٨)

^٢ سورة العنكبوت - الآية (٢٦)

^٣ سورة الصافات - الآية (٩٩)

^٤ سورة القصص - الآية (٢١)

وقسم الطلب فتنقسم إلى قسمين : طلب دين وطلب دنيا ، فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه ، ولكن أمهاته الحاضرة عندى الآن تسعة :

الأول : سفر العبرة ، قال الله تعالى (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) (٢) وهذا كثير فى كتاب الله عزوجل ، ويقال أن ذا القرنين إنما طاف فى الأرض ليرى عجائبها وقيل : لينفذ الحق فيها .

الثانى : سفر الحج فهو فرض .

الثالث : سفر الجهاد وله أحكام .

الرابع : سفر المعاش ، فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة ، فيخرج فى طلبه لا يزيد عليه ولا ينقص من صيد أو احتطاب أو احتشاش أو استئجار ، وهو فرض عليه .

الخامس : سفر التجارة والكسب الكثير الزائد على القوت ، وذلك جائز بفضل الله سبحانه ، قال الله تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...) . (٣) ، بمعنى التجارة وهذه نعمة من بها فى سفر الحج .

السادس : فى طلب العلم ، وهو مشهور .

السابع : قصد البقاع الكريمة ، وذلك لا يكون إلا فى نوعين :

أحدهما : المساجد الإلهية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد الأقصى " . (٤)

الثانى : الثغور للرباط بها ، وتكثير سوادها للذب عنها ، ففى ذلك فضل كثير .

الثامن : زيارة الإخوان فى الله .

التاسع : السفر إلى دار الحرب ، وبعد هذا فالنية تغلب الواجب من هذا حراماً والحرام حلالاً بحسب حسن القصد ، واخلاص السر عن الشوائب (٢) .

وقد ذكر الشافعى حكم فرضية الهجرة بقوله : (ولما فرض الله عز وجل الجهاد على رسوله صلى الله عليه وسلم وجاهد المشركين بعد إذ كان أباحه ، وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهل مكة ، ورأوا كثرة من دخل فى دين الله عزوجل اشتدوا على من أسلم منهم ففتنواهم عن دينهم أو من فتنوا منهم ، فعذر الله من لم يقدر على الهجرة من المفتونين فقال :

١ مسند أحمد ج ٣ ص (١١١) حديث رقم (١٥٢٧) - تحقيق شعيب الأرنؤوط - صحيح

٢ سورة الروم - الآية (٩)

٣ سورة البقرة - الآية (١٩٨)

٤ صحيح البخارى - كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - ج ١ ص ٢٨٠ رقم ١١٨٩

٢ أحكام القرآن - ابن العربي - ج ١ ص ٤٨٤

(...إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...) (١) وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن الله عز وجل جعل لكم مخرجا وفرض على من قدر على الهجرة الخروج إذا كان ممن يفتن عن دينه ولا يمتنع " (٢) فقال في رجل منهم توفى تخلف عن الهجرة فلم يهاجر : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ...) (٣) وأبان الله عز وجل عذر المستضعفين فقال تعالى : (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) (٤) قال الشافعي رحمه الله : (٥) يقال عسى من الله واجبة ، قال الشافعي : ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن فرض الهجرة على من أطاها إنما هو على من فتن عن دينه بالبلد الذي يسلم بها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لقوم مكة أن يقيموا بها بعد إسلامهم ، منهم العباس بن عبد المطلب وغيره إذ لم يخافوا الفتنة وكان يأمر جيوشه أن يقولوا لمن أسلم : " إن هاجرتم فلکم ما للمهاجرين وإن أقمتهم فأنتم كأعراب ، وليس يخيبرهم إلا فيما يحل لهم " (٦) .

قال الإمام ابن حجر : " قال الخطابي وغيره : كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة ، وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا ، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة ، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار ، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه ، وفيهم نزلت : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا...) (٧) وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر ، وقدر على الخروج منها وقد روى الثاني من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعا " لا يقبل الله من مشرك عملا بعد ما أسلم أو يفارق المشركين " (٨) .

^١ سورة النحل - الآية (١٠٦)

^٢ سنن البيهقي - كتاب السير - باب فرض الهجرة - ج ٩ ص ٢١ - حديث الباب - ولم يذكر حكمه العلماء

^٣ سورة النساء - الآية (٩٧)

^٤ سورة النساء - الآيتان (٩٨ - ٩٩)

^٥ الأم - الشافعي - ج ٤ ص ١٦٩

^٦ سنن البيهقي - كتاب السير - باب الرخصة في الإقامة بدار الشرك لمن لا يخاف الفتنة - ج ٩ ص ٢٦ - والحديث في صحيح مسلم بمعناه كتاب الجهاد - باب تأمير الأمراء - ج ٣ ص ١٣٥٧ - حديث رقم ١٧٣١ وهو صحيح .

^٧ سورة النساء - الآية (٩٧)

^٨ فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - ج ٧ ص ٤٠٠ - وأصله في سنن النسائي - كتاب الزكاة - باب

من سأل بوجه الله - ص ٤٠٠ - حديث رقم ٢٥٦٨ - تحقيق الألباني وقال عنه حسن .

وقد ذكر في موضع آخر قوله : " وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الأسماعيلي بلفظ : انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار " (١) أى ما دام فى الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشى أن يفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن يبق فى الدنيا دار كفر إن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله أعلم . (٢)

المطلب الثالث : استخدام عقوبة الإخراج فى الشريعة الإسلامية

تعاقب الشريعة الإسلامية بعض المجرمين بعقوبة الإخراج والطرده والنفى والإبعاد مستندة بذلك على المصدر التشريعى من القرآن والسنة ، وبعض العقوبات التعزيرية التى يراها الإمام مناسبة ومحافظة على أمن الدولة وسلامتها من الفتن . ولقد تعددت صور هذه العقوبة وطريقتها ومدتها ومن تلزمهم العقوبة ، والفهاء يطلقون لفظ التغريب أو الإبعاد أو النفى على هذه العقوبة ، وأبو حنيفة يرى التغريب تعزيراً ، وبقية الأئمة يرونه حداً ، وفيما عدا جريمة الزنا فالتغريب يعتبر تعزيراً باتفاق .

" ويلجأ لعقوبة التغريب إذا تعددت أفعال المجرم إلى اجتذاب غيره إليها أو اضرارها بها ، ويرى بعض الفقهاء فى مذهبي الشافعى وأحمد أن لا تصل مدته فى التعزير عاماً تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من بلغ حداً فى غير حد فهو من المعتدين " (٣) ويرى أبو حنيفة أن مدة التغريب يصح أن تزيد على السنة ، لأنه لا يعتبر التغريب حداً وإنما يعتبره تعزيراً ، ويرى مالك أن من الممكن زيادة مدة التغريب عن سنة مع تسليمه بأن التغريب حد ، لأنه يرى الحديث منسوخاً ، ويظاهر مالكاً وأبا حنيفة بعضهما مذهبي الشافعى وأحمد . والقائلون بأن مدة التغريب يصح أن تزيد عن سنة لا يحددون مدة التغريب بل يرون التغريب عقوبة غير محدودة ، ويتركون لولى الأمر أن يأذن للمغرب فى العودة إذا صلح حاله وظهرت توبته . والمحكوم عليه بالتغريب لا يحبس فى مكان معين ، ولكن يصح على رأى البعض أن يوضع تحت المراقبة ، وأن تقيد حريته ببعض القيود ، ولكن ليس له اتفاقاً أن يعود إلى المحل الذى غرب عنه قبل انتهاء مدة التغريب عند من يحددون له مدة ، وتقبل

^١ سنن النسائي - كتاب البيعة - باب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ص ٦٤٣ - حديث رقم ٤١٧٢ - تحقيق الألبانى وقال عنه صحيح

^٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - ج ٩ ص ١٤٨

^٣ سنن البيهقي - كتاب الأشربة - باب ما جاء فى التعزير وأنه لا يبلغ - ج ٨ ص ٥٦٧ حديث رقم ١٧٥٨٤ وقال عنه المحفوظ هذا الحديث مرسل (ضعيف)

توبته ويؤذن له بالعودة عند من لا يحددون للتغريب مدة " (١) وقد ذكر الفقهاء الحالات التي استخدمها الشرع الحنيف في عقوبة الإخراج والنفي منها :

١ - النفي :

وكان من أول من نفاه النبي صلى الله عليه وسلم الحكم (٢) بن أبي العاص من المدينة إلى الطائف لأن الحكم - والعياذ بالله - كان يقلد مشية النبي باستهزاء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأً تكفؤاً كأنما يتحدر من صلب . فقد كانت مشية النبي مشية خاصة . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحكم يقلده في مشيه فنفاه من المدينة إلى الطائف ، وظل الحكم في الطائف طوال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءت خلافة أبي بكر الصديق ، ذهب أهل الحكم إلى أبي بكر فلم يوافق . وعندما جاءت خلافة عثمان وكان رضى الله عنه حبيباً وخجولاً فقال : لقد أخذت كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل شبهة الإفراج عنه ، ويفرج عنه عثمان بن عفان رضى الله عنه (٣) والنفي قد نصت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). (٤) وقد ذكر القرطبي في تفسيره أقوالاً في هذه الآية واختلافاً للعلماء ، ومنها أن الإمام مخير بظاهر الآية في هذه العقوبة ، ونقل كلاماً لابن عطية ، وبقي النفي للمخيف فقط والمخيف في حكم القاتل ، وقال وينبغي للإمام إن كان هذا المحارب مخوف الجانب يظن أنه يعود إلى حرابة أو إفساد أن يسجنه في البلد الذي يغرب إليه ، وإن كان غير مخوف الجانب فظن أنه لا يعود إلى جناية سرح (١)

٢ - التغريب في حق الزانى البكر :

وتعاقب الشريعة الزانى غير المحصن بالتغريب عاما بعد جلده ، والمصدر التشريعى لهذه العقوبة حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام " (٢) وهذا الحديث غير متفق عليه بين الفقهاء ، ولذلك اختلفوا حيال هذه العقوبة ، فأبو حنيفة وأصحابه

^١ التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالقانون الوضعى - عبد القادر عودة - ج٦ ص٦٩٩

^٢ الحكم بن ابي العاص بن امية الأموي ابن عم أبي سفيان الغرماء أبا مروان من مسلمة الفتح وله أدنى نصيب من الصحبة قيل نفاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لكونه حكاة في مشيته وفي بعض حركاته فسبه وطرده فنزل بوادي - وقيل كان يقشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبعده لذلك مات سنة احدى وثلاثين - تهذيب التهذيب

^٣ عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمع بن غريبة بن هيصم بن كعب الجمحي أبو السائب من سادة المهاجرين ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حيات نبيهم صلى الله عليه وسلم فصلة عليهم وكان أبو السائب رضى الله عنه أول من دفن بالقيع : قال ابو عمر النمري أسلم أبو السائد بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وتوفي بعد بدر وكان عابدا مجتهدا وكان هو وعلي وأبو ذر هموا أن يختصوا . تهذيب التهذيب

٤ سورة المائدة - الأيتان (٣٣ - ٣٤)

يرون أن الحديث منسوخ ، أو غير مشهور وإذا اعترفوا بالتغريب فانما يعترفون به على أنه تعزير لا حد ، فيجوز الحكم به إذا رآه الإمام ، والامام مالك يرى التغريب حداً واجباً على الرجل دون المرأة ، والشافعي وأحمد يريان في التغريب حداً يجب على كل زان غير محصن . ويرى القائلون بالتغريب أنه يغرب الزانى من بلده الذى زنا فيه إلى بلد آخر داخل حدود دار الإسلام على أنه لا تقل المسافة بين البلدين عن مسافة القصر . ويرى مالك أن يسجن الزانى فى البلدة التى يغرب إليها ، ويرى الشافعي أن يراقب فى البلدة التى يغرب إليها ولا يحبس إلا إذا خيف هربه ، ورجوعه إلى بلدته فيحبس .

ويرى أحمد أن لا يحبس المغرب ، والتغريب يعتبر عقوبة تكميلية بالنسبة لعقوبة الجلد ، وله في نظرنا علتان :

الأولى : التمهيد لنسيان الجريمة بأسرع ما يمكن ، وهذا يقتضى إبعاد المجرم عن مسرح الجريمة ، أما إبقاؤه بين ظهرانى الجماعة ، فإنه يحيى ذكرى الجريمة ويحول دون نسيانها بسهولة .

الثانية : أن إبعاد المجرم عن مسرح الجريمة يجنبه مضايقات كثيرة لا بد أن يلقاها إذا لم يبعد ، وقد تصل هذه المضايقات إلى حد قطع الرزق ، وقد لا تزيد على حد المهانة والتحقير ، والإبعاد يهيء للجاني أن يحيا من جديد حياة كريمة ، وظاهر مما سبق أن التغريب وإن كان عقوبة إلا أنه شرع لمصلحة الجاني أولاً ، ولمصلحة الجماعة ثانياً ، والمشاهد حتى فى عصرنا الحالي الذى انعدم فيه الحياء أن كثيرين ممن تصيبهم معرة الزنا يهجرون موطن الجريمة مختارين ، لينأوا بأنفسهم عن الذلة والمهانة التى تصيبهم فى هذا المكان . (٣)

٣- نفي أهل الريبة :

وللإمام أن يقوم بنفي من يرتاب فى أمرهم لما يقومون به من نشر فساد أو فتنة ، أو كان فى إطلاعهم على بعض الأسرار ما يحملهم على نشر فساد أو إذاعة منكر ، وقد روى البخاري بسنده عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها فى البيت مخنث فقال المخنث لأخى أم سلمة عبد الله بن أبى أمية إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يدخلن هؤلاء عليكم . (٢)

الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٥ ص ١٥٠ - بتصريف

٢ صحيح مسلم - كتاب الحدود - باب حد الزنا - ج ٣ ص ١٣١٦ - حديث رقم ١٦٩٠

٣ التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالقانون الوضعى - عبد القادر عودة - ج ١ ص ٦٣٩

٢ صحيح البخاري - كتاب المغازى - باب غزوة الطائف فى شوال ج ٣ ص ١٠٥٣ - حديث رقم ٤٣٢٤

وذكر إسم هذا المخنث هيت وقيل ماتع ، كما نقل عن ابن حجر فى شرحه للحديث وذكر إخراج النبي صلى الله عليه وسلم لعدة مواضع منها حمراء الأسد ومنها البقيع وقيل إلى الحمى ، وقيل أنه كان يصف النساء وينعتهم للرجال ، وخلص ابن حجر إلى قوله : وهذا الحديث أصل فى إبعاد من يستراب به فى أمر من الأمور . (١)

وعاقب عمر ضبيعاً بالضرب ونفاه إلى البصرة أو الكوفة ، وأمر بهجره فكان لا يكلمه أحد حتى تاب وكتب عامل البلد إلى عمر يخبره بتوبته فأذن للناس فى كلامه وكذلك نفى عمر نصر بن حجاج من المدينة . (٢)

ويظهر البحث أن عقوبة النفى والإبعاد هى عقوبة تعزيرية .

المبحث السابع

موقف المنافقين من قضية الخروج

ظل المنافقون على حالهم من الخذلان ، والصد عن سبيل الله ، وإضعاف عزائم المؤمنين ، أمام أى قضية إيمانية ، وحالهم هذا لم يختلف أمام قضية الإخراج والخروج فهم على حالهم فى كذبهم وترددهم ورببتهم وإرجافهم وأعدارهم الواهية ، وعودهم الهاوية ، وتركهم

^١ فتح البارى - ابن حجر العسقلانى - ج ٩ ص ٦٩٥ - بتصريف

^٢ التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالقانون الوضعى - عبد القادر عودة - ج ١ ص ٦٩٩

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فى ساحة الجهاد والقتال ، وقد فصل القرآن فى إظهار صورة واضحة عن هذه الأخلاقيات المنهزمة التى تحاول النيل من شخصية المسلم وصدده عن سبيل الله ، بما اعتمدوا من أساليب ساقطة ، ودسائس مأكرة كشفها القرآن ، وفضحها الرحمن فى كتابه ، ونقف مع هذه الأساليب فى أربعة مطالب على النحو التالى :

المطلب الأول : اعتمادهم مبدأ الحلف الكاذب فى عدم الخروج

اقتدى المنافقون بإمامهم إبليس فى أفعالهم وأقوالهم ، الذى حذرنا ربنا من اتباعه ، حيث قال تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). (١) ، وإبليس أول من ابتدع واعتمد مبدأ الحلف الكاذب ، وهو أول من حلف بالله كاذبا ، وقد ذكر الله ذلك فى كتابه فى قوله تعالى : (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ). (٢) وما كان آدم عليه الصلاة والسلام يظن أن أحدا يحلف بالله كاذبا تعظيماً لإسم الله وإكراماً لذاته ، وقد شخصت العدسة القرآنية هذا المرض العضال فى قوله تعالى : (...وَسِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ...). (٣) وقال تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (٤) ، " أى لو كان لنا سعة فى الظهر والمال لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق والله يعلم إنهم لكاذبون فى الإعتلال " (٥).

لقد امتنوا هذا الحلف الكاذب حتى أصبح سجية فيهم ، وقد كفانا القرآن عن طاعتهم على كذبهم وامتنانهم هذا : (وَلَا تَطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ). (٦) ، (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً). (٧) وقد فضحهم القرآن على أيمانهم الكاذبة ، وكشف سوءاتهم ، فقال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُوَّابِلًا لِّمَا لَمْ يَنْتَلُوا...). (٨) فهو الكذب المصاحب للضعف أبداً ، وما يكذب إلا الضعفاء ، أجل ما يكذب إلا الضعيف ، ولو بدا فى صورة الأفوياء الجبارين فى بعض الأحيان ، فالقوى يواجهه ، والضعيف يداور وما تتخلف هذه القاعدة فى موقف من المواقف ولا فى يوم من الأيام ، والله يعلم الحق

^١ سورة البقرة - الآية (٢٦٨)

^٢ سورة الأعراف - الآية (٢١)

^٣ سورة التوبة - الآية (٤٢)

^٤ سورة النور - الآية (٥٣)

^٥ الجامع لأحكام القرآن - الفرطبي - ج ٨ ص ١٤٤ - بتصريف

^٦ سورة القلم - الآية (١٠)

^٧ سورة المنافقون - الآية (٢)

^٨ سورة التوبة - الآية (٧٤)

ويكشفه للناس ، فيهلك الكاذب في الدنيا بكذبه ، ويهلك في الآخرة يوم لا يجدى النكران ، " والله يعلم إنهم لكاذبون " (١).

ولقد صور القرآن هذه الصورة المريبة التي يتحرك بها المنافقون من خلال اجتهادهم فى الحلف الكاذب ، ومبالغتهم فيه وذلك فى قوله تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلُوبُهُمْ لَئِن أُتُوا بِطَاعَةٍ مَّعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). (٢) ، " أى حلف المنافقين بالله جهد اليمين ، ووصفت أيمانهم بذلك لأنهم يبذلون فيها جهودهم ، وذلك يكون إذا بالغ الحالف فى اليمين فبلغ غاية شدتها ووكادتها " لئن أمرتهم ليخرجن " أى حلفوا لئن أمرنا محمد صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الغزو لنغزون ، أو لئن أمرنا بالخروج من ديارنا لنخرجن " قل لا تقسموا " أى لا تحلفوا " طاعة معروفة " أى طاعة معلومة لا يشك فيها ، ولا يرتاب ، كطاعة المخلص من المؤمنين ، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ، وقيل معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أى قد عرفتم طاعتكم إنما هى قول لا فعل معه ، وكلما حلفتكم كذبتهم ، وفى ذلك إشارة إلى أن من سجيبتهم الكذب ، حتى فيما يختارونه ، وقيل معناه ليكن أمركم طاعة بالمعروف ، من غير حلف ولا أقسام ، كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا أنتم مثلهم " إن الله خبير بما تعملون " أى هو خبير بكم ، وعمن يطيع ممن يعصى ، فالحلف واطهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج على المخلوق ، فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى ، لا يروج عليه شئ من التدليس ، بل هو خير بضمان عباده ، وإن ظهروا خلافها ، وفى ذلك تهديد لهم أن يفضحوا . " (٣)

المطلب الثانى : حرمانهم شرف الجهاد لا اختيارهم التخلف والقيود والتفريق بين المؤمنين ذكرت الآيات فى سورة التوبة موقف المنافقين فى تخلفهم عن الجهاد والتماسهم الأعذار الواهية ، حيث قصدتهم ضعف الهمة وهزال النخوة واطمأنوا إلى السلامة والراحة البليدة التى لا تليق بالرجال ، فقال الله تعالى : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ

^١ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ٢٣٢

^٢ سورة النور - الآية (٥٣)

^٣ الأساس فى التفسير - سعيد حوى - ج ٧ ص ٣٨٠١

رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ). (١) هؤلاء الذين أدركتهم ثقله الأرض ، ثقله الحرص على الراحة والشح بالتفقه وقصد بهم ضعف الهممة ، وهزال النخوة وخواء القلب من الإيمان هؤلاء المخلفون ، والتعبير يلقي ظل الإهمال كما لو كانوا متاعاً تخلف أو هملاً يترك فرحوا بالسلامة والراحة " خلاف رسول الله " وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد ، وحسبوا أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال .. هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد فى ساعة العسرة ، وتخلفوا عن الركب فى أول مرة ، هؤلاء لا يصلحون لكفاح ، ولا يرجون لجهاد ، ولا يجوز أن يؤخذوا بسماحة التغاضى ، ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد ، الذين تخلوا عنه راضين .. إن الدعوات فى حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة ، تصمد فى الكفاح الطويل الشاق ، والصف الذى يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلون فى ساعة الشدة ، فيشيعون فيه الخذلان والضعف والإضطراب ، فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة ، والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف فى ساعة الشدة ، ثم يعودون إليه فى ساعة الإسترخاء ، جنائية على الصف كله ، وعلى الدعوة التى يكافح فى سبيلها كفاحه المرير .. لقد فقدتم حركم فى شرف الخروج وشرف الإنتظام فى الكتيبة ، والجهاد عبء لا ينهض به إلا من هم له أهل ، فلا سماحة فى هذا ولا مجاملة " فاقعدوا مع الخالفين " هذا هو الطريق الذى رسمه الله تعالى لنبيه الكريم ، وإنه لطريق هذه الدعوة ورجالها أبدا . فليعرف أصحابها فى كل زمان وفى كل مكان ذلك الطريق . (٢)

ولقد أشار القرآن إلى هذا التردد والذبذبة فى اتخاذ القرار بالخروج للجهاد ، ومنهم الذين لم يعدوا له عدة كما قال تعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ). (٣) مع أنهم قادرين على الخروج ، ولم يستشعروا حقيقة الإيمان بيوم الجزاء نظير خروجهم وجهادهم فهم فى ريبهم وشكهم وأمراضهم يترددون . " ولذلك يجب الإستعداد للجهاد قبل وقوعه ، والإستعداد للأمور قبل وقوعها ، كما قال تعالى (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...) . (٤) وقال سبحانه: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً...) . (٥)

^١ سورة التوبة - الآيات (٨١ - ٨٣)

^٢ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ٢٦٥

^٣ سورة التوبة - الآية (٤٦)

^٤ سورة الأنفال - الآية (٦٠)

^٥ سورة التوبة - الآيات (٢٦)

وضحت الآيات أن خروج المنافقين في جيش المسلمين كانت ستترتب عليه ثلاث مفاسد :

١- زيادة الإضطراب والفوضى و افساد النظام .

٢- تفريق كلمة المسلمين بالتحية والوشاية والإشاعات الكاذبة.

٣- استدراج فئة من ضعاف الإيمان والحزم إلى صفوفهم وسماع كلامهم (١)

المطلب الثالث : خذلانهم لأهل الكتاب في عدم الخروج معهم

العلاقة المشبوهة بين المنافقين واليهود علاقة أكد القرآن وجودها وخطورتها ، فهي مبنية على الولاء والموالاته ، والتقاء المصالح بينهما على حرب المؤمنين ، والصد عن سبيل الله ، وهو نموذج قديم يتكرر دائماً لخونة هذه الأمة الذين يوالون أعداء الله ، ويعدوهم بالمؤازرة والتمكن ثم يخذلونهم في وقت الأزمة وسجل القرآن هذا المشهد الحق في سورة الحشر ، قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذُنُ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ). (٢)

" إن هناك مصادفة وموالاته ومعاونة في الظاهر بين المنافقين واليهود ، بسبب أخوة الكفر ورابطة الإشتراك في العداوة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول المنافقون ليهود قريظة والنضير :نحن معكم في الإقامة والقتال والخروج ، ولا نطيع محمداً في قتالكم ، والله شاهد على أنهم كاذبون في قولهم وفعلهم ، وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأخبار الغيب ، لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا ، وقوتلوا فلم ينصروهم .كذب الله المنافقين أولاً على سبيل الإجمال ، ثم أتبعه بالتفصيل ، فأخبر بأن اليهود لو أخرجوا من ديارهم ، لم يخرج المنافقون معهم ، وأنهم لو قاتلهم المؤمنون ما نصرروهم ولا عاونوهم ، ولئن نصر المنافقون اليهود لفروا هاربين منهزمين ...إن مثل المنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم مثل الشيطان الذي سول للإنسان الكفر ، فلما كفر تبرأ منه ،مدعياً أنه يخاف عذاب الله ، فكانت عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والإنسان ، حيث صاروا إلى جهنم خالدين فيها على الدوام " (٣).

^١ تفسير القرآن الكريم - د. عبدالله شحاته - ج ٥ ص ١٨٨٢

^٢ سورة الحشر - الآيتان (١١-١٢)

^٣ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي - ج ٢٨ ص ١٠٠ - بتصرف

والقرآن يقر هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين ، ليهون فيها من شأن أعدائهم ، ويرفع عنها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم ، فهو إحياء قائم على حقيقة ، وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت ، ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله ، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد ، فلم تقف لهم قوة في الحياة ، والمؤمنون ينبغي لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم ، فهذا نصف المعركة.(١)

المطلب الرابع : استكبارهم وسعيهم لإذلال المؤمنين باخراجهم

ظلت أهداف المنافقين تتطلع إلى إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه من المدينة المنورة ، وكانت هذه الأهداف أمنية تتردد في صدور كبارهم ويلوحون بها كلما عن الطلب وتاقت الأنفس الشريرة إلى تحقيق هذه الأهداف في قوله تعالى : (يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ). (٢) ، وقد ذكر الإمام البغوي في معالم التنزيل طرفاً في أسباب نزول الآيات مما ذكره الإمام محمد بن اسحاق وغيره ، حيث وضح ذلك عند عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، واختلاف أجيرين أحدهما لعمر والآخر حليفاً لبنى عوف واقتتالهم واستصراخهم الأنصار والمهاجرين فقال ابن سلول ساعتهما : افعلوها فقد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك بأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، يعنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم : أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين ... وانتهى الأمر إلى أن يقف ولد عبدالله بن أبي بن سلول ليستأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب عنق أبيه ويعفو عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

وهكذا رسم السياق القرآني صورة واضحة لجرائم هؤلاء المنافقين ، وتعرضهم لعباد الله الموحدين فهم فضلا عن تخلفهم عن منازل المجاهدين ، واستئذانهم بغير عذر ، ونكوصهم

^١ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٨ ص ٤٤

^٢ سورة المنافقون - الآية (٨)

^٣ انظر معالم التنزيل - البغوي - ج ٥ ص ٣٨٩

عن السير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبقى سمتهم واضحة فى قوله تعالى :
(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (١)

الفصل الثانى

^١ سورة التوبة - الآية (٦٧)

الإخراج من الديار في حق الأنبياء وأتباعهم في ضوء القرآن الكريم

ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المخرجون من الأنبياء والرسل السابقين وأتباعهم

المبحث الثاني : جريمة الإخراج في حق النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : الهجرة والإخراج في حياة الصحابة

الفصل الثاني

الإخراج من الديار في حق الأنبياء وأتباعهم في ضوء القرآن الكريم

توطئة :

اقتضت حكمة الله في سنته الجارية على خلقه أن يكون الأنبياء والرسل أئمة للناس في الخير والابتلاء ، بل هم أعظم إبتلاء إذ الإبتلاء على قدر الإيمان ، لذا جرت سنن الله في إخراج الأنبياء والرسل إما تسليطاً من الكفار والأعداء عليهم ، وإما هجرة يؤمرون بها من قبل الله ، وأما سياحة في الأرض تفكراً في خلق الله ، وما جرى للرسل والأنبياء جرى لاتباعهم من حملة الرسالات والدعوات.

قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِّنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ). (١)

وحيثما تلقى الضوء على هؤلاء الأئمة الأعلام الذين جعلهم الله قدوة للناس ، ومنازة للخلق إنما تسر به قلوب الرجال ، وتشرح لذلك صدور المؤمنين بأنهم ليسوا وحدهم في هذا الطريق الذي ارتضاه الله لصفوة خلقه ، وحملة كتبه ، بل هي عبادة قائمة ، وسنة دائمة وصراط مستقيم ، ومنهاج قويم .

والله سبحانه لا يقدر إلا الخير للذين أخرجوا فقد يكون في خروجهم الخير ، وفي هجرتهم البركة ، وفي تركهم لديارهم تمكيناً لهم ورفعة ، فالأمن لا يأتي إلا بعد الخوف والإيواء ، والنصرة لا تتأتى إلا عبر الاستضعاف والفرقة ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

المبحث الأول

المخرجون من الأنبياء والرسل السابقين وأتباعهم

إن الأنبياء والرسل الذين أخرجوا من ديارهم وهاجروا وهجروا وأبعدوا لا يحصى لهم عدد معين ، لذا أحببت أن أبدأ بحثي هذا بتمهيد له على النحو التالي :

١- سنة الله المتوالية في إخراج الأنبياء والرسل ، قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). (٢) ويرى أكثر المفسرين أن الآية سنة عامة في جميع الأنبياء والرسل بينما يرى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره أن المقصود بالرسول هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول فالظاهر عندي أن المراد في " الذين كفروا " هنا كفار قريش على طريق التوجيه ، وأن المراد به رسلكم " الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " ، وإطلاق صيغة الجمع على الواحد مجاز .

^١ سورة إبراهيم - الأيتان (١٣ - ١٤)

^٢ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

إما إستعارة إن كان فيه مراعاة تشبيه الواحد بالجمع تعظيماً له كما في قوله تعالى: (... قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ). (١) ، وإما مجاز مرسل إذا روعي فيه قصد التعمية ، فعلاقته الإطلاق والتقييد والعدول عن الحقيقة إليه بقصد التعمية ، فلا جرم أن يكون المراد به الذين كفروا من كفار قريش مكة ، ويؤيده قوله بعد ذلك " ولنسكنكم الأرض من بعدهم " فإنه لا يعرف أن رسولاً من رسل الأمم السالفة دخل أرض مكذبيه بعد هلاكهم وامتلاكها إلا النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال في حجة الوداع : منزلنا إن شاء الله غداً بالخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر..وتأكيد وعدهم بالإخراج بلام القسم ونون التوكيد ضراوة في الشر (٢).

٢- وفي رواية الإمام البخاري في بدء الوحي لحديث أم المؤمنين عائشة وهي تروي بداية الوحي وفيه " ... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة ، وكان أمراً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا تري فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأي ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مُخرجي هم قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي " (٣) وأنت تلمس من خلال الحديث :

أ- أن ورقة رضي الله عنه لم يستحضر ما سيواجه به النبي صلى الله عليه وسلم من ألوان العذاب والبلاء إلا الإخراج ، وهذا الفهم من خلال علم ورقة رضي الله عنه ، وفهمه لما قرأه في الكتب السابقة إذ سيجري على النبي صلى الله عليه وسلم ما جرى على إخوته الأنبياء من قبل أن يأتي الأنبياء قبله ، لذا فقد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم نبأ الهجرة يوم أن تلقى نبأ البعثة .

ب- ملة الكفر لا تطيق أن تري التوحيد يتحرك على الأرض ، ويمارس دعوته بهدوء فتضيق به ذرعاً ، ومن ثم تمارس سنتها النكدة في ملاحقة المؤمنين ومطاردة الأمنين ،

^١ سورة المؤمنون - الآية (٩٩)

^٢ انظر تفسير التحرير والتتوير سماحة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - مجلد ٧ جـ ص ٢٠٦- بتصرف المعجم الكبير جـ ١١ ص ٦١ حديث رقم (١١٠٤٨) - الطبراني - ولم يحكم

^٣ سبق تخريجه - انظر ص ١٢

والحديث يؤكد هذه السنة من العداوة ، وأن الإخراج والطرده هي إحدى صور هذا الاعتداء والإجرام .

٣- وبناء عليه فليس إخراج الأنبياء والرسل السابقين هو بدعة من القول ، وخروج عن سنة الله المألوفة في هذا الصراع ، بل هو الصراط المستقيم الذي أرسل الله به أنبياءه ورسله . ولنستعرض نماذج مبسطة لبعض من أخرج من الأنبياء ممن ذكرهم القرآن ، وذلك على النحو التالي :

آدم عليه السلام :

وقد سبق الحديث عنه في مواضع عدة في هذا البحث ونذكر بإشارات هامة فيها وهي أن آدم عليه السلام أمره الله أن يسكن الجنة وأن يقيم فيها هو وزوجته ، قال تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...) . (١) ، وقد حذره الله من الاستجابة لغواية الشيطان مخافة أن يطردهم من الجنة وأن يخرجوا منها فقال : (...فَلَمَّا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) . (٢) ووقع آدم عليه السلام في غواية الشيطان فباء بالأمر الإلهي : (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا...) . (٣) وقد اختلف المفسرون في المكان الذي هبط فيه آدم وحواء فقيل : كما ذكر عن قتادة وابن عباس : أن حواء هبطت إلى جدة ، وقال آخرون بل أهبط آدم بسرنديب على جبل يدعى تود ، وحواء بجدة من أرض مكة ، ثم يعلق الإمام ابن جرير على هذه الأقوال ، وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة ، ولا يعلم خبر في ذلك غير ما ورد في خبر هبوط آدم في أرض الهند ، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء . (٤)

نوح عليه السلام :

أرسل نوحاً إلى قومه فبلغهم رسالات الله ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ودعاهم إلي عبادة التوحيد ، وترك عبادة الأصنام فلم يجيبوه ، واستهزءوا بمن آمن معه فأمره الله أن يصنع الفلك على علم الله ووحيه ورعايته ، ويتجهز للخروج من أرض الظالمين ، وانطلق

^١ سورة البقرة - الآية (٣٥)

^٢ سورة طه - الآية (١١٧)

^٣ سورة البقرة - الآية (٣٨)

^٤ انظر قصص الأنبياء - الطبري - تحقيق جمال بدران - ص ٣٩

عليه السلام بالمؤمنين كما حكى عنه القرآن : (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا
إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). (١)

انتهى المطاف بهم إلى قوله : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). (٢) وذكر ابن جرير في
تفسيره أن الجودي قيل أنه جبل ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة . (٣)

وعن ابن عباس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادي عسفان قال :
يا أبا بكر أي وادي هذا ، قال : هذا وادي عسفان قال : لقد مر بهذا الوادي نوح وهود
وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف ، وإزرهم العباء ، وأرديتهم النمار يحجون
البيت العتيق . (٤)

ثم ذكر ابن كثير شيئاً عن قبره فقال روي ابن جرير عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من
التابعين مرسلأ أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام ، وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره
الكثير من المتأخرين أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح ، وهناك جامع قد بنى بسبب
ذلك مما يذكر والله أعلم . (٥)

إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وهو من أولى العزم من الرسل بعثه
الله رسولاً فمكث ببلاد العراق ، وكانوا يعبدون الأصنام والكواكب من دون الله ، وقد بدأ
إبراهيم عليه السلام دعوته في العراق مع أبيه أولاً ثم مع قومه ثانياً ثم مع الملك الظالم
الكافر بعد ذلك ، ولما لم يستجيبوا له حطم أصنامهم فحكموه بإحراقه بالنار ، والله أنجاه منها
، وبعد ذلك أمره الله بالخروج والهجرة من أرض العراق فغادرها إلى الأرض المقدسة وكان
معه لوط عليه السلام ، قال تعالى : (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ). (٦)

" سلمه الله من نار قومه ، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام إلى الأرض
المقدسة منها ، كما قال الربيع بن أنس عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : الشام وما

^١ سورة هود - الآية (٤١)

^٢ سورة هود - الآية (٤٤)

^٣ انظر تفسير - ابن جرير الطبري - ج ٧ ص ٥٤

^٤ مسند أحمد - ج ٣ ص ٤٩٥ - رقم الحديث ٢٠٦٧ - تحقيق شعيب الأرنؤوط وقال عنه ضعيف

^٥ قصص الأنبياء - ابن كثير - ج ٨ ص ٨٤

^٦ سورة الأنبياء - الآية (٧١)

من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة ، وقال قتادة كان بأرض العراق ، فأجابه الله إلى الشام ، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة " . (١)

أقام إبراهيم عليه السلام في الأرض المباركة فلسطين ، وكانت معه زوجته المؤمنة سارة رضي الله عنها فارتحل مع سارة إلى مصر ، وهناك جرت لهما مع ملك مصر قصة وأهداهما هاجر ، قدمت سارة هاجر إلى إبراهيم وتسري بها فأنجبت له أول أولاده إسماعيل عليه السلام ، وأمره الله بأخذها هي وإسماعيل إلى بلاد الحجاز فنفذ أمر الله ، وهبه الله بعد ذلك إسحاق عليه السلام من زوجته سارة بعد أن كان شيخاً وكانت زوجته عاقراً ، ولما شب إسماعيل أمره الله ببناء الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل فبنى أول بيت وضع للناس ، وبعد ذلك بني ثاني بيت لعبادة الله ، وهو المسجد الأقصى في بيت المقدس ، وشب إسحاق في حياة إبراهيم كما شب إسماعيل قبله ، وزوج إبراهيم ابنه النبيين إسماعيل وإسحاق ، وأنجب إسحاق ابنه يعقوب ، ورأى إبراهيم حفيده يعقوب النبي عليهم الصلاة والسلام . (٢)

ولقد نالت فلسطين ما نالت من الخير والبركة بسبب هجرة إبراهيم عليه السلام إليها حتى أصبحت تسمى مهاجر إبراهيم عليه السلام ، والتي حث النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة إليها ، روي أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقي في الأرض شرار أهلها ، وتحشرهم النار مع القرردة والخنازير (٣)

ومما يذكر أن إبراهيم عليه السلام تنتقل في بقاع فلسطين ، ولم يذكر القرآن أو الرسول شيئاً عن الأماكن التي حل بها إلا أن أهل التوراة يذكرون شيئاً من هذه التفاصيل ، ويذكرون أسماء مدن مثل القدس ، وشخيم " نابلس " ، و " حبرون " الخليل ، وبئر السبع ، وليس عندنا مصدر يقيني بذلك غير أن بعض أهل العلم وقف عند حديث الإمام البخاري الذي رواه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال : " اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدم " . (٤) ومنهم من يقول أن القدم اسم الآلة ، وقيل هو اسم لقرية معروفة في فلسطين واسمها الآن كفر قدوم أي أن إبراهيم عليه السلام كان مقيماً في هذه القرية (٥) . ولعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان أول من هاجر في سبيل الله ،

^١ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٣ ص ١٩١ - بتصريف

^٢ انظر القصص القرآني - عرض وقائع وتحليل أحداث - د. صلاح الخالدي - ج ١ ص ٣٢١

^٣ سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في سكنى الشام ص ٣٧٦ حديث رقم ٢٤٨٢ تحقيق الألباني وقال عنه ضعيف

^٤ صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى: " واتخذ الله إبراهيم خليلاً " ج ٢ ص ٨٢١ حديث رقم ٣٣٥٦

^٥ القصص القرآني د. صلاح الخالدي ج ١ ص ٣١٢

وفارق الأهل وقومه من أجل الله ، وغادر موطنه إلى موطن آخر للدعوة إلى الله ، وقال الله تعالى على لسانه : (...إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (١)

إسماعيل عليه السلام :

بعد ما أنجبت هاجر إسماعيل في فلسطين أمر الله إبراهيم بأن يأخذ بيد ولده الرضيع ، وأمّه إلى بلاد الحجاز تنفيذاً لأمر الله ، وسجل القرآن هذا الحدث الفريد بقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). (٢)

وتتابع وجود إسماعيل في أرض الحجاز بيني البيت ، ويختبر في أمر ذبحه ، ويستسلم لأمر الله وظل موجوداً في أرض الحجاز ودفن فيها .

يعقوب عليه السلام :

وقد ولد لإسحاق وبشرت به الملائكة سارة قال تعالى : (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) (٣)

وقد ساق الإمام ابن كثير في كتابة قصص الأنبياء أن يعقوب عليه السلام خرج فراراً من أخيه العيص ولحق بأرض حران عند خاله لابان ، وأنه قد تزوج من بناته ، ومكث هناك عشرين سنة ثم عاد إلى بيت المقدس ، وشرع في بناء المسجد ، وكان من ذهابه إلى مصر وحضوره إلى ولده يوسف ما ذكره القرآن في ذلك بوضوح ، وقد ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء أن يعقوب مات بمصر ، وأوصي أن يدفن بجانب إسحاق ، وجده إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم المغارة التي دفنوا فيها فكان ذلك.

يوسف عليه السلام :

في قصه يوسف عليه السلام آيات وعبر فقد أجمع إخوته على الكيد به ، وإلقاءه إلى أرض بعيدة للتخلص منه بحجة أن قد نافسهم على قلب أبيهم يعقوب ، ولقد سجل القرآن هذه القصة الفريدة في سورة كاملة سميت سورة يوسف ، وكان منها هذه الآية : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ). (٤)

^١ سورة العنكبوت - الآية (٢٦)

^٢ سورة إبراهيم - الآيات (٣٥ - ٣٧)

^٣ قصص الأنبياء - ابن كثير - ص ٢١٦

^٤ سورة يوسف - الآية (٧)

تمت الخطة وألقي يوسف عليه السلام في هذه الأرض البعيدة ، وهي على طريق القوافل ووجد أهل القافلة هذا الصغير ليحملوه ليبيع كما يبيع الرقيق في مصر ، وجاءت سيارة كما في الآية (١٩- ٢٠) من سورة يوسف قال تعالى : (وجاءت سيارة فأرسلو واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) ، ويوسف عليه السلام يتعرض من محنة إلى محنة ، ومن ابتلاء إلى ابتلاء حتى يأوي إلى السجن ، وتنتهي المحن إلى أن يكون عزيز مصر ، ويستقر بها يعقوب ويوسف ويجمع الله شملهم .

لوط عليه السلام :

لوط عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء الله ، ورسول من رسله ، وقد أخبرنا القرآن أنه آمن بإبراهيم عليه الصلاة والسلام لما كان إبراهيم يدعو إلى الله في بلاد العراق ، ولا يذكر القرآن صلة القرابة بينهما ، وقال الله تعالى (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (١) وقال تعالى : (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ). (٢) ، ولما وصلوا إلى فلسطين أرسل إليه لوطاً نبياً ورسولاً إلى قوم كانوا يسكنون في الجنوب الشرقي منها في عدة قرى مجتمعة ، وهم قوم انحرفت فطرتهم ، وتلوثوا بالفاحشة ، وانتشر فيهم الشذوذ ، وأعلنوا بها دون تحرج ولا استحياء ، وعندما نهاهم نبي الله لوط عن هذه الفاحشة وطلب منهم أن يتقوا الله ، ويرجعوا إلى الطهارة والعفة، فما كان ردهم إلا أن جاؤوا بأمر عجيب وغريب ، (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ). (٣) ، قال تعالى : (قَالُوا لئن لَّم تَتَّعِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ). (٤)

^١ سورة العنكبوت - الآية (٢٦)

^٢ سورة الأنبياء - الآية (٧١)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٨٢)

^٤ سورة الشعراء - الآية (١١٦)

وقد أمر الملائكة نبي الله لوط أن يخرج من بين هؤلاء المعتدين هو ومن آمن معه وأرشدوه إلى طريق الخلاص حيث قال تعالى: (...فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ). (١)

(فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أُنْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ). (٢)

ولم يبق من أهله إلا امراته لتكون من الهالكين .

شعيب عليه السلام :

وقد أرسل شعيب عليه السلام إلى أهل مدين وهم عرب يسكنون مدينتهم مدين التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم فيما حكاه القرآن بمدة قريبة . (٣)

" وقد بلغ الخلاف مبلغه مع هؤلاء المعتدين حيث قالوا قوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ). (٤)

والإضافة في قولهم من قريتنا توحى بالتكبر ، والاعتداء ، والعنجهية ، وكأن الملائكة الكافرون المستكبرون يقولون لشعيب وأتباعه : إن القرية قريتنا ، وليس قريتكم هي قريتنا وبلدتنا ، ونحن أحرار التصرف فيها نبقى فيها من نشاء إبقاءه ، ونخرج منها من نشاء طرده وإخراجه ، وأنتم فقدتم حاكم في المواطنة والملكية في القرية لأنكم أتيتم بدين جديد ، وخالفتم دين الملائكة الحاكمين فلستم من الأهل والأقارب ، ولا من المواطنين ، ولا بد أن تغادروا من بيننا وأن تتركوا قريتنا لنا .

إن منطق هؤلاء المستكبرين هو منطق الملائكة المستكبرين في كل زمان ومكان عندما يقفون أمام الأنبياء ودعاة الحق ، ويعاملونهم بهذه المعاملة والجلافة والغلظة والقسوة. (٥)

^١ سورة هود - الآية (٨١)

^٢ سورة الحجر - الآية (٦٥)

^٣ قصص الأنبياء - ابن كثير - ص ٨٥-٨٦ - بتصرف

^٤ سورة الأعراف - الآية (٨٨)

^٥ انظر القصص القرآني - د. صلاح الخالدي - ج ٢ ص ٢٨ - بتصرف

يونس عليه السلام :

وقد ذكره الله في كتابه العزيز في قوله تعالى : (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةً أَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسَ لَمَّا أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ). (١)

قال الإمام ابن كثير: بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل نينوي من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه ، وتمردوا بكفرهم وعنادهم ، فلما قال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث ."

موسى عليه السلام :

وقصته تطول في كتاب الله وفيها خروجه لمدين قال الله تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ). (٢)

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقب أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ، ولا إلى أين يذهب ، وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها ولما ورد ماء مدين ، وكانت بئراً يستقون منها ومدین هي المدينة التي اهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام .

وعاد موسى عليه السلام إلى مصر بعد اشتياق صورته القرآن : (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ...). (٣)

ولما واجه موسى فرعون كان أول مطلبه بعد التوحيد قوله تعالى: (...فَأَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...)(٤) ، وأن يفك الأسارى من قبضته وقهره ووسطوته ، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا ، ويتفرغون لتوحيده وعبادته والتضرع إليه". (٥)

وبدأ صراع عنيف بين موسى ومن معه من المؤمنين وبين فرعون ومن معه من المجرمين ، أمر موسى بالخروج بالمؤمنين من مصر لتنتهي فترة البطش والتكيل بالمؤمنين ، وليرفضوا إلى قدر الله ليحققوا مرحلة جديدة في تاريخهم من إمامة الأرض .

ولا نعرف مقدار إقامة بنى إسرائيل في مصر، ويحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات ، فيذهبون إلى أن يوسف عليه السلام دخل مصر في القرن السادس

١ سورة يونس - الآية (٩٨)

٢ سورة القصص - الآيات (٢٠-٢٢)

٣ سورة القصص - الآية (٢٩)

سورة طه - الآية (٤٧)

٥ قصص الأنبياء - ابن كثير - ج ١ ص ٢٥٩

عشر قبل الميلاد تقريباً ، وذلك في عهد الأسرة التاسعة عشرة ولا يجزم بما قالوه ، كل ما نقوله أن فترة إقامة بنى إسرائيل في مصر كانت طويلة . (١)

وانطلق موسى بقومه بنى إسرائيل من أرض مصر ذاهباً إلى أرض فلسطين كما قال تعالى :
(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى). (٢)

ندم فرعون على إرسال بنى إسرائيل أو أنه رأى أنهم انطلقوا بلا إذن منه ، ولعله قد بلغه ما فعلته اليهوديات بالمصريات من استعارة الحلبي والزينة ، وعدم ردها إليهن فأرسل في المدائن حاشرين فجمع جنداً عظيماً ، واتبع بنى إسرائيل ليردهم إلى عبوديته ، وكان بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر على خليج السويس ، واطلع عليهم مع شروق الشمس فأيقنوا بالهلاك ، وأن فرعون باطش بهم فسكن موسى روعهم ، وضرب البحر كما أمره الله تعالى فانفلق حتى ظهرت أرضه ، وأمر بنى إسرائيل بالعبور فيه فعبروا من الشاطئ الغربي إلى الشاطئ الشرقي " (٣)

ومما يذكر في خروج بنى إسرائيل استتلافهم عن أمر الله بالخروج إلى الأرض المقدسة استجابة لأمر نبي الله موسى وبقاؤهم في النيه أربعين .

فكان بقاء بنى إسرائيل في البرية من عهد خروجهم من مصر إلى أن مات موسى ، وعبروا نهر الأردن ، وملكوا أريحاء وما معها من الأرضين غرب الأردن أربعين . (٤)

كما أن موسى عليه السلام قد خرج إلى أرض البحرين لملاقاة العبد الصالح الخضر والتعلم منه . (٥)

كما ذهب موسى إلى الطور لملاقاة الله ومناجاته وتسلم الوصايا والألواح .
كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذهاب موسى إلى البيت العتيق وخروجه إليه : عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال : أى واد هذا قالوا : وادى الأزرق ، قال : كأنى أنظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم ، فذكر

^١ انظر القصص القرآنى - د. صلاح الخالدي - ج ٣ ص ٧٢

^٢ سورة طه - الآية (٧٧)

^٣ قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - ص ٢٥٢ - بتصرف

^٤ المرجع السابق - ص ٢٨٠

^٥ انظر صحيح البخارى - كتاب التفسير - باب فلما جاوزا قال لفتاه - ج ٣ ص ١١٧٩ حديث رقم ٤٧٢٧

من طول شعره شيئاً لا يحفظه داود واضعاً إصبعيه في أذنيه له جوار إلى الله عز وجل بالتلبية ، ماراً بهذا الوادي ، قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أي ثنية هذه قالوا ثنية هرشي أو لفت قال : كأني أنظر يونس بن متى على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته خلبه ، ماراً بهذا الوادي مليباً . (١)

كما أن موسى عليه السلام سأل الله في موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر (٢)

يوشع بن نون :

وقد ذكره كتاب الله غير مصرح باسمه ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ...) . (٣)

وذكر ابن كثير أن في الصحيح رواية أبي ابن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه يوشع بن نون ، وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب ، ثم ذكر ابن كثير فكان الذي خرج بهم من النية وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن ، وانتهى إلى أريحا ، وكانت من أحصن المدائن سوراً ، وأعلاها قصوراً فحاصرها ستة أشهر ثم إنهم أحاطوا بها يوماً ، وضربوا بالقرون ... يعني الأبواق .. وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة ، فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم ، وقتلوا إثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكا كثيرة ، ويقال أن يوشع بن نون ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام (٤)

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كرامة له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع لما سار إلى بيت المقدس " (٥).

^١ سنن ابن ماجه - كتاب المناسك - باب الحج على الرجل - حديث رقم ٢٨٩١ ص ٤٩٠ تحقيق الألباني وقال عنه صحيح
^٢ صحيح البخارى - كتاب الأنبياء - باب وفاة موسى - ج ٢ ص ٨٣٨ حديث رقم ٣٤٠٧
^٣ سورة الكهف - الآية (٦٠)
^٤ قصص الأنبياء - ابن كثير - ج ٢ ص ٣٦٧ - بتصرف
^٥ مسند أحمد - ج ١٤ ص ٦٥ حديث رقم ٨٣١٥ - تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وقالوا إسناداه صحيح على شرط البخارى .

المبحث الثاني

جريمة الإخراج في حق النبي صلى الله عليه وسلم

تظل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحلة فاصلة في تاريخ الأمة الإسلامية ، إذ يبدأ بها تاريخها المجيد ، فمن هذه الحادثة الجلية بدأت مرحلة جديدة ، وعهد جديد ، وانطلاقة جديدة ، وتظل جريمة إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم درساً للتاريخ ، وعبرة لكل معتبر ، وأسوة لكل داعية فقد ترك أحب الديار ، وترك فيها ذكرياته وأهله وأمواله حباً لله ولدينه.

ولقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إرهابات هذا الإخراج يوم تلقى خبر البعثة ، تلقى هذا الابتلاء يوم تلقى التكليف بدين الله ، و كما ذكر حديث الإمام البخاري في حديث ورقة بن نوفل : " يا ليتني فيه جذعاً إذ يخرجك قومك ، قال : أو مُخرجي هم ، قال : ماجاء أحد بما جئت إلا عودي .(١)

إن الذي تعرّف على الناموس الذي جاء من عند الله ، عرف أن الإخراج من الديار سنة جارية في حق الأنبياء والرسل والأولياء والدعاة ، سنة لا تختلف ولا تتبدل ، ولقد مرت هذه الجريمة على مراحل ذكرها القرآن ، ومن خلال تتبعي للآيات وقفت على هذه المراحل على النحو التالي :

١ - الاستفزاز والتهديد :

لقد بدأت المرحلة الأولى من هذا الإخراج بما ذكره القرآن من طريقة تعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا). (٢)

والإستفزاز الحمل على الترحل ، وهذا من فزاً بمعنى بارح المكان أي كادوا أن يسعوا أن تكون فزاً أي خارجاً من مكة ، والمعنى كادوا أن يخرجوك من بلدك ، وذلك بأن هموا بأن يخرجوك كرهاً ثم حرمهم الله من ذلك ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج منها مهاجراً عن غير علم منهم لأنهم ارتأوا بعد زمان أن ييقوه بينهم حتى يقتلوه ، وقوله ليخرجوك تعليل الإستفزاز أي استفزازاً لقصده الإخراج ، وفي الآية إيماء إلى أن الرسول سيُخرج من

^١ صحيح البخاري - سبق تخريجه

^٢ سورة الإسراء - الآيتان (٧٦ ، ٧٧)

مكة ، وإن مخرجه أي المنتسبين في خروجه لا يلبثون بعده بمكة إلا قليلاً ، عادة الله في كل رسول أخرجه قومه أن لا يبقوا بعده ، خرج هود من ديار عاد الى مكة، وخرج صالح من ديار ثمود ، وخرج إبراهيم ولوط وهلك أفوامهم ... " (١)

٢ - التخطيط والمكر :

ولم يقف الأمر عند من أفانينهم في الإستفزاز والتهديد، بل بدأت الطريق تتجه الى التخطيط والمكر ، قال الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ). (٢)

(والمكر هو التبييت بشيء خفي يضر بالخصم ، والذي يمكره يبيت شيئاً خفياً بالنسبة لعدوه لا يملك قدرة على المواجهة فيبيت من ورائه ، ولو كانت عنده قدرة على المواجهة فلن يمكر لذلك لا يمارس المكر الا الضعيف ، ونجد ربنا سبحانه وتعالى يقول : "...إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا). (٣) ، لأن الضعيف إن أصاب فرصة استغلها حيث يظهر أنه قد لا تتاح له فرصة ثانية لذلك يندفع إلى قتل خصمه ، أما القوي فهو يثق في نفسه وقدراته ، ولذلك يعطى خصمه فرصة ثانية وثالثة ثم يعاقب خصمه على قدر ما أساء إليه " (٤)

والتعبير بالمضارع في يثبتوك ويقتلوك ويخرجوك لأن تلك الأفعال مستقبلية بالنسبة لفعل المكر، إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال ، وأشارت الآية إلى تردد قریش في أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا للتشاور في ذلك بدار الندوة في الأيام الأخيرة قبل هجرته ، وانظر قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ). (٥)

٣ - تهيئة النبي للأمر العظيم :

ولما كانت الهجرة أمراً عظيماً وتكليفاً كبيراً ، جاء القرآن ليوطد نفس النبي صلى الله عليه وسلم على استقباله بالدعاء والرجاء ، قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا). (٦) فلما وعده بأن يقيمه مقاماً محموداً ناسب أن يسأل أن يكون ذلك حاله في كل مقام يقومه ، وفي هذا التلقين إشارة إلهية إلى أن الله تعالى مخرجه من مكة إلى مهاجر .

^١ تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر عاشور - جلد ٧ - ج ١٥ ص ١٧٩ - بتصرف

^٢ سورة الأنفال - الآية (٣٢)

^٣ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٨ ص ٤٦٧٩ - بتصرف - سورة النساء - الآية (٧٦)

^٤ تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر عاشور - جلد ٥ - ج ٩ ص ٣٢٧ - بتصرف

^٥ سورة الطور - الآية (٢١)

^٦ سورة الإسراء - الآية (٨٠)

والظاهر أن هذه الآية نزلت قبيل العقبة الأولى التي كانت مقدمة للهجرة الى المدينة . (١) " ويرى الإمام البغوي أن الآية واضحة الدلالة على مكة والمدينة واختلف أهل التفسير فيه ، فقال ابن عباس والحسن وقتادة : " أدخلني مدخل صدق " المدينة " وأخرجني مخرج صدق " من مكة نزلت حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة . (٢) إذن : يكون دخولك لله ، وخروجك لله ، وهكذا خرج رسول الله من مكة ، ودخل المدينة فكان خروجه لله ، ودخوله لله مخرج صدق ، ودخل مدخل صدق لأنه صلى الله عليه وسلم ما خرج من مكة إلا لما آذاه قومه واضطهدوه ، وحاربوا دعوته حتى لم تعد التربة في مكة سالحة لنمو الدعوة ، وما دخل المدينة إلا لما رأى النصر والمؤازرة من أهلها . (٣) ٤ - ساعة الإخراج (النصر) :

وقد سجل القرآن الكريم هذه الساعة الحاسمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي إخراجها سجلها القرآن بصيغة النصر حيث قال الله تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...) . (٤)

ونرى في قوله تعالى : " إلا تتصروه فقد نصره الله " أن نصر الله له ثلاثة أزمنة ، فإذا تكررت ثلاث مرات فسبحانه يقول : " إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " أي إنما أمام ثلاثة أزمنة ، زمن الإخراج ، وزمن الغار ، والزمن الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : " لا تحزن إن الله معنا " ، وقد جاء هذا النصر في هذه الأزمنة الثلاثة ساعة الإخراج من مكة ، وساعة دخل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الغار ، وساعة حديثه مع أبي بكر ، ولسائل أن يسأل : هل أخرج الكفار رسول الله من مكة أم أن الله هو الذي أخرجه ؟ ونقول إن عناد قومه ، وتآمرهم عليه ، وتعنتهم أمام دعوته كل ذلك اضطره الى الخروج ، ولكن الحق أراد بهذا الخروج هدفاً آخر غير الذي أراده الكفار فهم أرادوا قتله ، وحين خرج ظنوا أن دعوته سوف ت

خنتق بالعزل عن الناس ، فأخرجه الله لتتساح الدعوة ، وأوضح لهم سبحانه

^١ تفسير التحرير والتوير - محمد الطاهر عاشور - جلد ٧ ج ١٥ ص ١٨٦ - بتصرف

^٢ معالم التنزيل في التفسير والتاويل - محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - ج ٣ ص ٥٢٢ .

^٣ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ١٤ ص ٨٧٠٦ - انظر كذلك السيرة النبوية - ابن كثير - ج ٢ ص ٢٢٦

فصل في سبب هجرة الرسول بنفسه الكريم .

^٤ سورة التوبة - الآية (٤٠)

وتعالى : أنتم تريدون إخراج محمد بتعننتكم معه ، وأنا لن أمكنكم منه أن تخرجه مخذولاً
وسأخرجه أنا مدعوماً بالأنصار . (١)

٥- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وطمأنة قلبه بالانتقام والقصاص :

لم يخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى كان القرآن يثبت قلبه ، ويطمئنه
أن الهلاك سيحل بهؤلاء الذين كانوا سبباً في إخراجهم ، قال الله تعالى : (وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ
هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) . (٢)

وهذا تهديد شديد ، ووعد أكيد لمكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد
الرسول ، وخاتم الأنبياء ، فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله
بسببهم ، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء ، فما ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة ،
فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا ببركة وجود الرسول نبي الرحمة فان العذاب يؤخر
على الكافرين به في معادهم ، " يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون " ، وقوله تعالى : " من قرينك التي أخرجتك " أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم ،
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى الغار
وأناه فالتفت إلى مكة وقال : " أنت أحب بلاد الله إلى الله وأنت أحب بلاد الله إليّ ولولا أن
المشركين أخرجوني لم أخرج منك " (٣) ، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم :
" وكأين من قرية هي أشد قوة من قرينك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم " .

٦- بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة فاتحاً لمكة :

لقد سجل القرآن هذه الحادثة من كل جوانبها ، وحمل في طياتها البشارة بالعودة الاكيدة لهذه
الديار المباركة ، وقد جاءت البشرى في سياق عجيب وغريب في القرآن حيث ربطت بيقين
جازم يقين النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن ، وبمن فرض عليه العمل به ، قال الله
تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين) قال الامام البغوي : قوله (إن الذي فرض عليك القرآن) (٤) : أي أنزل
عليك القرآن على قول أكثر المفسرين ، وقال عطاء : أوجب عليك العمل بالقرآن

^١ تفسير الشعراوي - محمد متولى الشعراوي - ج ٨ ص ٥١٢٤ - بتصرف

^٢ سورة محمد - الآية (١٣)

^٣ سبق تخريجه - انظر ص (٩٤)

^٤ سورة القصص - الآية (٨٥)

لرأدك إلى معاد إلى مكة ، وهو رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول مجاهد (١)

والسورة مكية فى قول جمهور التابعين ، وفيها آية (إِنَّ الذى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدَكَ إِلَى مَعَادٍ " قيل نزلت على النبي صلى الله عليه فى الجحفة فى طريقه إلى المدينة للهجرة تسلية له على مفارقة بلده . (٢)

١ تفسير الشعراوى - محمد متولى الشعراوى ج ٨ ص (٥١٢٤) - بتصريف
٢ تفسير التحرير والتتوير - محمد الطاهر عاشور - جلد ١٠ - ج ٢٠ ص ٦١

المبحث الثالث

الهجرة والإخراج في حياة الصحابة

شهدت بطحاء مكة الطاهرة صدى إيمان أفضل الناس بعد الرسل ، إنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين حملوا الإسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً ، وتحملوا في سبيل ذلك أشنع الصور من الحرمان والقتل والتعذيب ، فمنهم من يقتل أمام والديه ، ومنهم من يوضع على صدره الصخر ، ومنهم من يحرق بالنار ، ومنهم من تفقد بصرها ، دارت صور رهيبة ومهيبية لأولئك الذين ختم الله لهم هذه المرحلة بقوله : (...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...) . (١)

ولعل في الوقوف على هذه المرحلة الهامة في حياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحداث هجرتهم ، دلائل وعبر ظلت مرسومة ، وستظل ما بقى الليل والنهار ، قال تعالى : (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) . (٢)

نقرأ القرآن ونقرأ فيه سيرة بلال وصهيب ، وعمار وابن مسعود ، ولما كانت هجرة أصحاب النبي صل الله عليه وسلم بهذه الأهمية ، فإننى ومن خلال متابعتى لآيات القرآن الكريم وقفت على التدرج في تهيئة وتنظيم هجرتهم ، وما تبعها من تكاليف وأحكام على النحو التالي :

المطلب الأول : وصف الحالة التي كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة لقد وصف القرآن حالة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بكل دقة ووضوح ، وكان ذلك من أبرز ما صوره القرآن ، لما عايشه الصحابة الكرام ، حالة الفتنة والظلم ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) . (٣)

وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) . (٤)

(يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله وإيتغاء مرضاته ، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان ، رجاء ثواب الله وجزائه ، ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة ،

^١ سورة البينة - الآية (٨)

^٢ سورة الأنبياء - الآية (١٠)

^٣ سورة النحل - الآيتان (٤١ ، ٤٢)

^٤ سورة النحل - الآية (١١٠)

الذين اشتد أذى الكفار لهم بمكة ، حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ، ليتمكنوا من عبادة ربهم) (١)

" هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة ، مهانين في قومهم ، فوافقهم على الفتنة ، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة ، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ، ابتغاء رضوان الله وغفرانه ، وانتظموا في سلك المؤمنين ، وجاهدوا معهم الكافرين ، وصبروا فأخبر تعالى أنه من بعدها ، أى تلك الفعلة ، وهى الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم ، رحيم بهم يوم معادهم" (٢).

وليس أدل من هذه الحالة من الفتنة والبلاء الذى نزل بهم من كثرة دعائهم لله ، أن يخلصهم من هذه القرية الظالم أهلها ، قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) . (٣)

لقد وضح القرآن سبب إخراج المشركين لهؤلاء المؤمنين ، بأن إخراجهم للمؤمنين لم يكن على سبيل الظلم فقط ، بل تعدى ذلك كراهيتهم أن يجدوا للتوحيد صورة صحيحة تتحرك على الأرض ، قال تعالى : (أَدْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ...) . (٤)

روى الحاكم عن ابن عباس قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليهلكن ، فأنزل الله " أدن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا " فقال أبو بكر: فعلمت أنها قتال . قال ابن عباس وهى أول آية نزلت فى القتال (٥)

قال الامام القرطبي : (الذين أخرجوا من ديارهم ، هذا أحد ما ظلموا به ، وإنما أخرجوا لقولهم : ربنا الله وحده أى اخرجوا بتوحيدهم ، أخرجهم أهل الأوثان . (٦)

قال الإمام ابن العربى : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ، ولم تحل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، مدة عشر أعوام ، لإقامة حجة الله تعالى عليهم ، ووفاء بوعده الذى امتن به

^١ تفسير ابن كثير - ج ٢ ص ٥٧١

^٢ تفسير ابن كثير - ج ٢ ص ٥٩٠

^٣ سورة النساء - الآية (٧٥)

^٤ سورة الحج - الآيتان (٤١ ، ٤٢)

^٥ المستدرک - الحاكم - كتاب الجهاد - ج ٢ ص ٧٦ - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا وقال عنه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

^٦ جامع الأحكام - القرطبي - ج ١٢ ص ٧٥ - بتصريف

بفضله فى قوله : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا). (١) فاستمر الطغيان ، وما استدلوا بواضح البرهان ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه ، من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم عن بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه ، ومعذب ، وبين هارب فى البلاد مغرب ، فمنهم من فر إلى أرض الله ، وردوا أمر الله وكرامته ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من آمن به ، وعبده ووحده ، وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، وأذن الله لرسوله فى القتال والإمتناع والانتصار ممن ظلمهم ، وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت فى إذنه له بالحرب ، وإحلاله له الدماء (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...) . (٢)

أى إنما أحلت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب ، فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة . (٣)

" أخرجوا متلبسين بعدم الحق عليهم الموجب إخراجهم ، فإن للمرء حقاً فى وطنه ، ومعاشرته قومه ، وهذا الحق ثابت بالفطرة ، لأن من الفطرة أن الناس فى أرض ، والمتولد بين قوم هو مساو لجميع أهل ذلك الموطن فى حق القرار فى وطنهم ، وبين قومهم بالوجه الذى ثبت لجمهورهم ، فى ذلك المكان من نشأة متقدمة ، أو قهر وغلبة لسكانه ، كما قال عمر بن الخطاب : " أنها لبلادهم ، قاتلوا عليها فى الجاهلية ، وأسلموا عليها فى الإسلام " ، ولا يزول ذلك الحق إلا بموجب قرره الشرع ، أو العوائد قبل الشرع ، فمن ذلك فى الشرع التغريب والنفى ، ومن ذلك فى قوانين أهل الجاهلية الجلاء والخلع ، وإنما يكون ذلك لاعتداء يعتديه المرء على قومه لا يجدون له مسكناً من الردع غير ذلك " . (٤)

ولقد صور القرآن الحالة التى كان عليها المهاجرون فى هجرتهم ، سواء كانت حالة إيمانية أو سياسية ، أو إجتماعية أو إقتصادية ، ولقد فصلت آيات القرآن هذه المعانى على النحو التالى :

* الحالة الإيمانية :

أشاد القرآن بإيمان هؤلاء الصحابة ، الذين ضحوا بكل شىء ، من مال وبنين ، وأوطان شهدت ذكريات الطفولة ، ومنابت الفطرة ، كل ذلك فى سبيل الله ، ولوجه الله ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا...) . (٥)

^١ سورة الإسراء - الآية (١٥)

^٢ سورة الحج - الآيتان (٣٩ ، ٤٠)

^٣ أحكام القرآن - أبى بكر بن العربى - ج ٣ ص ١٢٩٧

^٤ التحرير والتنوير - ابن عاشور - مجلد ٨ ج ١٧ ص ٢٧٤

^٥ سورة الحج - الآية (٥٨)

وقال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). (١)

وقال عز وجل : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً...). (٢)
لقد صحت النية ، وصدق العزيمة ، وليس أمامهم إلا أن يصدقوا مع الله فى نياتهم
وهجراتهم ، رغبة فيما عند الله وأملاً وطمعاً فى مرضاته وجناته .

لقد حرك الإيمان المتأجج فى صدورهم هذه النيات ، وهذه العزائم بعدما سمعت آيات الله تتدد
بأولئك الذين استمروا الذل والعذاب ، وفتنوا عن دينهم ، وتركوا الهجرة لله ولرسوله ،
خافوا أن تكون لهم فى أولئك المتقاعسين الجبناء الأسوة السيئة ، قال الله تعالى : (إن
الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم
تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . إلا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . فأولئك عسى الله
أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً .) (٣).

قال محمد الطاهر بن عاشور : " قيل : أريد بالظلم عدم الهجرة إذ كان قوم من أهل مكة
أسلموا وتقاعسوا عن الهجرة ، قال السدى : كان من أسلم ، ولم يهاجر يعتبر كافراً حتى
يهاجر ، يعنى ولو أظهر إسلامه ، وترك حال الشرك ، قال غيره : بل كانت الهجرة واجبة ،
ولا يكفر تاركها .

فعلى قول السدى فالظلم مراد به أيضاً الكفر لأنه معتبر من الكفر فى نظر الشرع ، أى أن
الشرع لم يكتف بالإيمان إذا لم يهاجر صاحبه مع التمكين من ذلك ، وإن استتصروكم فى
الدين لم يهاجروا قبل فتح مكة فى عداة الصحابة .

قال ابن عطية : لأنهم لم يتعين الذين ماتوا منهم على الإسلام ، والذين ماتوا على الكفر ، فلم
يعتدوا بما عرفوا منهم قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم " . (٤)

ولقد ظل فضل المهاجرين والأنصار يحدث به القرآن ، حيث قال تعالى : " والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد
لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم " (٥)

^١ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٢ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٣ سورة النساء - الآيات (٩٧ - ٩٩)

^٤ التحرير والتنوير - ابن عاشور - مجلد ٣ ج ٥ ص ١٧٤

^٥ سورة التوبة - الآية (١٠٠)

والمقصود بالسبق بالإيمان ، فالسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا بالإيمان قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، والسابقون من الأنصار هم الذين سبقوا قومهم بالإيمان وهم أهل العقبتين الأولى والثانية .

* الحالة السياسية :

وسبب الهجرة اتضحت معالم الطريق حيث نشأت تحالفات وأقيمت ولاءات وتقطعت صلات وانفصلت علاقات ، كل ذلك حددته الهجرة بحالتها السياسية ، حيث ميزت الهجرة بين من أسلم وبقى في مكة ومن أسلم وهاجر ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرُّوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرُّوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١)

بل نهى الصحابة عن إتخاذ الأولياء ممن ترك الهجرة مع قدرته عليها : (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَاِلْيَاءً وَلَا نَصِيرًا) . (٢)

" أقام الله للمسلمين به علامة على كفر المتظاهرين بالإسلام ، حتى لا يعود بينهم الإختلاف في شأنهم ، وهى علامة بيّنة ، فلم يبق من النفاق شيء مستور إلا نفاق منافقى المدينة ، والمهاجرة فى سبيل الله هى الخروج من مكة إلى المدينة بقصد مفارقة أهل مكة، ولذلك قال : " فى سبيل الله " أى لأجل الوصول إلى الله ، أى إلى دينه الذى أراده ، وقوله " فإن تولوا " أى أعرضوا عن المهاجرة .

وهذا إنذار لهم قبل مؤاخذتهم ، إذ المعنى : فأبلغوهم هذا الحكم فإن أعرضوا عنه ، ولم يقلوه ، فخذوهم واقتلوهم . " (٣)

وظلت تعليمات القرآن واضحة السبيل ، فى معاملة المسلمين لأولئك الذين تسببوا فى إخراجهم ومعاناتهم ، قال الله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

^١ سورة الأنفال- الآيات (٧٢ - ٧٥)

^٢ سورة النساء- الآية (٨٩)

^٣ التحرير والتنوير - ابن عاشور - مجلد ٣ ج ٥ ص ١٥٢

يُخْرِجُكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). (١) ، إن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله ، إخوة متعارفين متحابين ، وليس هنالك من عائق يحول دون إتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله . فأما إذا سالمهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ، ولا متطوع بها كذلك ، وهو حتى في حالة الخصومة يستبقى أسباب الود في النفوس ، بنظافة السلوك ، وعدالة المعاملة .

انتظاراً لليوم الذي تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم

وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه سورة الممتحنة كلها إلى إبراز قيمة العقيدة ، وجعلها هي الرأية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون ، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم ، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم ، ومن يسالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ، ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل بينهم وبين سماعها ، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر والقسط معه. (٢)

والمأمل في عرض القرآن المدني للحالة السياسية بتكرير استفزازات المؤمنين ، واستنهاض الهمم على مقابلة العدوان بالعدوان ، والإخراج بالإخراج ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم " (٣).

بل يذهب السياق القرآني إلى تصحيح المفاهيم السائدة في الجاهلية ، بأن إخراج المؤمن الموحد أكبر حتى من القتال في الأشهر الحرم (...وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ...) . (٤) إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الإنسانية ، ومن ثم فهي أشد من القتل ، أشد من قتل النفس ، وإزهاق الروح ، وإعدام الحياة .

ويستوى أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلي ، أو بإقامة أوضاع فاسدة ، من شأنها أن تضل الناس ، وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله ، وتزين لهم الكفر به أو الإعراض عنه . (٥)

* الحالة الإقتصادية :

رسم السياق القرآني صورة واضحة لأحوال المهاجرين الإقتصادية ، فطلب منهم أولاً أن يديموا ذكر الله ، وشكره على ما يسر لهم من الإيواء والنصرة ، في ظرف الهجرة العسير ،

^١ سورة الممتحنة - الآيتان (٨ ، ٩)

^٢ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٦ ص ٣٥٤٤ - بتصرف

^٣ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٤ سورة البقرة - الآية (٢١٧)

^٥ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ ص ١٨٩ - بتصرف

قال تعالى : (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (١)

ولم يعرف التاريخ صورة البر والتراحم ، كالتى عرفها بين المهاجرين والأنصار ، الذين سطوروا بجهادهم وتلاحمهم ، ونصرتهم لإخوانهم المهاجرين ، ومحبتهم لهم أعظم صورة ، قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (٢)

"ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جمالياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخي ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء ، واحتمال الأعباء ، حتى يروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصارى إلا بقرة" (٣) " وقد عرفنا الكثير عن الإيثار من الأنصار الذى قد بلغ مرتبة لا يتسامى إليها البشر أبداً إلا بصدق الإيمان ، ذلك أن الرجل الذى يعيش فى نعمة ، وله صديق أو حبيب يحب أن يتحفه بمشاركته فى نعمته ، فإذا كان عنده سيارة مثلاً ، يعطيها له ليستخدما ، وإذا كان له بيت جميل قد يدعو له للاقامة فيه بعض الوقت ... إلا المرأة التى فى النعمة التى يأنف الرجل أن يشاركه فيها أحد ، ولكن عندما وصل المهاجرون إلى المدينة ، وتركوا نساءهم فى مكة ، كان الأنصارى يجيء للمهاجر ويقول له : انظر إلى نسائى ، والتى تعجبك منهن أطلقها لك لتتزوجها ، هذه مسألة لا يمكن أن يصنعها إلا الإيمان الكامل" (٤)

إنه الإيمان وحده الذى يصنع هؤلاء الرجال ويعظم فى هذه النفوس رغبة الإيثار ، ووصف المهاجرين بالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، تنبيهاً على أن إعطاءهم مراعى جبر ما نكبوا به من ضياع الأموال والديار ، ومراعى فيه إخلاصهم الإيمان ، وأنهم مكررون نصر دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فذيل بقوله : " أولئك هم الصادقون " . (٥)

وبظل السياق القرآنى يدفع المهاجرين إلى التعاطف والتلاحم ، والبر والصلة حتى لمن آذاهم ، قال تعالى : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ

^١ سورة الأنفال - الآية (٢٦)

^٢ سورة الحشر - الآيتان (٨ ، ٩)

^٣ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٨ ص ٤٠ - بتصرف

^٤ تفسير الشعراوى - ج ٨ ص ٤٨١٨ - بتصرف

^٥ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ٢٨ ص ٨٩

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

وذلك أن أبا بكر رضى الله عنه حلف أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة ، إذ كان ابن خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، من فقراء المهاجرين ، مسكيناً مهاجراً بديراً ، وحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه لخوضه فى أمر عائشة رضى الله عنها ، ولما قرأها عليه النبى صلى الله عليه وسلم قال بلى : أنا أحب أن يغفر الله لى ، ورجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفقها عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . (٢)

* الحالة الإجتماعية :

كانت اللحمة الاجتماعية التى وصفها القرآن بين المهاجرين والأنصار صورة عجيبة ، ونادرة لهذه التلة المؤمنة ، فلقد تقاربت الأرواح والأجساد حتى أصبحت كالجسد الواحد ، بل وصل الأمر إلى أن يتوارثوا فيما بينهم ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَضُّهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَاءَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بِعَضُّهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . (٣)

الفئة الأولى فى هذه الآية هم المهاجرون ، والفئة الثانية هم الأنصار ، ثم يوحد الله بين المهاجرين والأنصار ، فيقول عز وجل : " أولئك بعضهم أولياء بعض " .

وبعض العلماء فسر قول الحق " أولئك بعضهم أولياء بعض " على أنها تشمل الالتحام الكامل لدرجة أنه كان يرث بعضهم بعضاً ، حسب قول بعض العلماء ، إلى أن نزلت آيات الارتث فألغت ذلك التوارث الذى كان بينهم ، إذن فهم آمنوا ، هذه واحدة ، وهاجروا وهذه الثانية ، وجاهدوا بأموالهم هذه الثالثة ، وجاهدوا بأنفسهم هذه الرابعة ، وكانوا أسوة لأنهم سبقوا إلى الإيمان والجهاد ، فشجعوا غيرهم على أن يؤمنوا ، ولذلك فلهم أجر من سن سنة

^١ سورة النور - الآية (٢٢)

^٢ انظر معالم التنزيل - البغوى ج٤ - ص ١٨٥ - بتصرف

^٣ سورة الأنفال - الآيات (٧٢ - ٧٥)

حسنة ، ولهم أجر من عمل بها ، وهؤلاء هم السابقون الأولون ، ولهم منزلة عالية وعظيمة عند الله عزوجل . (١)

إن هذه الدرجة من التلاحم والترابط لدرجة الميراث ، لهى منزلة عظيمة جلييلة ، وإن كانت نسخت بعد ذلك ، إلا أن هذه المدة من الزمن ، جمعت هذه القلوب ، ووحدت تلك الصفوف ، قال تعالى : (...أُولَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا). (٢)

" أعقب نسخ أحكام التبني التي منها ميراث المتبني من تبناه والعكس ، بإبطال نظيره وهو المؤاخاة التي كانت بين رجال من المهاجرين مع رجال من الأنصار ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بالمدينة مع من هاجر معه ، جعل لكل رجل من المهاجرين رجلاً أخاً له من الأنصار ، فأخى بين أبي بكر الصديق وبين خارجة بن زيد ، وبين الزبير وكعب بن مالك ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين سلمان وأبي الدرداء ، وبين عثمان بن مظعون ، وأبي قتادة الأنصاري ، فتوارث المتآخون منهم بتلك المؤاخاة زماناً كما يرث الأخوة ثم نسخ ذلك بهذه الآية ، كما نسخ التوارث بالتبني بآية (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ...) . (٣) ، فبينت هذه الآية أن القرابة هى سبب الإرث ، لا الانتساب الجعلى " . (٤)

المطلب الثاني : دور المرأة

حرص القرآن على إظهار حظ المرأة المهاجرة من هجرتها وثوابها ، فقال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). (٥)

" ووجه الحاجة إلى هذا البيان هنا أن الأعمال التي أتوا بها أكبرها الإيمان ثم الهجرة ، ثم الجهاد فى سبيل الله ، ولما كان الجهاد أكثر تكراراً خيف أن يتوهم أن النساء لا حظ لهن فى تحقيق الوعد الذى وعد الله على السنة رسله ، فدفع هذا بأن للنساء حظهن ، لأنهن يقمن على

^١ تفسير الشعراوى - محمد متولى الشعراوى - ج ٨ ص ٤٨١٨ - بتصرف

^٢ سورة الأحزاب - الآية (٦)

^٣ سورة الأحزاب - الآية (٥)

^٤ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ٢١ ص ٢٦٩

^٥ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

المرضى ، ويداوين الكلى ، ويسقين الجيش ، وذلك عمل عظيم به استبقاء نفوس المسلمين ، فهو لا يقصر عن القتال الذى به إتلاف نفوس عدد المؤمنين .

وقد أكرم الله النساء المهاجرات عن إرجاعهن إلى الكفار بعد صلح الحديبية ، ذلك أن أمرهن لم يقع فى شروط الصلح ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...) . (١)

وكانت هذه الآية تشريعاً للمسلمين فيما يفعلونه ، إذا جاء المؤمنات مهاجرات ، وإيذاناً للمشركين بأن شرطهم غير نص ، وشأن شروط الصلح الصراحة لعظم أمر المصالحات ، والحقوق المترتبة عليها ، وقد أذهل الله المشركين عن الاحتياط فى شرطهم ، ليكون ذلك رحمة بالنساء المهاجرات ، إذ جعل الله لهن مخرجاً ، وتأبيداً لرسوله صلى الله عليه وسلم كما فى الآية التى بعدها ، لقصد أن يشترك من يمكنه الإطلاع من المؤمنين على صدق إيمان المؤمنات المهاجرات ، تعاوناً على إظهار الحق ، ولأن ما فيها من التكليف يرجع كثير منه إلى أحوال المؤمنين مع نسائهم .

وفى صحيح البخارى عن عائشة أن رسول الله كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية ، يقول الله : (يا أيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن الله أعلم بإيمانهن) إلى قوله تعالى : (والله غفور رحيم) . وزاد ابن عباس فقال : كانت الممتحنة تستحلف أنها ما خرجت بغضاً لزوجها ، ولا رغبة من أرض إلى أرض ، ولا التماس دنياً ، ولا عشقاً لرجل منا ، ولا بجريرة جرتها ، بل حباً لله ولرسوله والدار الآخرة ، فإذا حلفت بالله الذى لا إله إلا هو على ذلك أعطى النبى صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها ، وما أنفق عليها ولم يردها .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر عمر بن الخطاب بتولى تحليفهن (٢) ، فإذا تبين إيمان المرأة لم يردها النبى صلى الله عليه وسلم إلى دار الكفر كما هو صريح الآية (٣)

١ سورة الممتحنة - الآية (١٠)

٢ انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى - باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - ج ١١ ص ٢٣ حديث رقم ٤٨٩١ بتصريف

٣ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ١٣ ص ٢٨٥

النماذج المؤمنة للمهاجرين :

كانت الهجرة هي الدرس الأخير في المرحلة المكية ، وهي تصفية النهائية لأنفس الرعيل الأول ، لقد طوب الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والعبادة ففعلوا ، وسلط عليهم الإيذاء ، وأمروا بالصبر ، وكف اليد ، والإستسلام لأمر الله ففعلوا ، وحب الوطن أصيل في النفس ، فطولبوا بالهجرة فهاجروا ، ثم قاتلوا مع الأنصار أهليهم وقبيلتهم ، فوجد بذلك جيل لم يعرف العالم له مثيلاً بالتجرد من أهواء النفوس وعصيانها ، والهجرة بالنسبة للدعوة الإسلامية هي أعظم الأحداث الدعوية والحركية ، لأن بها قامت دولة الإسلام ، ووجدت قاعدته التي حملت هذه الدعوة ابتداء ، وقدمتها للعالم انتهاء ، ولذلك أرّخ المسلمون بالهجرة . (١)

ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء ، ولا ارتحال طالب فوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة ، إنها إكراه رجل آمن في سربه ، ممتد الجذور في مكانه ، على إهدار مصالحه ، وتضحية أمواله ، والنجاة بشخصه ، وإشعاره وهو يصفى مركزه بأنه مستباح منهوب ، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها ، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم ، لا يدرى ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان ، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقليل : مقامر طياش ، فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها ، يحمل أهله وولده ؟ وكيف وهو بذلك رضى الضمير ، وضاء الوجه ، إنه الإيمان الذي يزن الجبال ، ولا يطيش ، وإيمان بمن ؟ بالله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير .

هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن ، أما الهيب الخوار الفلق ، فما يستطيع بشيء من ذلك ، إنه من أولئك الذين قال الله فيهم : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...) . (٢)

أما الرجال الذين التقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في مكة ، واقتبسوا من أنوار الهدى ، وتواصوا بالحق والصبر ، فإنهم نفروا خفافاً ، ساعة قيل لهم : هاجروا إلى حيث تعززون الإسلام ، وتؤمنون مستقبله . (٣)

^١ الأساس في السنة وفقهها - سعيد حوى - ص ٣٢٨

^٢ سورة النساء - الآية (٦٦)

^٣ الأساس في السنة وفقهها - سعيد حوى - ص ١٨٩

الفصل الثالث

واقع الإخراج فى بيت المقدس (فلسطين) كما عرضه التصور القرآنى

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بداية خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بيت المقدس (فلسطين)

المبحث الثانى : وقفات مع سورة الإسراء من خلال قضية الإخراج

المبحث الثالث : الفكر الصهيونى القائم على الإستيطان والتهجير

المبحث الرابع : الرؤية التوراتية لليهود فى قضية الإخراج

المبحث الأول

بداية خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بيت المقدس (فلسطين) :

توطئة :

قصة صراع موسى مع فرعون مبسطة في القرآن الكريم في مناسبات عديدة ، ولقد كانت دعوة موسى لفرعون في بداية الأمر ، أن طالبه بتوحيد الله ، ثم إرسال بنى إسرائيل واستنقاذهم من ذل العبودية ، كما صرح بذلك النص القرآني ، (...فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى). (١) ولقد كان خروج بنى إسرائيل من مصر هرباً من فرعون وبطشه ، يمثل مرحلة هامة في تاريخ بنى إسرائيل القديم والحديث ، إذ طلب منهم بعد ذلك دخول الأرض المقدسة ، فاستنكفوا عن ذلك ، ولقد فصل القرآن في مسألة خروج بنى إسرائيل ، سواء في بيان سنة الله عليهم في الإخراج ، أو في بيان ظروف الواقع الذى ألجأهم إلى هذا الخروج على النحو التالى :

المطلب الأول : الإخراج حالة متأصلة في حياة بنى إسرائيل

جاء اللفظ القرآني بصيغة واضحة ومحددة في كون ترك الإخراج فريضة فرضت على بنى إسرائيل في كتبهم وشريعتهم ، والمواثيق التى أخذت عليهم ، قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ . ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ). (٢)

العهد كان بثلاثة أشياء ، ترك القتل ، وترك الإخراج ، ومفاداة الأسارى ، فقتلوا وأخرجوا على خلاف العهد وفدوا بمقتضاه وعن السدى : أن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بنى إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه فأعنتوه ، ولعل كفرهم ما ارتكبوا

^١ سورة طه - الآية (٤٦)

^٢ سورة البقرة - الآيتان (٨٤ ، ٨٥)

لاعتقادهم عدم الحرمة ، مع دلالة صريح التوراة عليها وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان عادة بنى قريظة القتل ، وعادة بنى النضير الإخراج ، فلما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة وأسروا نساءهم وأطفالهم . (١).

أجلى بنى النضير ، وقتل رجالهم وقد ذكر الامام الطاهر بن عاشور إشارة حول الآيات بقوله " وقد أشارت هذه الآية إلى ما حدث بين اليهود من التخاذل ، وإهمال ما أمرتهم به شريعتهم ، والأظهر أن المقصود يهود قريظة والنضير وقينقاع ، وأراد من ذلك بخاصة ما حدث بينهم فى حروب بعثت القائمة بين الأوس والخزرج ، وذلك أنه لما تقاتل الأوس والخزرج اعتزل اليهود الفريقين زمناً طويلاً ، والأوس مغلوبون فى سائر أيام القتال ، فدبر الأوس أن يخرجوا يسعون لمخالفة قريظة والنضير ، فلما علم الخزرج تواعدوا اليهود إن فعلوا ذلك ، فقالوا لهم : إنا لا نحالف الأوس ، ولا نحالفكم ، فطلب الخزرج على اليهود رهائن أربعين غلاماً من غلمان قريظة والنضير ، فسلموهم لهم ، ثم أن عمرو بن النعمان البياض الخزرجى أطمع قومه أن يتحولوا لقريظة لحسن أرضهم وتحتلهم ، وأرسل إلى قريظة والنضير ، يقول لهم : إما أن تخلوا لنا دياركم ، وإما أن نقتل الرهائن ، فخشى القوم على رهائنهم ، واستشاروا كعب بن أسيد القرظى ، فقال لهم : يا قوم امنعوا دياركم ، وخلوه يقتل الغلمان ، فما هى إلا ليلة يصب أحدكم فيها امرأته حتى يولد له مثل أحدهم ، فلما أجابت قريظة والنضير عمراً بأنهم يمنعون ديارهم ، عدا عمرو على الغلمان فقتلهم ، فلذلك تحالفت قريظة والنضير مع الأوس ، فسعى الخزرج فى مخالفة بنى قينقاع من اليهود وبذلك نشأ قتال بين فرق اليهود ، وكان بينهم يوم بعثت قبل الهجرة بخمس سنين ، فكانت اليهود تتقاتل ، وتجلى المغلوبين من ديارهم وتأسرهم ، ثم لما ارتفعت الحرب جمعوا مالاً ، وفدوا به أسرى اليهود الواقعيين فى أسر أحلاف أحد الفريقين من الأوس أو الخزرج ، فغيرت العرب اليهود بذلك ، وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفتونهم بأموالكم ، فقالوا : قد حرم علينا قتالهم ، ولكننا نستحي أن نخذل حلفاءنا ، وقد أمرنا أن نفدى الأسرى ، فذلك قوله تعالى : (... وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ...) . " (٢)

^١ روح المعانى - الأوسى - ج ١ ص ٤٩٤ - بتصرف

^٢ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ١ ص ٥٨٩

المطلب الثاني : خروج بنى إسرائيل من مصر

ظل خروج بنى إسرائيل من مصر دائراً بين رغبة موسى عليه السلام والمستضعفين معه ، وبين تخوف فرعون وملأه ، وقد ذكر القرآن طلب موسى الصريح مع بداية دعوته : (أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ). (١) والملاحظ أن موسى حدد مطلباً رئيساً من فرعون ، وهو الإذن لبنى إسرائيل فى الخروج من مصر ، وهو مطلب سياسي ، فقد كان الهدف هو تحرير بنى إسرائيل من العبودية ، والملاحظ أن فرعون فرض الجواب على هذا المطلب الرئيسى ، بتذكير موسى بنعمته عليه . (٢)

وفى ذلك حكى القرآن خوف فرعون وملأه ، ووضك فى قوله تعالى : (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَإِعْتَصِمِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ). (٣) ، " ... ووجه استفادتهم أن موسى يريد إخراجهم من أرضهم ، إما أنهم قاسوا ذلك عن قول موسى " فأرسل معى بنى إسرائيل " بقاعدة ما جاز على مثل يجوز على المماثل ، يعنون أنه ما أظهر إخراج بنى إسرائيل إلا ذريعة لإخراج كل من يؤمن به ، ويتخذهم تبعاً ويقوم بهم ملكاً خارج مصر ، فزعموا أن تلك مكيدة من موسى ، لتلم ملك فرعون ، وإما أن يكون ملاً فرعون محتوياً على رجال من بنى إسرائيل كانوا مقربين عند فرعون ، ومن أهل الرأى فى المملكة ، فهم المقصود بالخطاب ، أى يريد إخراج قومكم من أرضكم التى استوطنتموها أربعة قرون ، وصارت لكم موطناً كما هى للمصريين ، وقصدهم من ذلك تذكيرهم بحب وطنهم وتقريبهم من أنفسهم ، وإنساؤهم ما كانوا يلقون من اضطهاد القبط واستذلالهم ، شعوراً منهم بحراجه الموقف ، وإما أنهم علموا أنه إذا شاع فى الأمة ظهور حجة موسى ، وعجز فرعون وملأه أدخل ذلك فتنة فى عامة الأمة ، فأمنوا بموسى ، وأصبح هو الملك على مصر ، فأخرج فرعون وملأه منها " (٤) ولم يبق هذا الأمر حبيس الرغبات والتطلعات ، بل تجاوز ذلك إلى تكليف شرعى ، وأمر إلهى بالخروج ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى . فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ . وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى). (٥)

^١ سورة الشعراء (آية : ١٧).

^٢ الأساس فى التفسير - سعيد حوى - ج ٧ ص ٣٩١٢

^٣ سورة الأعراف - الآيات (١٠٩ - ١١١)

^٤ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - مجلد ٥ ج ٩ ص ٤٢

^٥ سورة طه - الآيتان (٧٧ ، ٧٨)

" وفي ذلك دلالة على أن موسى عليه السلام في تلك الحالة كثر مستجيبوه ، فأراد الله تعالى تمييزهم من طائفة فرعون وخلصهم ، فأوحى إليه أن يسرى بهم ليلاً ، وذلك لوجوه :
أحدهما : أن يكون اجتماعهم لا بمشهد من العدو ، فلا يمنعهم عن استكمال مرادهم في ذلك .
وثانيها : ليكون عائقاً عن طلب فرعون ومتبعيه .
وثالثها : ليكون إذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم . " (١)

" فإن فرعون بعد أن رأى آيات غضب الله عليه وعلى قومه ، وأيقن أن ذلك كله تأييد لموسى ، أذن لموسى وهارون أن يخرجوا بني إسرائيل ، وكان إذن فرعون قد حصل ليلاً لحدوث موتان عظيم في القبط ، في ليلة الشهر السابع من أشهر القبط ، وهو شهر برمهاة ، وهو الذي إتخذه اليهود رأس سبتهم بإذن من الله ، وسموه (تسرى) فخرجوا من مدينة رعسيس قاصدين شاطئ البحر الأحمر ، وندم فرعون على إطلاقهم ، فأراد أن يلحقهم ليرجعهم إلى مدينته ، وخرج في مركبته ، ومعه ستمائة مركبة مختارة ، ومركبات أخرى تحمل جيشه . " (٢)

" لقد تولت يد القدرة إدارة المعركة بين الإيمان والطغيان ، فلم يتكلف أصحاب الإيمان فيها شيئاً سوى اتباع الوحي والسرى ليلاً ، ذلك أن القوتين لم تكونا متكافئتين ، ولا متقاربتين في عالم الواقع ... موسى وقومه ضعاف مجردون من القوة ، وفرعون وجنده يملكون القوة كلها ، فلا سبيل إلى خوض معركة مادية أصلاً .

هنا تولت يد القدرة إدارة المعركة ، ولكن بعد أن اكتملت حقيقة الإيمان في نفوس الذين لا يملكون قوة سواها ، بعد أن استعلن الإيمان في وجه الطغيان لا يخشاه ولا يرجوه ، لا يرهب وعيده ولا يرغب في شئ مما في يده . " (٣)

ويذكر السياق القرآني قوله تعالى في سورة الشعراء : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا
لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ
إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ). (٤)

^١ التفسير الكبير - الرازي - ج ٢٢ ص ٩٢

^٢ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - مجلد ٨ ج ١٦ ص ٢٧١

^٣ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٥ ص ٤٨٧

^٤ سورة الشعراء - الآيات (٥٢ - ٦٨)

وبدأ الخروج بتعليمات من نبي الله موسى إلى بنى إسرائيل ، أن يقوموا باستعادة الحلى من المصريين ملأ فرعون ، والتجهيز لهذا الخروج ، وقد ذكر السياق القرآنى أن السامرى حاول أن يضلهم بذكره لبنى إسرائيل أن أخذهم الحلى كان غير مشروع ، قال تعالى :
(...وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ). (١)

" أى أتقالاً من حلى القبط أرادوا بها آثام وتبعات ، لأنهم استعاروها ليلة الخروج من مصر وأخذوها " ففذفناها " أى فألقيناها عنا " فكذلك ألقى السامرى " تحتل أنه ألقى كما ألقوا ، وتحتل أن مثل هذا الإلقاء أى الوسوسة ألقى لهم السامرى ، آثام من منطلق الورع الكاذب ، ليصل بهم إلى الكفر ، آثام أنكم خنتم المصريين يوم استعرتهم حليهم استعارة ثم أخذتموها ، فهذا غير مباح لكم ، فعليكم أن تتخلوا عنه ، ونسى الخبيث أن موسى ما أمرهم بهذا إلا بأمر الله ، وأن الله هو الذى يحل ويحرم ، فما أحله فهو الحلال ، وما حرمه فهو الحرام (٢).

وأعلم الله نبيه موسى بنية فرعون فى ملاحظته ، ومن معه من المؤمنين : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ). (٣)

" ومن حكمته تعالى أن يستدرج الظالمين إلى الهاوية والهلاك ، فيغرقهم جميعاً ليكونوا عبرة لمن اعتبر ، وأن يقود جيش الإيمان بقيادة نبيهم إلى ساحل النجاة ليظهر فضله ، وتمام نعمته عليهم ، وكان بإمكان الله تعالى أن يهلك فرعون وجنوده فى قلب مملكته ، وفى أرض دولته ، وأمر موسى عليه السلام أن يخرج بنى إسرائيل ليلاً وسماهم عباده ، لأنهم آمنوا بموسى ، وأوحى إليه أن فرعون وجنوده سيتبعونهم ليردوهم إلى بلاد مصر ، لإبقائهم عبيداً أرقاء ، فجمع فرعون عساكره ، وأعد جيشه فى اليوم التالى لمسيرة موسى ببنى إسرائيل ليلاً ، مستنصر القوى العسكرية أن هؤلاء طائفة قليلة حقيرة ، وأنهم أعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التى استعاروها كما تقدم بيانه ، وأننا مجتمع أخذنا حذرنا وأسلحتنا ، وكان هذا الإستنفار تجريداً لهم من أرض مصر وما فيها من أشجار وأنهار ومنازل عالية ، وجعل ممتلكاتهم إرثاً مشروعاً لبنى إسرائيل الذين كانوا عبيداً أذلاء مستضعفين فى مصر ، قال الحسن وغيره رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه ، وقيل أرادوا بالوراثة

^١ سورة طه - الآية (٨٧)

^٢ الأساس فى التفسير - سعيد حوى - ج ٧ ص ٣٣٨٠

^٣ سورة الشعراء - الآيات (٥٢ - ٦٨)

هنا ما استعاره من حلى آل فرعون بأمر الله تعالى . قال القرطبي : وكلا الأمرين حصل والحمد لله ، أى فقد عادوا إلى مصر وأصبحوا قاداتها وسادتها وملاكها . فلما تقابل الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه ، خاف أصحاب موسى ، وقالوا : لقد قرب منا العدو ، ولا طاقة لنا به ، فالعدو وراعنا ، والبحر أمامنا ، وساعت ظنونهم ، وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء " إنا لمدركون " فرد عليهم قولهم وزجرهم ، وذكرهم وعد الله سبحانه بالهداية والظفر ، قائلاً لهم : " كلا " لم يدركوكم " إن معى ربى سيهدين " أى معى بالنصر على العدو ، وسيدلنى على طريق النجاة ، فلما عظم البلاء واشتد خوف بنى إسرائيل ، أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه ،.... ولما انفلق البحر صار فيه اثنا عشر طريقاً على عدد أسباط بنى إسرائيل ، ووقف الماء فيها كالجبل العظيم ، وكأنه جمد ، وقرب الله فرعون وقومه إلى البحر ، والغيط يملأ نفوسهم ، ونار الحقد تغلى فى قلوبهم كالمراجل ، وأنجى الله موسى ومن معه أجمعين ، ثم لما صار الآخرون فى وسط البحر ، أطبقه عليهم ، وأغرقهم جميعاً . (١)

المطلب الثالث : امتناع بنى إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر

سجل السياق القرآنى حادثة مهمة فى خروج بنى إسرائيل من مصر ، وامتناعهم عن التكليف الشرعى من نبي الله موسى بدخول الأرض المقدسة ، حيث قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذُرُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). (٢)

فكانت هذه الحادثة صورة من صور نقض هذا الميثاق ، بتخلفهم عن أمر الله ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . (٣)

^١ التفسير المنير - د.وهبة الزحيلي - ج ١٩ - ص ١٦٢ - بتصرف

^٢ سورة المائدة - الآيات (٢٠ - ٢٦)

^٣ انظر : روح المعانى - الألوسي - ج ٢ ص ١٠٤

" تذكروا نعمة الله عليكم بتتابع الأنبياء فيكم من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده ، حتى ختموا بعيسى عليه السلام ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ، وجعلكم ملوكاً أحراراً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، عالمي زمانهم ، من فلق البحر ، وإغراق العدو ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك من الأمور العظام ، ثم أمرهم موسى بدخول فلسطين ، ومجاهدة الأعداء ، فقال لهم : " ادخلوا الأرض المقدسة " بيت المقدس أو فلسطين للسكنى لا للملك ، لأن بيت المقدس مقر الأنبياء ، ومسكن المؤمنين ، أى قسمها لكم وسماها ، فقد وعد الله إبراهيم بحق السكنى فى تلك البلاد المقدسة ، لا أنها ملك لهم ، لأن هذا مخالف للواقع ، فاستنباط اليهود من ذلك الوعد ، أنه لا بد أن يعود لهم ذلك الملك ليس بصحيح ، لأن الله قال بعدئذ : " فإنها محرمة عليهم " قال ابن عباس كانت هبة ، ثم حرما عليهم لسوئهم وعصيانهم ، ولأن قوله : " كتب الله لكم " مشروط بقيد الطاعة ، فلما لم يوجد الشرط ، لم يوجد المشروط . " (١)

" إذن هى إرادة تشريعية ، وليست إرادة كونية ، فإن أطاعوا أمر الله ، وتشجعوا ودخلوا الأرض المقدسة ، فإنهم يأخذونها ، وإن لم يطيعوه فهى محرمة عليهم ، إذن فلا تناقض بين أن يقول سبحانه أنه كتبها لهم ثم قوله من بعد ذلك ، أنهم محرمة عليهم ، لقد كتبها الله سبحانه كتابة تشريعية ، فإن دخلوها بشجاعة ، ولم يخافوا ممن فيها ، واستبسوا ، ووثقوا أن وراءهم إلهاً قوياً سيساندهم ، فإنهم سيدخلونها ، أما إن لم يفعلوا ذلك فهى محرمة عليهم (٢) " فقالوا إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، يعنون من الأرض المقدسة الجبارون الذين فيها ، جناً منهم وجزعاً من قتالهم ، وقالوا له إن يخرج هؤلاء الجبارون دخلناها ، وإلا لا نطبق دخولها ، وهم فيها لأنه لا طاقة لنا بهم ولا يد ، وكان ابن يوحنا يسكت الشعب عن موسى صلى الله عليه وسلم فقال لهم : إنا سنعلو الأرض ونرثها ، وإن لنا بهم قوة ، وأما الذين كانوا معه ، فقالوا : لا نستطيع أن نصل وجعل الرجل يقول لصاحبه تعالو نجعل إلى ذلك الشعب من أجل أنهم أجراً منا ، ثم إن أولئك الجواسيس أخبروا بنى إسرائيل الخبر ، وقالوا إنا مررنا فى أرض ، وأحسنناها فهى تأكل ساكنها ، ورأينا بها الجبابرة بنى الجبابرة ، وكنا فى أعينهم مثل الجراد ، فأرجفت الجماعة من بنى إسرائيل ، فقالوا لهما يا ليتنا متنا فى أرض مصر ، وليتنا نموت فى هذه البرية ولم يدخلنا الله هذه الأرض ، لنقع فى الحرب ، فتكون نساؤنا وأبناؤنا و أبقالنا غنيمة ولو كنا قعودا فى أرض مصر كان خيراً لنا و جعل

^١ التفسير المنير - د. وهبة الزحيلي - ج ٦ ص ١٤٦ - بتصرف

^٢ تفسير الشعراوى - محمد متولى الشعراوى ج ٥ ص (٣٠٦٢)

الرجل يقول لأصحابه تعالوا نجعل علينا رأساً ونصرف إلى مصر" (١) ويذكر الشيخ العلامة محمد رشيد رضا نقولات في العقوبة التي فرضت عليهم منها أن هذه القصة مفصلة في الفصلين الثالث والرابع عشر من سفر العدد ، وذكر شيئاً منها ، " وفي الفصل الرابع عشر أن بنى إسرائيل لما تمردوا ، وعصوا أمر ربهم ، سقط موسى وهارون على وجوههما أمامهم ، أن يوشع وكالب مزقا ثيابهما ، ونهيا الشعب عن التمرد وعن الخوف من الجبارين ليستطيع فهم الشعب بزعمهما ، وظهر مجد الرب لموسى في خيمة الاجتماع " وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ، إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم " فشفع موسى فيهم لئلا يشمت بهم المصريون وبه ، فقبل الرب شفاعته ثم قال ؟؟ إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التي عملتها في مصر وفي البرية ، وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا قولى لن يروا الأرض التي حلفت لأبائهم ، وجميع الذين أهانونى لا يرونها" واستثنى الرب كالباً فقط . ثم قال لموسى وهارون وحتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ ؟ قد سمعت تذر بنى إسرائيل الذى يتذمرونه علىّ قل لهم "حى أنا " يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى فى هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم ، حسب عددكم من ابن عشرين فصاعدا الذين تذرتموا علىّ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفتة ويشوع بن نون وأما أطفالكم الذين قلتهم أنهم يكونون غنيمة فإنى سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ، ويحملون مجوركم حتى تقنى جثثكم فى القفر كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً للسنة تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى أنا الرب فقد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتففة علىّ ، فى هذا القفر يفنون ، وفيه تموتون " (٢).

ثم قال : " لا نبحت فى هذه العبارات التي أثبتناها ، ولا فى ترك ما تركناه من الفصل فى موضوعها ، لا من حيث التكرار ، ولا من حيث الإختلاف والتعارض ، ولا من حيث تنزيه الرب تعالى ، ولا نبحت عن كاتب هذه الأسفار بعد سبي بنى إسرائيل ، وإنما نكتفى بما ذكرناه شاهداً ، ونقول كلمة فى حكمة هذا العقاب ، تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وهى : " إن الشعوب التي تنشأ فى مهد الإستبداد ، وتساس بالظلم والاضطهاد ، تفسد أخلاقها ، وتذل نفوسها ، ويذهب بأسها ، وتضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتألف الخضوع ، وتأنس

^١ جامع البيان - ابن جرير - ج ٦ ص ١١٢

^٢ تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا - ج ٦ ص ٣٢٦

بالمهانة والخنوع ، وإذا طال عليها أمد الظلم ، تصير هذه الأخلاق موروثة مكتسبة ، وحتى تكون كالغرائز الفطرية ، والطبائع الخلقية ، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها ، ورفعت عن رقبتة نيرها ألفتها ينزع بطبعه إليها ، وينقلت منك ليتقحم فيها ، وهذا شأن البشر في كل ما يألّفونه ، ويجرون عليه من خير وشر ، وإيماناً وكفر .

وكان الله تعالى يعلم أنهم لا تطيعهم نفوسهم المهينة على دخول أرض الجبارين ، وأن وعده تعالى لأجدادهم إنما يتم على وفق سنته على طبيعة الاجتماع البشرى إذا هلك ذلك الجيل ، الذى نشأ فى الوثنية والعبودية للبشر ، وفساد الأخلاق ، ونشأ بعده جيل جديد ، فى حرية البراءة وعدل الشريعة ، ونور الآيات الإلهية ، وما كان الله ليهلك قوماً بذنوبهم ، حتى يبين لهم حجته عليه ، وليعلموا أنه لم يظلمهم ، وإنما سيظلمون أنفسهم ، وعلى هذه السنة العادلة أمر الله تعالى بنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة ، بعد أن أراهم عجائب تأييده لرسوله إليهم ، فأبوا واستكبروا فأخذهم الله بذنوبهم ، وأنشأ من بعدهم قوماً آخرين ، جعلهم هم الأئمة الوارثين ، جعلهم كذلك بهمهم وأعمالهم ، الموافقة لسنتهم وشريعتهم المنزلة ، وهذا بيان حكمة عصيانهم وطغيانهم لموسى بعد ما جاءهم بالبينات ، وحكمة حرمان الله تعالى لذلك الجيل منهم من الأرض المقدسة " . (١)

" ولقد وعى المسلمون هذا الدرس مما قصه عليهم من القصص ... فيمن واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش فى غزوة بدر ، ما قالوا لنبيهم صلى الله عليه وسلم إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) لكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . (٢)

^١ تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا - ج ٦ ص ٣٣٦

^٢ فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٢ ص ٨٧١

المبحث الثاني

وقفات مع سورة الإسراء من خلال قضية الإخراج

تعتبر سورة الإسراء من السور القرآنية الهامة التي تحدثت عن إفساد بني إسرائيل ، وإخراجهم وجمعهم ، وقد كثر حديث المفسرين عن هذا الإفساد ، وبخاصة الإفسادتين المذكورتين في السورة هل مرتا أم بقيتا ؟ وزامن هذا الإفساد صور متعددة لإخراج بني إسرائيل ، وإهلاكهم ، وتسليط العباد عليهم ، ولما كان القرآن الكريم يمثل المنهج القويم ، والصراط المستقيم الذي ينبغي على كل مسلم أن يتعرف على سننه ومعالمه ، ولما كانت هذه السورة تشخص الداء والدواء لمرحلة هامة ومسيرة خطيرة ، فيجدر بنا الوقوف على معالم السورة ، وارتباطها بقضية الإخراج ، خاصة وأن الإخراج هو سنة من سنن الله ، تمثل لونا من ألوان تدافع الناس بعضهم ببعض ، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والحديث عن بني إسرائيل في سورة خاصة ، وعن إفسادهم ، وإخراجهم وعودتهم يمثل محورا تاريخياً وجغرافياً هاماً ، وحلقة في الصراع الإسلامي اليهودي ، ولذلك لابد من ضرورة التعرض لآيات السورة ، والوقوف على أسرارها وظلالها لمعرفة خروجهم ، وتجمعهم من الشتات ، وتأثير ذلك على اضطهاد الشعب الفلسطيني ، وإخراجه من دياره **على النحو**

التالى:

قال تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُتُّرُوا مَا عَلُوا تَتَبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتنا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا). (١)

أقوال العلماء في تفسير الإفسادتين :

اختلف المفسرون والعلماء في تحديد الإفسادتين المذكورتين في سورة الإسراء على أقوال كثيرة نتعرض إلى أهمها باختصار :

^١ سورة الإسراء - الآيات (٤-٨)

قوله تعالى : (لتفسدن في الأرض مرتين) " عن عطية العوفي قال : أفسدوا المرة الأولى ، فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم ، وأفسدوا المرة الثانية ، قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فبعث الله عليهم بختنصر .

وقال ابن عباس : بعث الله عليهم في الأولى جالوت ، فجاس خلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذل ، فسألوا الله أن يبعث إليهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله ، فبعث الله طالوت ، فقتل جالوت بيدي داود عليه السلام ، ورجع إلى بني إسرائيل ملكهم ، فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر ، فخرّب المسجد وتبر ما علوا تنبيراً . (١)

قال تعالى : (وإن عدتم عدنا " قال : فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين) . وقال قتادة : أما المرة الأولى ، فسلط عليهم جالوت حتى بعث طالوت ملكاً ومعه داود فقتله داود ثم رد الكرة لبني إسرائيل " وجعلناكم أكثر نفيراً " أي عدداً " فإذا جاء وعد الآخرة " آخر العقوبتين " ليسوعوا وجوهكم " قال : ليقبحوا وجوهكم " وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة " قال كما دخل عدوهم قبل ذلك " وليتبروا ما علوا تنبيراً " قال : يدمروا ما علوا تدميراً ، فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلق الله إليه ، فسبى وقتل وخرّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب .

وقال ابن زيد في الآية : كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير ، فإن الأولى كانت هزيمة فقط ، والآخرة كانت تدميراً ، وحرقت بختنصر التوراة حتى لم يترك فيها حرفاً واحداً وخرّب بيت المقدس .

وقال الضحاك في قوله تعالى : " عسى ربكم أن يرحمكم " كانت الرحمة التي وعدهم : بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال قتادة : " وإن عدتم عدنا " فعادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون الجزية . (٢)

وكذا قال المفسرون : إن المرتين وقعتا قبل البعثة المحمدية ولم يختلفوا في ذلك ، وإنما اختلفوا فيمن سلط عليهم بسبب الإفسادتين ، ونقل كلامهم يطول ، فلينظره من أراد في كتب التفسير في الحاشية . (٣)

^١ انظر : جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري - ج ١٥ ص ٢٢

^٢ البحر المحيط - أبي حيان الأندلسي - ج ٦ ص ١١

^٣ انظر : جامع البيان - الطبري - ج ٨ ص ١٦

- المحرر الوجيز - ابن عطية - ج ١٠ ص ٢٦٠

- البحر المحيط - أبي حيان الأندلسي - ج ٦ ص ٨

- إرشاد العقل السليم - أبي السعود - ج ٣ ص ٣١٠

وقد ذكر العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره قال رحمه الله : " والقضاء بمعنى الحكم وهو التقدير ، ومعنى كونه في الكتاب أن القضاء ذكر في الكتاب والمراد بالكتاب التوراة ، والتعريف للعهد ، لأنه ذكر آنفاً ، ويجوز أن يكون الكتاب بعض كتبهم الدينية ، فتعريف الكتاب تعريف الجنس ، وهو الأسفار المسماة بكتب الأنبياء : أشعياء ، وأرمياء ، وحزقيال ، ودانيال ، وهي في الدرجة الثانية من التوراة، وكذلك كتاب النبي ملاخي ، والإفساد مرتين ذكر في كتاب أرمياء في الإصحاح الثاني ، والإصحاح الحادي والعشرين وغيرهما ، ويجوز أن يكون المراد بالكتاب : التوراة وكتب الأنبياء ، ولذلك أيضاً وقع الإظهار دون الإضمار ، وجملة (لتفسدن في الأرض مرتين) إلى قوله (حصيراً) مبينة لجملة وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ، وهذه الآية تشير إلى حوادث عظيمة ، بين بني إسرائيل وأعدائهم من أمتين عظيمتين ، حوادث بينهم وبين البابليين وحوادث بينهم وبين الرومانيين ، فانقسمت بهذا الاعتبار إلى نوعين ، نوع منهما تدرج فيه حوادثهم مع البابليين ، والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين ، فعبر عن النوعين بمرتين ، لأن كل مرة منهما تحتوي على عدة ملاحم " .

فالمرّة الأولى هي مجموعة حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي ، وهي غزوات بختنصر ملك بابل وآشور لبلاد أورشليم ، والغزو الأول كان سنة ٦٠٦ قبل المسيح ، أسر جماعات كثيرة من اليهود ويسمى الأسر الأول ، غزاهم أيضاً غزواً يسمى الأسر الثاني ، وهو أعظم من الأول كان سنة ٥٠٨ قبل المسيح ، وأسر ملك يهوذا وجمعاً غفيراً من الإسرائيليين وأخذ الذهب الذي في هيكل سليمان ، وما فيه من الآنية النفيسة .

والأسر الثالث المبير سنة ٥٨٨ قبل المسيح ، غزاهم بختنصر ، وسبى كل شعب يهوذا ، وأحرق هيكل سليمان ، وبقيت أورشليم خراباً يباباً ، ثم أعادوا تعميرها كما سيأتي ، " ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها " ثم تفيد التراخي الرتبي والتراخي الزمني معاً ، والكرة الرجعة إلى المكان الذي ذهب منه ، وذلك أن بني إسرائيل بعد أن قضوا نيفاً وأربعين سنة في أسر البابليين ، وتابوا إلى الله ، سلط الله ملوك فارس على ملوك بابل الآشوريين .

- روح المعاني - الألويسي - ج ٥ ص ١٦

- الكشاف - الزمخشري - ج ٢ ص ٤٣٨

- مجمع البيان - الطبري - ج ٦ ص ٢٠٩

- التفسير الكبير - الرازي - ج ٢٠ ص ١٥٦

- أنوار التنزيل - البيضاوي - ج ٣ ص ٤٣٢

فإن الملك كورش ملك فارس حارب البابليين وهزمهم ، فضعف سلطانهم ، ثم نزل بهم داريوس ملك فارس وفتح بابل سنة ٥٣٨ قبل المسيح .

وأذن لليهود في سنة ٥٣٠ قبل المسيح ، أن يرجعوا إلى أورشليم ويحدثوا دولتهم ، وذلك نصر انتصروه على البابليين ، إذ كانوا أعواناً للفرس عليهم ، والوعد بهذا النصر .

ورد أيضاً في كتاب أشعياء في الإصحاحات العشرة والحادية عشر ، والثانية عشر وغيرهما ، وفي كتاب أرمياء في الإصحاح الثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين ، وقوله : " وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . " وهو من جملة المقضي الموعود به ، ووقع في الإصحاح التاسع والعشرين من كتاب أرمياء : هكذا قال الرب إلى بني إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل " ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلوا ، وقوله : " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها " من جملة المقضي في الكتاب ، وهو حكاية لما في الإصحاح التاسع والعشرين من كتاب أرمياء ، وصلوا لأجلها إلى الرب ، لأنه بسلامها يكون لكم السلام ، وفي الإصحاح الحادي والثلاثين : يقول الرب : " أزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا ، ويكون كما سهرت عليهم للإقتلاع والهدم والقرض والإهلاك ، كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس في تلك الأيام ، لا يقولون : الآباء أكلوا حصرماً ، وأسنان الأبناء ضرست ، بل كل واحد يموت بذنبه ، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه .

ومعنى قوله تعالى : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أننا نرد لكم الكرة لأجل التوبة ، وتجدد الجيل ، وقد أصبحتم في حالة نعمة ، فإن أحسنتم كان جزاؤكم حسناً ، وإن أسأتم أسأتم لأنفسكم ، فكما أهلكنا من قبلكم بذنوبهم ، فقد أحسنا إليكم بتوبتكم ، فاحذروا الإساءة كي لا تصيروا إلى مصير من قبلكم .

قال تعالى : (...فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُيِّنُوا مَا عَلُوا تَتَبِيرًا ٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) . (١)

هذا الكلام من بقية ما قضى في الكتاب ، بدليل تفريعه بالفاء ، والآخرة ضد الأولى ، ولم يعدهم الله في هذه المرة إلا بتوقع الرحمة ، دون رد الكرة ، فكان إيماءً إلى أنهم لا ملك لهم بعد هذه المرة ، وبهذا يتبين أن المشار إليه بهذه المرة الآخرة ، هو ما اقترفه اليهود من المفساد ، والتمرد وقتل الأنبياء والصالحين ، والاعتداء على عيسى وأتباعه ، وقد

^١ سورة الإسراء - الآية (٨)

أنذرهم النبي ملاخي في الإصحاحين الثالث والرابع من كتابه ، وأنذرهم زكريا ويحيى عليهم السلام ، فلم يراعوا فضربهم الله الضربة القاضية بيد الرومان .

وبيان ذلك : أن اليهود بعد أن عادوا إلى أورشليم ، وجددوا ملكهم ومسجدهم في زمن داريوس ، وأطلق لهم التصرف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليون ، وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة ٥٣٠ إلى سنة ٣٣٠ قبل المسيح ، ثم أخذ ملكهم في الإنحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشليم ، فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة ١٦٦ قبل المسيح ، إذ قام قائد من بني إسرائيل اسمه ميثيا ، وكان من اللاويين فانتصر لليهود ، وتولى الأمر عليهم ، وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمن ملىء بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح ، دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين ، وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم هيرودس ، ثم تمردوا للخروج على الرومانيين ، فأرسل قيصر رومية القائد سيسيا نوس مع ابنه القائد طيطوس بالحيوش في حدود سنة أربعين بعد المسيح ، فخربت أورشليم واحترق المسجد ، وأسر طيطوس نيفاً وتسعين ألفاً من اليهود ، وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف ألف ثم استعادوا المدينة ، وبقي منهم شردمة قليلة بها إلى أن وفاهم الامبراطور الروماني أدريانوس فهدمها وخربها ، ورمى قناطير الملح على أرضها كي لا تعود صالحة للزراعة ، وذلك سنة ١٣٥ للمسيح ، وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض ، وتفرقوا في الأرض ، ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة ١٦ هجرية ، صلحاً مع أهلها ، وهي تسمى يومئذ إيلياء . (١)

ويظهر أن هذا التفسير موافق لمعنى الآية وموضح لما فيها لبيان التاريخ الحاصل والواقع فيها .

وأن ما قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب قد حصل قبل ظهور الإسلام بمدة لا تقل عن ثلاثمائة سنة .

وقد رأى بعض العلماء والمفسرين المعاصرين أن الإفساد الثانية هي ما وقع بإحتلال اليهود لفلسطين ، وقد رد هذا القول العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق بقوله :

إن هذا التوجه باطل من وجوه :

الأول : أن الله تعالى خبر اليهود بما قضى إليهم في الكتاب حين كان دينهم صحيحاً ، وشريعته قائمة ، أنهم سيخالفونها بإفسادهم ، ويعاقبهم بتسليط أعداء لهم ، ليس لهم دين .

^١ انظر التحرير والتتوير - الطاهر بن عاشور - ج ١٥ ص ٣١ - بتصرف

الثاني : أن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قتلوا الأنبياء والصالحين وهذا أعظم الإفساد بلا شك ،
وفى الحديث الصحيح(١): " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم " فكيف يقتل
الأنبياء والصالحين !!؟

الثالث : أن أنبياء بني إسرائيل أنذروهم بإفسادهم الذى حصل مرتين ، وبالعقوبة عليهما ،
وهذا الإنذار الذى وقع من الأنبياء كان بوحى إلهي .

الرابع : أن الله قال لهم عقب المرة الأولى : " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم " وهذا دليل على
أنهم كانوا حينئذ متمسكين بدين صحيح ، وهم الآن كفار مغضوب عليهم ، لا يتصور منهم
إحسان عمل ، ولو أمكن وقوعه لا يقبل منهم .

الخامس : أن الله تعالى ترحى لهم الرحمة عقب المرة الآخرة بقوله : " عسى ربكم أن
يرحمكم " وهذا يدل على أنهم كانوا إذ ذاك على أمل أن تتألمهم رحمة الله تعالى ، لتمسكهم
بدين موسى عليه السلام ، أما الآن فلا يمكن ولا يجوز أن يتوجه هذا الخطاب إليهم لأنهم
كفار آيسون من الرحمة .

السادس : قول الله تعالى لهم فى المرة الآخرة : " وإن عدتم عدنا " يفيد أنهم إن عادوا مرة
ثالثة ، يعاقبهم الله .

السابع : أن الإفساد حصل من بني إسرائيل ، وعوقبوا عليه ، وسجله التاريخ ، وإنذرات
أنبيائهم ، فكيف يزعم زاعمون أن الإفساد المذكور فى الآية لم يحصل إلا فى هذا العصر !؟
جراً غريبة لم يسبق لها نظير .

الثامن : إن قول الله تعالى : " بعثنا عليكم عبداً لنا " لا يفيد أنهم مسلمون ، لأن الخلق كلهم
عباد الله ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ...). (٢) ، وقال : (إِنْ
تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ...). (٣) ، وقال : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...). (٤) ،
والآيات فى هذا كثيرة.

التاسع : إن الله تعالى أعطى لأمتنا المحمدية اسماً خاصاً بها ، فقال سبحانه : (...مَلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا...). (٥).

^١ سنن الترمذي - كتاب الديات - باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن - حديث رقم (١٢٩٥) ص (٣٣٠) - تحقيق الألباني وقال عنه صحيح

^٢ سورة الأعراف - الآية (١٩٤)

^٣ سورة المائدة - الآية (١١٨)

^٤ سورة الأعراف - الآية (٣٢)

^٥ سورة الحج - الآية (٧٨)

قال ابن عباس : الله عز وجل سماكم ، وعن مجاهد " هو سماكم المسلمين " قال : الله عز وجل سماكم من قبل في الكتب كلها ، وفي الذكر ، وفي هذا قال : القرآن .
وعن سفيان " هو سماكم المسلمين " قال الله عز وجل " من قبل " قال : في التوراة والإنجيل " وفي هذا " قال : القرآن ، وعن ابن زيد في الآية قال : لم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بهما جميعاً ، ولم يسمع بأمة ذكرت بالإسلام والإيمان غيرها فالآية والآثار المذكورة أدلة قاطعة في أن قول الله تعالى : (...بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا...) . (١) لم يرد به المسلمين ، وإنما أراد قوماً حاربوا إسرائيل في ذلك الزمان .
الحادي عشر : قول الله تعالى : (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) لا يدل على أنهم مسلمون **لوجهين** :

الأول : أن لفظ المسجد ، ترجمة عما يسمى عندهم بالكنيسة ، لأن اللغة العبرية ركيكة ، والقرآن العظيم منزّه عن الركاكة في جملة وألفاظه ، والمحراب لفظ عربي ، والكنيسة وإن كانت معربة ، ثقيلة في السمع ، وليس في ألفاظ القرآن ثقل ، ألا تراه عبر في قوله تعالى : (فقد صغت قلوبكما) بالجمع ولم يقل قلبكما ، لأن التثنية ثقيلة ، والجمع أخف منها ، وعبر بالجمع في أولى الأبواب دون اللب لثقله في السمع .

الثاني : أن بيت المقدس ، بناه يعقوب عليه السلام ، بعد بناء جده إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام بأربعين عاماً ، ثم جدد بناءه سليمان عليه السلام ، وكان اسمه منذ بنائه بيت المقدس أو المسجد ، وتسميته هيكلاً إسم حادث عند اليهود بعد تجديده .

الثاني عشر : التعبير بالإستقبال في قوله تعالى : (فإذا جاء وعد أولاهما) هو الحقيقة والواقع ، لأن الله تعالى أخبر أنه قضى ذلك في التوراة ، وبيّن نزولها ووقوع ذلك من بني إسرائيل مدة طويلة ، تسمى مستقبلاً حقيقة لا مجازاً ، فكيف تلغى تلك المدة الطويلة التي تزيد على ألف سنة ، ويعتبر الإستقبال ما حصل الآن؟! هذا تمحل وتكلف شديدان يردهما معنى الإستقبال في اللغة ، ولما نزلت سورة " إذا جاء نصر الله " في حجة الوداع ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " نعت إليّ نفسي " (٢) وتوفى بعدها بمدة لا تزيد عن سنتين ، فكان الإستقبال الذي أفادته إذا حقيقة

الثالث عشر : الحديث الصحيح : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله " (٣) بعيد عن آية بني إسرائيل بعد الضب

^١ سورة الإسراء - الآية (٥)

^٢ مسند أحمد - ج ٢ ص (٤٣٥) حديث رقم (١٨٧٣) - صحيح الإسناد شرحه أحمد شاكر - ط (١) ١٩٩٥ م دار الحديث القاهرة

^٣ صحيح البخاري - كتاب الجهاد - باب قتال اليهود - ج ٢ ص ٢٣٣ حديث رقم ٢٩٢٦

من النون ، وإنما هو من الإخبار عن الحوادث التي تقع قرب قيام الساعة ، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة " (١)

وحديث مقاتلة اليهود ، قال الحافظ في فتح الباري ما نصه : في رواية أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه : " ينزل الدجال هذه السبخة - أى خارج المدينة - ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة هذا يهودي فاقتله " (٢) ، وعلى هذا فالمراد وقوع ذلك إذا خرج الدجال ، ونزل عيسى .

ويحمل العلامة بن الصديق على المفسرين المعاصرين الذين ذهبوا إتجاهاً آخر فى بقاء الإفساد الثانية ، ويذكر بطلان ما ذهبوا إليه - حسب رأيه على النحو التالي :

أن التفسير الذى ذكره المعاصرون مثل عبد الرحيم فوده ، والشيخ متولى الشعراوى ، والشيخ عبد الحميد واكد ، والأستاذ سيد قطب ، والسيد إدريس الكتاني ، باطل جملة وتفصيلاً ، وإن إصاقه بالآية الكريمة تحريف لمعناها ، وعدوان على كلام الله سبحانه وتعالى ووجدتهم غفلوا عن أمرهم لو تنبهوا له ، لما صدر عنهم ذلك التفسير الباطل ، ولما كتب السيد إدريس الكتاني رسالته التى سماها : العرب تحت وطأة الإفساد الأول لبني إسرائيل ، وإيضاح ذلك : أن موسى عليه السلام ، حين بعثه الله إلى بني إسرائيل ، كانت الوثنية غالبية على المنطقة التى بعث فيها من البابليين ، وفارس الكنعانيين ، والعمالقة والبطالسة ، ولم يكن فيهم من يعبد الله ويوحده ، بل كانوا مجوساً وعباد الكواكب ، فلما عرف بنو إسرائيل التوحيد الذى جاء به رسولهم ، وعبدوا الله كما فى شريعتهم ، أظهر الله عنايته بهم وأول ذلك أنه فضلمهم على ذلك العالم الوثني ، وهو معنى قوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ...) . (٣) ومن عنايته بهم ، أنه أنزل عليهم التوراة ، فيها أحكام وتشريعات ، تتناسب مع ظروفهم ومجتمعهم ، وزاد فى تكريمهم ، لأجل كليمة عليه السلام ، ووالى عليهم بعث أنبياء منهم فى كل جيل ، يرشدونهم الطريق القويم .

ولما يعلمه الله من خبث طينتهم ، وفساد طويتهم أنذرهم فى التوراة ، وفى كتب الأنبياء بعدها بما يحصل من المخالفات لهم وبعقابهم عليها . ومن جملة ما أنذرهم به ما ذكره الله تعالى فى

^١ صحيح البخاري - كتاب الجهاد - باب قتال الترك - ج ٢ ص ٢٣٣ - حديث رقم ٢٩٢٨

^٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - ج ٨ ص ٥١٣

^٣ سورة البقرة - الآية (١٢٢)

قوله سبحانه وتعالى : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين...) الآية وكان عقابهم عليهما أن بعث عليهم أعداء وثنبيين لا يعرفون الله ، ولا يخافون عذابه ، ولذلك قال : " بعثنا عليكم عباداً لنا " فذكر عباداً ، ثقليلاً لشأنهم ، وتحقيراً لهم ، ولم يكن تكبيرهم ، لأجل أنهم مؤمنون كما قيل . واستمر حال اليهود ، وهم على شريعة موسى عليه السلام ، مدة تزيد على ألفي سنة ، حصل فيها الإفسادان المذكوران في الآية ، وغيرهما .

وجاء في ذمهم أيضاً في سورة البقرة والمائدة والأحزاب والحشر والجمعة وغيرها . فصار اليهود بعد نسخ دينهم ، وكفرهم بالإسلام ، طائفة من الكفار مثل المجوس والمشركين ، بل هم أبغض إلى الله من جميع أنواع الكفرة ، لا يبالي بهم باله ، فلا يعقل ولا يجوز أن يقول لهم في هذا الوقت " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم " لأنهم بعد كفرهم لا إحسان لهم ولا حسنة ، ولا يجوز أن يقول لهم " عسى ربكم أن يرحمكم " لأنهم لا رحمة تلحقهم ، وغلبتهم على بيت المقدس وفلسطين ، سببها ضعف العرب والمسلمين ، وتفرقهم واشتغالهم بشهواتهم ومصالحهم الشخصية ، فلا يجوز أن نتملص من هذه الكارثة التي حلت بنا لضعفنا وتفرقنا وترك تعاليم ديننا ، ثم نلقى تبعاتها على أن القرآن أخبر بها . هذا لا يجوز أبداً والقرآن بريء مما ينسب إليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فيجب على العرب والمسلمين أن يجتهدوا في تخليص القدس من اليهود لعنهم الله ، وينبذوا من عقولهم وقلوبهم الأمانى الفارغة والتفسيرات المملصة بالقرآن زوراً وكذباً ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . (١) بعد هذه النقولات المباركة للشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق ، ومن خلال مدارسنا للآراء حول سورة الإسراء ، وللسورة نفسها ظهرت بعض الإشارات ، والعلامات التي نحب أن نذيل بها هذا المبحث .

١- رغم أن الإفسادتين قد مرتا كما ذكر سابقاً إلا أن السنة الربانية ظلت واضحة ثابتة في قوله تعالى : " وإن عدتم عدنا " أى إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى إرسال العباد .

٢- إن لفظ كلمة القرآن ورد في سورة الإسراء إحدى عشرة مرة ، وهي أكثر سورة فى

القرآن يذكر فيها إسم القرآن دلالة على أمور كثيرة منها :

- أنه يجب الإنتباه إلى سنة الله المتوالية فى الكون : (سَنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا). (٢)

^١ انظر : تفسير آية بني إسرائيل - عبد الله بن محمد بن الصديق - ص ١٦١ - بتصرف

^٢ سورة الإسراء - الآية (٧٧)

٣- رغم أن الإفسادتين قد مرتا إلا أن السنة القرآنية ظلت واضحة ثابتة في قوله تعالى: "وإن عدتم عدنا" أي إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى إرسال العباد .

وإن ذكر الإفسادتين ختمتا ببيان الطريق الواضح للقضاء على فساد بني إسرائيل ، فقد ذكر السياق القرآني قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ...) . (١)

ثم ذكر الإفسادة الأخيرة : (...فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) . (٢) ، ثم قال بعدها : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا) . (٣) ، ليدل ذلك كله أنه لا خلاص للأمة بدون مسيرة القرآن العظيم .

٤- لوحظ أن الشيخ عبد الله بن الصديق أغفل ذكر الآية الأخيرة في الإفسادتين (فإذا جاء وعد الآخرة) وقد تكلم عنها معظم المفسرين المعاصرين بأنها الأقرب إلى أن تكون الإفسادة التي نعيشها اليوم ، خاصة مع ما يصدقه الواقع من إجتماع بني إسرائيل ، بعد أن كانوا مشتتين في الأرض ، لا وطن لهم ولا هوية ، فقد جاءوا من بعيد من هناك من روسيا وأمريكا وأثيوبيا وأوربا ، وأمدوا بأموال " من أمريكا " وبنين " من روسيا " ، وصاروا أكثر نفيراً وقدرة على إستنفار الناس لمصالحهم ، والآية فيها إشارة واضحة لهذا الإجتماع الكبير لهم من جميع أقطار الأرض يقول الشيخ الشعراوي : وهذه الإفسادة هي ما نحن بصدده الآن، حيث سيجمع اليهود في وطن واحد ، ليتحقق وعد الله بالقضاء عليهم، وهل يستطيع المسلمون أن ينقضوا على اليهود ، وهم في شتيت الأرض ، لابد أن الحق أوحى إليهم بفكرة

^١ سورة الإسراء - الآية (٩)

^٢ سورة الإسراء - الآية (١٠٤)

^٣ سورة الإسراء - الآية (١٠٥)

التجمع في وطن قومي لهم كما يقولون ، حتى إذا أراد أخذهم لم يفلتوا ، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر . (١)

٥- وعليه فإننا ومن خلال هذا المبحث ، ورغم تقديرنا للشيخ العلامة بن الصديق فيما ذهب إليه في مرور الإفسادتين ، ووقوعهما ، إلا أننا نجل أقوال العلماء المعاصرين فيما ذهبوا إليه من إمكانية بقاء الإفساد الثانية ، ورأيهم ذو وجهة إذ ما أنطقهم إلا القرآن ، وسيرة القرآن ، وسنن القرآن ، ثم ما رأوه اليوم من تداعيات الواقع ، والتي لم تحدث منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة منذ نزول القرآن مثل هذه التداعيات الخطيرة ، وإن ما أشرنا إليه من أن السنة القرآنية تظل صالحة لكل زمان ومكان ، " وإن عدتم عدنا " ، " ولا تجد لسنتنا تحويلاً " ، ولا يمنع هذا الفهم للسياق القرآني من تكرار هذه السنة القرآنية ، والآية الربانية .

علاقة هذا المبحث بالإخراج وتداعياته واضحة ، ذلك أن فساد بني إسرائيل وإهلاكهم وإخراجهم في مراحل معينة من التاريخ وعودتهم وإمدادهم بالمال والبنين كان يقابله على الوجه الآخر تشريد ونزوح وتهجير وإخراج معاكس للمواطن الفلسطيني الأصلي ، الذي سُرد من أرضه وبيته وحديقته ، وسكن الصحراء والخيمة ، وأخرج هو وأولاده بلا مأوى ، ولا وطن ولا هوية ، وإن ما نلمسه اليوم من آثار مدمرة لهذه الهجرة اليهودية الكبيرة إلى فلسطين وما يسمونه أرض الميعاد نتج عنه اليوم أكبر مصائب التاريخ من هلاك شعب بأكمله ، وإخراجه من أرضه بغير الحق إلا أن يقول ربي الله ، ونظلم سورة الإسراء تمثل منهجاً ومنارة للتائبين والمشردين والمقهورين قال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) . (٢)

وعليه فليس لليهود حق في فلسطين ، وإن اجتمعوا اليوم فيها بغير حق ، بحبل من الله وحبل من الناس فلحكمة يريدنا الله ، ولربما تكون مذبحتهم الأخيرة بإذن الله .

^١ تفسير الشعراوي - الشيخ محمد متولى الشعراوي - ج ١٤ ص ٨٧٨٩

^٢ سورة الإسراء - الآية (١٠٦)

المبحث الثالث

الفكر الصهيوني القائم على الإستيطان والتهجير

المطلب الأول : الإشارة القرآنية إلى الإستيطان والتهجير

أشار القرآن إشارة محدودة إلى ذلك عند الحديث على يهود بني النضير ، واعتمادهم السكن داخل الحصون تحفظاً على نوعهم ، وأمر دينهم ، وهذه عادتهم ، قال الله تعالى :
(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). (١)

والمراد بالذين كفروا من أهل الكتاب ، بنو النضير ، وهم قبيلة من اليهود استوطنوا بلاد العرب ، هم وبنو عمهم قريظة ، ويهود خيبر ، وكلهم من ذرية هارون ، وهو كاهن الملة الإسرائيلية والكهانة ، حفظ أمور الديانة بيده ويد أعقابه .

وقصة استيطانهم بلاد العرب ، أن موسى عليه السلام كان أرسل طائفة من أسلافهم لقتال العماليق المجاورين للشام وأرض العرب ، فقصرُوا في قتالهم ، وتوفى موسى قريباً من ذلك فلما علموا بوفاة موسى رجعوا على أعقابهم إلى ديار إسرائيل في أريحا ، فقال لهم قومهم :
أنتم عصيتُم أمر موسى فلا تدخلوا بلادنا ، فخرجوا إلى جزيرة العرب ، وأقاموا لأنفسهم
قرى حول يثرب " المدينة " وبنو لأنفسهم حصوناً ، وقرية سموها الزهرة ، وصاروا أهل
زرع وأموال ، وكان فيهم أهل الثراء . (٢)

وكان اليهود يتخذون حصوناً يأوون إليها عندما يغزوهم العدو مثل حصون خيبر ، وكانت
لبني النضير ستة حصون أسماؤها : الكتيبة ، والوطيح ، والسلالم ، والنطاة ، والوخدة
وشق . (٣)

قال تعالى : (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ...) (٤) أي لا يقاتلونكم جيوشاً كشأن جيوش المتحالفين ، فإن ذلك قتال من لا

^١ سورة الحشر - الآية (٢)

^٢ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ٢٨ ص ٦٦ - بتصرف

^٣ المرجع السابق - ج ٦٩ ص ٦٩

^٤ سورة الحشر - الآية (١١)

يتبعون في قراهم فيكون النفي منصباً إلى هذا القيد ، أي لا يجتمعون على قتالكم اجتماع الجيوش ، أي لا يهاجمونكم ، ولكن يقاتلون قتال دفاع عن قراهم . لا يهاجمونكم وإن هاجمتموهم لا يبرزون إليكم ، ولكنهم يدافعونكم في قرى محصنة ، أو يقاتلونكم من وراء جدر ، أي في الحصون والمعازل ومن وراء الأسوار ، وهذا كناية عن مصيرهم إلى الهزيمة ، إذ ما حورب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، " محصنة " ممنوعة ممن يريد أخذها بأسوار أو خنادق . (١)

وقد كان الفلاحون العرب يسمون هذه المستوطنات " القلاع " ، وكانوا محقين تماماً في تسميتهم هذه ، فكل مستعمرة صممت لتكون بمنزلة قلعة حصينة ، قادرة على الدفاع عن نفسها ، وعن المستعمرات المجاورة . (٢)

المطلب الثاني : أسطورة الإستعمار الإستيطاني الغربي الصهيوني

الإستعمار الإستيطاني الإحلالي : هو إنتقال كتلة بشرية من مكانها وزمانها إلى مكان زمان آخر ، حيث تقوم الكتلة الواحدة بإبادة السكان الأصليين ، أو طردهم أو إستعبادهم . ومهما بلغ الإنسان من وحشية وحياء ، فهو لا يستطيع القيام بمثل هذه الأفعال إلا إذا كان هناك مبرر ، وهذه هي وظيفة الأسطورة ، ويتضح هذا الجانب في أسطورة الإستيطان الصهيونية التي تبدأ برفض تاريخ اليهود في المنفى " وضمن ذلك العالم الغربي " ، والصهيونية هي الحل النهائي الذي يطرحه الصهاينة والإستيطان في صهيون هو نقطة البداية والصفرة ، ومع هذا لا يكف الصهاينة عن الحديث عن دولتهم باعتبارها واحة الديمقراطية الغربية في الشرق ، وقاعدة الحضارة الغربية فيه .

ينكر المستوطنون البيض تاريخ السكان الأصليين في الأرض التي سيهاجرون إليها ، ويستوطنون فيها ، فهي عادة أرض عذراء بلا تاريخ غير مأهولة بالبشر . ومرة أخرى نجد أسطورة الاستيطان الصهيونية تعبر عن هذا بشكل متبلور ، أو يزعم الصهاينة أن فلسطين هي إسرائيل أو صهيون ، وأن تاريخها قد توقف تماماً برحيل اليهود عنها ، ومن يستأنف هذا التاريخ إلا بعودتهم إليها .

لا تؤكد أسطورة الاستيطان نهاية التاريخ وحسب ، وأنها نهاية الجغرافيا كذلك ، فالأرض التي يستوطن فيها الإنسان الأبيض هي أرض وحسب ، ليس لها حدود واضحة ، ولذا فهي تتسع حسب قدرة الإنسان الأبيض الذاتية كلما زاد عدد المستوطنين ، وازدادوا قوة اتسعت

^١ تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج ٢٨ ص ١٠٤ - بتصرف

^٢ موسوعة اليهود واليهودية - د. عبد الوهاب المسيري - ج ٧ ص ٦٣

الحدود ، وأسطورة الاستيطان الصهيونية هي أسطورة التوسع بالدرجة الأولى ، فأرض إسرائيل لا ليس لها حدود واضحة ، فالعهد القديم يحتوى أكثر من خريطة ، والمستوطنون الصهاينة أطلقوا على أنفسهم مصطلح "حالوشيم" أى رواد .

إذا حدث أن كانت الأرض العذراء مأهولة بالسكان ، فإن أسطورة الإستيطان الغربية تحاول تهميشهم ، فهم قليلوا العدد ، متخلفون يفتقرون إلى الفنون والعلوم والمهارات المختلفة ، يهملون الثروات الطبيعية الكامنة فى الأرض ، وهم عادة مجرد رحالة لا يستقرون فى أرض ما ، وهم شعب لا تاريخ لهم .

وأسطورة الإستيطان الصهيونية تنظر للوجود الفلسطيني فى فلسطين باعتباره أمراً عرضياً هامشياً ، والإعتذارات الصهيونية مليئة بالحديث عن فلسطين ، باعتبارها أرض مهجورة مهملة ، وتحاول الحركة الصهيونية وضع حل نهائي للمشكلة الديموغرافية فقامت أحياناً بالإبادة " دير ياسين ، كفر قاسم " ، ولكن الطرد كان الشكل الأساسي .

تم تبرير الرؤى الإستيطانية الإحلالية عن طريق القصص الإنجيلية ، وهنا يحدث تلاق كامل بين أسطورة الإستيطان الغربية العامة ، وأسطورة الإستيطان الصهيونية . (١)

المطلب الثالث : سياسة الإبعاد الصهيونية والقمع

قال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (٢) وقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٣)

لجأت إسرائيل منذ إحتلالها للأراضي العربية عام ١٩٦٧ إلى سن قوانين جديدة ، وإتخاذ إجراءات وقرارات مدرسة ، وتطبيق سياسات متنوعة ، بهدف تنفيذ مخططات وبرامج إستراتيجية ، تخدم مصالحها السياسية والعسكرية فى الأراضي العربية المحتلة من جهة ، وجهة أخرى مواجهة أعمال المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وشل فاعليتها ، وضرب كل أشكال النضال ، وتحطيم إرادة الجماهير ، وذلك من خلال إتباع وتطبيق أساليب وممارسات قمعية ضد الفلسطينيين ، وإحدى هذه الممارسات والأساليب الإسرائيلية هي سياسة الإبعاد والتهجير التى تجاوزت فى بشاعتها وقسوتها كل المعايير الأخلاقية ، وكل الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية التى تحمى الإنسان . (٤)

^١ موسوعة اليهود واليهودية - د. عبد الوهاب المسيري - ج ٧ ص ٥٩

^٢ سورة البقرة- الآية (٢١٧)

^٣ سورة المائدة - الآية (٨٢)

^٤ المبعدون الفلسطينيون خلال الإنتفاضة - رشاد المدني وزياد أبو صالح - ص ١ منشورات رابطة الصحفيين العرب فى الأراضي المحتلة .

- شرعت سلطات الإحتلال الإسرائيلي منذ بداية إحتلالها لما تبقى من فلسطين ، وإحتلالها لبعض الأراضي العربية سنة ١٩٦٧ فى تطبيق سياستها الرامية إلى تفريغ الأرض من السكان ، بغية إضفاء الصبغة اليهودية بشكل مطلق على فلسطين ، ولكي ينسجم الوضع والإدعاء الصهيوني بأن فلسطين هى أرض بلا شعب ، وأحد أوجه هذه السياسة كان طرد المواطنين العرب من الأراضي العربية المحتلة أو نقلهم من أماكن سكنهم فى نظير أفعال هم غير مسئولين عنها ، وشمل ذلك الطرد المثقفين ، وقيادي النقابات والمؤسسات الإجتماعية والدينية . (١)

- بدأ إستيطان اليهود للضفة الغربية عند بداية الإحتلال ، وإتبعته الحكومات المختلفة فى إسرائيل سياسات إستيطان مختلفة ، وشهدت الأهداف التى توختها من وراء الإستيطان ، ومن وراء سياساتها نحو الضفة الغربية ، تغييرات كثيرة لكن الإستيطان إستمر طوال الوقت ، على الرغم من أن أساليب الإستيلاء على الأرض تغيرت ، وتكيفت للسياسات والحقائق المتغيرة ، وعلى سبيل المثال ، فإنه عندما تكثف العمل على الإستيطان فى عهد حكومة الليكود ، جرى إعتقاد وسائل جديدة للإستيلاء عليه من الأرض ، وقد حاولت الحكومات الإسرائيلية المتتالية الإستيلاء على ما يمكن الإستيلاء عليه من الأرض بأساليب قانونية إبتدعها خلال أعوام الإحتلال السبعة عشر . (٢)

- إن إقامة السلطات الإسرائيلية لهذه المستوطنات ، ينشابه فى حقيقة الأمر مع ما قامت به الحكومة النازية من إنشاء المستوطنات " الألمانية " أو " الآرية " فى الأراضي المحتلة . ومن المسلم به دولياً أن هذه المستوطنات قد أقيمت بغرض إستبدال سكان البلاد الأصليين ، وتعتبر بناء على ذلك مخالفة للقانون الدولي ، تقرر المادة ١٥٨ من إتفاقية جنيف الخاصة بالمدينين بأن الإتهار بإنهاء الإتفاقية لا يصبح نافذ المفعول " إلا بعد أن يتم السلام " ، وعلى ذلك يمكن الإستنتاج بإطمئنان بأن إحتلال الأراضي العربية ، وتغيير سند ملكية هذه المناطق المحتلة ، يعتبر إنتهاكاً من إسرائيل للقانون الدولي .

يهدف المخطط الصهيوني " شأنه شأن أي مشروع إستيطاني إحتلالي " إلى طرد وترحيل السكان الأصليين الذين يشغلون الأرض التى سيقام فيها التجمع الصهيوني ، وهذا أمر حتمي حتى يتسنى إقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أية شوائب عرقية أو حضارية أخرى ، ولذا طرح شعار " أرض بلا شعب " ، وهو ما يجعل طرد الفلسطينيين أمراً حتمياً نابعاً من منطق

^١ المبعودون الفلسطينيون - غسان عبد الله - مؤسسة الثقافة الفلسطينية - ص ١٠

^٢ قانون المحتل إسرائيل والضفة الغربية - رجا شحادة - ص ٢٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية

الصهيونية الداخلي ، وقد كتب هرتزل في يومياته عن الطرق والوسائل المختلفة لنزع ملكية الفقراء ونقلهم .

كما نجد أن إسرائيل زانجويل ، المفكر الصهيوني البريطاني ، يؤكد في كتاباته الأولى ضرورة طرد العرب ، وترحيلهم ، فيقول : " يجب ألا يُسمح للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني ، ولذا لابد من إقناعهم بالهجرة الجماعية ... أليست لهم بلاد العرب كلها ليس ثمة من سبب خاص يحمل العرب عغلى التشبث بهذه الكيلو مترات القليلة فهم بدو رُحَّل يطوون خيامهم ، وينسلون في صمت ، وينتقلون من مكان لآخر .

وذكر جوزيف وايتز مسئول الإستهيطان في الوكالة اليهودية في عدد ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٦٧ من جريدة دافار أنه هو وغيره من الزعماء الصهاينة ، قد توصلوا إلى نتيجة مفادها : أنه لا يوجد مكان لكلا الشعبين " العربي واليهودي " في هذا البلد ، وأن تحقيق الأهداف الصهيونية يتطلب تفرغ فلسطين ، أو جزء منها من سكانها ، وأنه ينبغي لذلك نقل العرب ، كل العرب ، إلى الدول المجاورة ، وبعد إتمام عملية نقل السكان هذه ، ستمكن فلسطين من إستيعاب الملايين من اليهود .

وكان جابوتنسكي بطبيعة الحال من مؤيدي هذا المخطط ويمكن القول بأن جابوتنسكي " متطرف " ولكن سنجد أن وايزمان كان من المطالبين بهذا

ثمة رؤية إحلالية صهيونية واضحة لها منطقتها الواضح الحتمي ، تحولت إلى خطة لحل مشكلة الصهاينة الديموجرافية ، وهذه المشكلة عادة ما يطرح حل نهائي جذري لحلها ، قد تتأرجح بين حد أقصى " الترانسفير الكامل أو الإبادة الجسدية الكاملة " ، أو حد أدنى ، خلق أغلبية من العنصر السكاني الجديد .

إن إفراغ فلسطين من سكانها هو هدف صهيوني ، وضرورة يحتمها منطق الأسطورة ، والعنف الإدراكي الصهيوني ، ولكي يحقق الصهاينة مخططهم تبنيوا تكتيكات مختلفة ، فلم يكن العنف المسلح الوسيلة الوحيدة ، وإنما إستخدموا وسائل أخرى أيضاً ومن المؤكد أن العنف المسلح والمكر هما الأدوات اللتان إستخدمهما الصهاينة . (١)

" وكان البروفيسور موشيه شارون المستشار السابق للشئون العربية لرئيس الحكومة بيغن ، قد كشف في مقابلة مع صحيفة الجيروزليم بوست في ٢ / ٣ / ١٩٧٩ م ، بأن هناك خطة لدى العسكريين في إسرائيل ، بإستغلال حالة حرب قادمة لترحيل العرب من البلاد ، ولا زال الشك في هذه النوايا ، أكد الجنرال إحتياط أهارون ياريف رئيس معهد ديان للعلوم

^١ الصهيونية والعنف من بداية الإستهيطان إلى إنتفاضة الأقصى - د. عبد الوهاب المسيري - ص ٢٢٥ - بتصرف

الإستراتيجية وجود هذه الخطة ، وأضاف أن هناك وسائل معدة لطرد ٧٠٠ - ٨٠٠ ألف فلسطيني من البلاد في حالة إندلاع حرب مع العرب ، يجاهرون بهذه الأطروحات الغيبية في نفس الوقت " .

الذين يطالبون فيه الإتحاد السوفيتي باحترام حقوق الإنسان ؟ ويؤكدون كما أكد رابين وديان في مذكراتهم " بطاقة خدمة " و " أحجار الزاوية " ، أن الحركة الصهيونية انتهجت في عام النكبة ١٩٤٨ تهجيراً منهجياً للعرب في أنحاء مختلفة من البلاد ، كاللد والرملة والمجدل وعسقلان وغيرها ، يؤكدون بأن منهج الترحيل الجماعي يقع ويحتل مكانة بارزة في صلب الفكر الصهيوني الذي يتطور ، ويحافظ على ديمومته إلا بترحيل الشعب الفلسطيني من " الأرض التي كانت بلا شعب لشعب لم يكن يملك أرضاً وكأن هذا الترحيل الشرعي " ، جاء ليؤكد شرعية الترحيل لإعادة الحق إلى نصابه . (١)

يورد المؤلف نص الرسالة التي بعث بها أحد أبرز أعضاء الوكالة اليهودية ، والمدعو فيشل روتنشترايخ إلى إجتماع الوكالة اليهودية الذي عقد في حزيران عام ١٩٣٨ ، والتي جاء فيها: علينا أن نؤيد مقترحات لجنة بئل ، التي ترى أن الترحيل هو الحل الوحيد لهذه المشكلة ، أي مشكلة الأقلية الفلسطينية ... ويؤكد الكاتب في هذا الفصل على أن الهجرة الجماعية للشعب الفلسطيني ذكر الكاتب على لسان يوسف فانيس مدير دائرة الأراضي التابعة للصندوق القومي اليهودي آنذاك ، الصعوبات التي كانت تعترض المؤسسات اليهودية في طرد الفلاحين الفلسطينيين ، على الرغم من عرض تعويضات مالية مغرية عليهم ، مما يدل على مدى تمسك الفلاح بأرضه ووطنه ، وبأن هجرته كانت في أعقاب تعرضه للمجازر المروعة.

تناول بالبحث في الفصل الرابع ، الإجراءات والخطوات التي أعلنت عنها إسرائيل في هذا الخصوص ، حيث أكد الباحث أن الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٤٩ قد شهدت عملية تدمير منظمة للقرى والمدن العربية ، حيث تم تدمير ٣٧٠ قرية عربية تدميراً نهائياً ، وأصبح من غير الممكن العودة إليها ، وإصدار الحكومة الإسرائيلية لعدد من القوانين التي تجيز لها السيطرة ، وتملك أموال وممتلكات اللاجئين بحجة أنها أملاك غائبين ، وبناء المستوطنات الإسرائيلية على أنقاض القرى والمدن العربية المدمرة . فقد ذكر الباحث بأنه حتى ١٩٤٧/١١/٢٩ بلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين ٢٧٩ مستوطنة ، وارتفع عددها في نهاية عام ١٩٤٩ إلى ٥٠٠ مستوطنة ، وقد بلغ عدد اليهود الذين إستوطنوا البيوت

^١ الترانسفير - جذور مخطط الإبادة والترحيل والتهجير - غانم حبيب الله - مجلة الأسوار - ربيع ١٩٨٨ ص ١١٢

الفلسطينية المهجورة ، والتي سلمت من يد الدمار ١٩٠ ألف مستوطن وذلك حتى نيسان ١٩٤٩ . (١)

خبراء الترانسفير والإستيطان :

من هنا نستطيع أن نشير إلى آراء بعض الخبراء الإسرائيليين على إختلاف إختصاصاتهم ، ومواقعهم فى المسألة المركبة ، والمتراوحة بين الترانسفير والإستيطان ، لعلها توفر عينة واضحة للطروحات النظرية ، وتطبيقاتها العملية التى قدمتها العقلية الصهيونية .

يسرائيل زنجفيل أديب يهودي إنجليزي حظي بوضع عالمي ، يفصل كتابه " أطفال الجيتو " الذى ألفه عام ١٨٩٢ ، وكان من أوائل مساعدي هرتزل ، زار فلسطين عام ١٨٩٧ ، ويبدو أن الوجود العربي فى هذه الأرض ، قد ولد لديه إنطباعاً ما ، عبر عنه : " إن أرض إسرائيل ، أضيق من أن تستوعب شعبين ، لن يعيش العرب واليهود فى سلام " ، وقد توصل إلى نتيجة مفادها ، أنه لا مناص من إخلاء فلسطين ، وإجلاء العرب ، وترحيلهم بالقوة إلى الدولة المجاورة ثم عبر عنها فى إحدى خطبه فى نيويورك عام ١٩٠٤ بقوله : " علينا أن نكون على إستعداد لطردهم - أى العرب - من الأرض ، بقوة السيف مثلما فعل أجدادنا ، ضد القبائل التى عاشت فيها .

يقول نحمان سيركين " أبو الصهيونية الإشتراكية " على أرض إسرائيل ذات العدد القليل من السكان أن تصبح فارغة من أجل اليهود .

أما آدموند روتشيلد المعروف بأبي الإستيطان ، فكان على إستعداد لدفع المال إلى العرب ، كي يشتروا لأنفسهم أرضاً أخرى ، بشرط أن يخرجوا من أرض إسرائيل .

. ليئو موتسكين : وهو من أوائل الذين إنضموا إلى هرتزل ، فقد إقترح صراحة فى عام

١٩١٤ من أجل إيجاد حل : أن يعمل اليهود والعرب فى صورة مجموعتين قوميتين ،

لتحقيق العمق المتساوي بواسطة إتفاقية سياسية حول نقل السكان من منطقة ، وقد إتخذ بعد

سنوات أسلوباً جديداً يسير فى إتجاهين متضافرين :

- إستيطان يهودي فى فلسطين

- توطين الفلسطينيين فى مناطق خارج إسرائيل

^١ كتاب بني موريس طرد الفلسطينيين ولادة مشكلة اللاجئين - د. عمران أبو صبيح - مجلة صامد عدد ٩٢ ص

. **أهارون أهرنسون** : من رواد العلوم فى إسرائيل ، وقد أطلق تعبيراً يمكن أن نسميه النقل بالإقناع ، والذي طرح على بن جوريون أثناء زيارته لواشنطن عام ١٩٤١ فكرة رحيل العرب الفلسطينيين إلى العراق .

. **ديفيد بن غوريون** : فى مطلع عام ١٩٤٨ كتب يقول : " عندما نقوم بهجوم ، يجب أن نكون مستعدين لتوجيه الضربة القاضية ، أى تدمير الموقع السكاني ، أو طرد السكان كي نأخذ مكانهم " .

المعروف أن بن جوريون هو الأب الروحي لدولة الإحتلال الصهيوني ، وهو أستاذ محترف فى الترانسفير ، ويؤكد ميخائيل بارزوهار عضو الكنيست ، وكاتب مذكرات بن جوريون بأن الأخير أمر الجيش الإسرائيلي بترحيل العرب من مدنهم وقراهم ، وهدم القرى المهجورة لمنع سكانها من العودة إليها ، وأنه قد شكلت لجنة لترحيل العرب تعمل بإشراف بن جوريون .

. **شلومو جازيت** : مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الأسبق ، حيث قال : أن زيادة التأييد والحماس للترانسفير هي نتيجة أمرين مهمين ، لهما تأثير على الرأي العام :-

الأول : البروز الواضح لخطر المشكلة الديموغرافية العربية / اليهودية .

الثاني : صحوة مواطني الأرض المحتلة ، وإنتفاضتهم على وهم إمكان التعايش تحت ظل الحكم الأجنبي .

. **إسحق ميرتس** : وزير الإستيطان الصهيوني الأسبق صرح بأنه " يجب توجيه المهاجرين اليهود إلى الجليل لتهوده ، وإلى النقب لتوطينه " .

. **إسحق رابين** : رئيس الوزراء الصهيوني ، أكد أن طرد الفلسطينيين ، هو السلاح المفيد جداً ولنبدأ بالمحرضين على الأعمال التخريبية .

. **رخبعام زئيفي** : زعيم حزب موليدت يصف نفسه بلقب غاندي ، وهو مشهور بتنظيره لسياسة الترانسفير " إن أي تشكيك من جانبنا فى ضرورة ترحيل كهذا ، وأى شك عندنا فى إمكان تحقيقه ، وأى تردد من قبلنا فى صوابه ، قد يجعلنا نخسر فرصة تاريخية " (١)

كانت سياسة الترحيل / الطرد التى إنتهجتها الهاغاناة ، والجيش الإسرائيلي فى حرب ١٩٤٨ مبنية على مفاهيم ومخططات " لا على خطة رئيسية مكتوبة ، وذلك لأسباب يمكن تفهمها "

^١ طرد الفلسطينيين - مفهوم الترانسفير فى الفكرة والتخطيط الصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨ - نور الدين مصالحة ص ٢٠٤

وإستمدت هذه السياسة وجودها من المفترضات ، والمبادئ الأساسية الصهيونية الهادفة إلى إقامة دولة يهودية حصرية ذات عنصر واحد ، وتأثرت بالعوامل الأيديولوجية والسياسية العسكرية كما بالإعتبارات العملية ، بما فى ذلك الريف والفلاحين العرب كان ينظر إليه " ونقد أيضاً بوسائل شتى " كهدف يتمتع بالأولوية على ترحيل سكان المدن والسبب فى الجوهر ، هو تماشى ذلك الهدف مع الحملة الصهيونية الحاسمة للإستيلاء على الأرض العربية ، وتوزيعها على المستوطنات اليهودية والمهاجرين الجدد . (١)

وقد وصلت إسرائيل الإبعاد فى الفترة من ١٩٦٧ وحتى عملية إبعاد " مرج الزهور " وقد بلغ عدد المبعدين " ٨٨٩ . ١٢٠ . ١ " مليون ومائة وعشرين ألف وثمانمائة وتسع وثمانين لاجئاً عام ١٩٩٤م

أهداف الإستيطان الصهيوني :

- ١- يهدف الإستيطان الصهيوني إلى أن تحل الكتلة البشرية " الصهيونية " الواحدة محل السكان الأصليين.
 - ٢- حددت منظمة الهاغاناة جوهر الإستراتيجية الإستيطانية عندما أكدت سنة ١٩٤٣ أن الإستيطان ليس هدفاً فى حد ذاته ، وإنما هو وسيلة الإستيلاء السياسى على البلد " أى فلسطين".
 - ٣- الإستيطان الصهيوني ليس مشروعاً إقتصادياً ، وإنما مشروع عسكري إستراتيجي .
 - ٤- الإستيطان الصهيوني إستيطان جماعي عسكري بسبب الهاجس الأمنى .
 - ٥- يرتبط إنتشار المستوطنات بحركة الهجرة اليهودية ، وهو ما جعل إستراتيجية الإستيطان تتخذ حظاً متوازية التى قطعها المشروع الصهيوني لجذب المهاجرين اليهود .
 - ٦- المؤسسات الإستيطانية الصهيونية تقف على رأسها بدلاً من أن تقف على قدميها " ويمكن أن نسميها الهرم الإستيطاني الصهيوني المقلوب "
- ويعد عام ١٩٦٧ لحظة فارقة فى تاريخ الإستعمار الإستيطاني الصهيوني فى فلسطين ، إذ ضمت الدولة الصهيونية مساحات شاسعة من الأراضي ، وقررت الإحتفاظ بها ، وتأسيس المستوطنات فيها ، ومن ثم تحول الإستعمار الإستيطاني الصهيوني من إستعمار إستيطاني إحلالي إلى إستعمار إستيطاني بني على فكرة المعازل البشرية .
- ويمكن تحديد أهداف الإستيطان الصهيوني فى الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ بما يلى :

^١ موسوعة اليهود واليهودية - د. عبد الوهاب المسيري - ج ٧ ص ٧٥

- ١- تهيئة الفرصة لوجود عسكري إسرائيلي .
- ٢- أن تكون المستوطنات رأس حجر لكسب مزيد من الأرض
- ٣- خلق الحقائق الإستيطانية الجديدة فى الأراضي المحتلة ، بحيث تصبح العودة إلى حدود عام ١٩٦٧ مستحيلة .
- ٤- إيجاد القاعدة البشرية من المهاجرين اليهود من مختلف أنحاء العالم .
- ٥- قرر الصهاينة اللجوء إلى أسلوب تأسيس المعازل بهدف قطع التواصل بين مناطق سكنى الفلسطينيين ، بحيث ينقطع الإستمرار بين المراكز السكانية الفلسطينية الأساسية . (١)

^١ موسوعة اليهود واليهودية - د. عبد الوهاب المسيري - ج ٧ ص ٦٠ - بتصرف

المبحث الرابع

الرؤية التوراتية لليهود في مسألة الإخراج

المطلب الأول : نظرة في نصوص التوراة

يعتقد المسلمون أن الله أنزل على بني إسرائيل كتاباً يتضمن الشرائع والعبادات ، وهو التوراة ، كما اشتملت التوراة على بيان من الأحكام والأخلاق ، قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...). (١) ، وقد رغبهم ربنا في إقامة التوراة ، وإلتزام أحكامها ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...). (٢) ، وقال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...). (٣)

لكن اليهود كفروا بآيات الله ، وحرفوا تعاليم التوراة ، وغيروا وبدلوا في دين الله ، وهذا ما نص عليه القرآن ، قال تعالى : (مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا). (٤) وقال تعالى: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (٥) ، ولقد تعدى اليهود حدود الشرع ، والأدب في معرفتهم ، وتعاملهم مع الله ، ومع أنبيائه وكتبه ، وقد ذكر القرآن صوراً من ذلك منها ، قول الله تعالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ). (٦)

ولذلك يعتقد المسلمون أن التوراة التي ينتسب إليها اليهود اليوم أصابها التخريف والتحريف ، وأنها غيرت وبدلت ، وكتبت بأيدي المجرمين ، قال تعالى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ). (٧)

^١ سورة المائدة - الآية (٤٤)

^٢ سورة المائدة - الآية (٦٦)

^٣ سورة المائدة - الآية (٦٨)

^٤ سورة النساء - الآية (٤٦)

^٥ سورة البقرة - الآية (٧٥)

^٦ سورة آل عمران - الآية (١٨١)

^٧ سورة البقرة - الآية (٧٩)

ولم تكن كلمة تورا ذات معنى محدد في الأصل ، إذ كانت تستخدم بمعنى وصايا أو شريعة ، أو علم أو أوامر أو تعاليم ، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل ، ثم أصبحت تشير إلى النباتوخ ، أو أسفار موسى الخمسة "مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد" ، ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله ، مقابل تغييرات الحاخامات ، ويشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة. (١)

وتحتل التوراة بمعنيها الضيق والواسع ، مكاناً مركزياً في الوجدان الديني لليهود ، فهي أقدم من هذا العالم ، بها ولها خلق الإله الدنيا ، وهي عروس الرب التي تجلس إلى جواره على العرش ، والتي ستزف إلى الماشيح حينما يأتي إلى هذا العالم ، ويحتفظ المعبد اليهودي بـ " تاج التوراة " ، وكان الأطفال اليهود يتعلمون في الجيتو ، أن التوراة هي الشيء الوحيد الباقي ، أما العالم فزائل ، ولذا يجب على اليهودي أن يتقن كل وقته في دراستها ، وأن هذا واجب ديني نص عليه العهد القديم . (٢)

ويستخدم اليهود مصطلحات العهد القديم ، والكتب المقدسة والتوراة وتناخ ، وهي مسيحيات تشير إلى كتبهم المقدسة ، ويشمل العهد القديم على الأقسام التالية :
أولاً: أسفار موسى الخمسة سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية.

ثانياً: أسفار الأنبياء

ثالثاً: كتب الحكمة والأناشيد . (٣)

وبمطالعة الكتب المقدسة لليهود ، يظهر تأثر الحركة اليهودية بمنطقاتها الدينية في فهمها ، وممارستها لقضية الإخراج والإبعاد ، حيث ارتبطت عقيدة اليهود ارتباطاً وثيقاً بالأرض وتملكها ، وإبعاد الآخرين عنها ، وما رأيانه ، وسجلناه في المبحث السابق ، يدل على المنطقات ، والدوافع العقائدية لدى اليهود وزعمائهم ، في تنفيذ برامج الأبعاد والطردهم والتهجير ، إلا أن النصوص التي يعتمد عليها اليهود في مسألة الإخراج ، تثبت أنها تتعارض مع طبيعة تعاليم الإلهية القائمة على العدل والمساواة ، واحترام الآخرين ، وعدم الاعتداء عليهم ، حيث قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . (٤)

^١ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - د . عبد الوهاب المسيري - ج ٥ ص ٨٣

^٢ المرجع السابق - ج ٥ ص ٨٣ - بتصرف

^٣ المرجع السابق - ج ٥ ص ٨٤ - بتصرف

^٤ سورة النحل - الآية (٩٠)

ولقد لاحظنا في المبحث السابق أن الأسطورة الدينية ، التي اعتمدها اليهود على إيادة الشعوب الأخرى ، واستئصال جذورها ، واستيطان أراضيها ، حتى يبقى " شعب الله المختار" ، نقياً صافياً ، دون أي تعكير لهذا الصفاء والنقاء ، وإليك بعض النصوص من هذه الكتب المقدسة تلك على ذلك.

المطلب الثاني : الترانسفير والإستيطان فى الفكر الدينى اليهودى

حيث يذكر الباحث محمد عبد الحافظ فى كتابه جدلية الترانسفير ، المعتقد الذى بنى عليه اليهود جريمة الإبعاد فى حق الآخرين ، من خلال النصوص التوراتية ، والكتب المقدسة ، ولأهمية النقل ننقله بطوله بقوله : (وتسد التوراة هذا الإختيار إلى إعجاب الله بقوة يعقوب ، ولذلك تحدد لليهود مضمون إمتيازهم على الآخرين ، بأنهم أقوى من غيرهم ، ذلك لأن الله قد اختارهم ، ووسم يعقوب - جدهم الأعلى - باسم " إسرائيل " - وهم بنوه - على إثر مصارعة ، قامت بين يعقوب من جهة - وهو فى طريقه إلى أرض كنعان - والله نفسه ، من جهة ثانية ، ولم يهزم يعقوب ، فأعجب به الله ، وباركه ، واختاره . (١)

كما حذرهم الله من الإختلاط بالشعوب الأخرى ، حتى لا تلوث نقاءه : " إني أدفع إلى يديك سكان الأرض ، فتطردهم من أمامك ، لا تقطع معهم ، أو مع آلهتهم عهداً ، لا يسكنوا فى أرضك ، لئلا يجعلوك تخطيء " . (٢)

ولم يكتف كهنة اليهود عن تغذية تلك الأساطير القبلية ، المؤسسة للسياسة الصهيونية ، إلى أن أصبحت اليهودية ، بالنسبة إلى المتدينين من اليهود ، ذات مضمون عنصرى مقدس ، بحيث أضحت القيم اليهودية ذات وجهتين ، فبينما تفرض على اليهود إلتزامات وثيقة ، بالتضامن الإجتماعى فى ما بينهم ، تبيح لهم أن يعاملوا الشعوب الأخرى بدون قيد أخلاقى ، أو اجتماعى .

قال حكماء صهيون : " اضربوهم وهم يضحكون ، اسرقوهم وهم لاهون ، قيدوا أرجلهم وأنتم راجعون ، ادخلوا بيوتهم ، واهدموها ، تسللوا إلى قلوبهم ومزقوها ، أما ياهو الإله الخاص ببني إسرائيل ، فقد وعد شعبه المختار ، قائلاً : " ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى حلف لأبائك ، إبراهيم وإسحق ويعقوب ، أن أعطيك إلى مدن عظيمة لم تبناها ،

^١ سفر التكوين - إصحاح ٢٢ - عدد ٢٥ - ٢٩

^٢ سفر الخروج - إصحاح ٢٣ - عدد ٢٢ - ٢٣

وبيوت مملوءة كل خير ، لم تملأها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها" (١)

ويقول : " بنو الغريب بينون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأنى بغضبي ضربتك ، وبرضوانى رحمتك ، وتفتح أبوابك دائماً ، ليلاً ونهاراً ولا تغلق ، ليؤتى إليك بغنى الأمم ، وتقاد ملوكهم ، لأن الأمة التى لا تخدمك تبيد ، وخراباً تخرب الأمم ، ويكون بنو الرب حراثيكم وكراميكم ، أما أنتم كهنة الرب ، تسمون خدام إلهنا ، تأكلون ثروة الأمم ، لقد لاحت لبني عابر " نسبة إلى عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح وعلى مجدهم تتأرون " (٢) .
فرصة للخروج من مصر التى كانوا قد دخلوها يستجدون القوات ، بعد جذب حل بكنعان ، فى عهد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، برفقة أبنائه المعروفين بالأسباط ، وكانت مصر حينئذ تثور فيها الفتن ، التى تشغلها ، وتصرفها عن العصابات العبرية الهامشية ، وعن شؤون امبراطورية عن العصابات العبرية الهامشية ، وعن شؤون امبراطوريتها فى الخارج ، مما يخفف من هيمنتها بعض الشيء على مستعمراتها الآسيوية ، وفى الوقت نفسه ، إنشغل أهل الرافدين فى صراعات ، إنقسمت فيها البلاد على نفسها ، مما أعطى الضوء الأخضر لبني عابر ، للهروب من مصر إلى كنعان مرة أخرى .

فى رحلة الخروج ، أو الهروب هذه ، وفى ضوء إنشغال اليد العليا عنه ، بشواغلها الخاصة فى الداخل ، يسجل اليهود فى توراتهم ، أبشع صور الوحشية ، فيأتون على كل ما يقابلهم فى الطريق ذبحاً وتحريقاً ، ولم يسلم من أذاه الإنسان ، أو الحيوان ، أو حتى نبات الأرض ، بعد أن قررته لهم الشرعية الربانية ، وأباحته إياحة مطلقة ، وأسفر الرب العبراني ، آنذاك عن هويته بوضوح ، فأعلن أنه من الآن : الرب رجل حرب . (٣)

وأن رائحة دخان المحروقات ، أحب المشهيات إلى نفسه الملتائة إلى الوقود ، رائحة سرور الرب . (٤)

ولم يكتف بذلك ، بل قرر أن يمارس بنفسه لذة الذبح والإحراق ، فترك عرشه السماوى ، وهبط يتخبط كرهاً وفضاظاً ، ليمارس رغباته . " أجعل مسكنى فى وسطكم ، وأكون لك إلهاً وأنتم تكونون لى شعباً " (٥)

^١ سفر التثنية - إصحاح ٦ - عدد ١٠ - ١١

^٢ أشعياء - إصحاح ٦١ - عدد ٥ - ٦

^٣ سفر الخروج - إصحاح ١٥ - عدد ٣

^٤ سفر اللاويين - الأصحاح ١ ، ٩ ، ١٣ ، ١٧ ، إلخ

^٥ سفر اللاويين - إصحاح ٢٦ - عدد ١١

وأخذ ينفث أوامره المتكررة : " احرقوا جميع مدنهم ، بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار . (١)
اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة . (٢) احرقوا حتى بنيه وبناته بالنار . (٣)
فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف ، وتحرقها بكل ما فيها ، مع بهائمها بحد
السيف ، تجمع إلى وسط ساحتها ، وتحرق بالنار المدينة ، وكل أمتعتها كاملة للحرب
إلهك . (٤)

أما شريعة الحرب وفق الخطة المثلى ، التي كتبها رب اليهود بإصبعه على الألواح ، والتي
نفذها يشوع خليفة موسى الأمين ، وذراعه اليمين ، بدقة وإخلاص تحسده عليها الضواري
كواسر الوحوش ، فهي مرصودة في أمر الرب وتوجيهاته ، " حين تقترب من مدينة لكى
تحاربها ، فاستدعها للصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود
فيها يكون للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك ، وعملت معك حرباً ، فحاصرها وإذا
دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال
والبهائم ، وكل ما فى المدينة ، فكل غنيمتها تغنمك لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك ، التي
أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً "

أما مدن كنعان الفلسطينية ، فلها فى موعظة الرب شرعة أخرى ، فهو يأمر قائلاً : "
وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تسبق منها نسمة ما . (٥)
ولما كانت نصوص كثيرة من التوراة محرقة فى التلمود - كما يؤكد د.إسرائيل
شاحاك " المعادى للصهيونية " بفعل الأبحار اليهود ، ومعاول هدمهم ، فليس من الغرابة أن
نجد فى هذه النصوص ، حضوراً مميزاً لفكرة الترانسفير ، والترحيل الصهيوني للعرب عن
أرض الميعاد التي يستلزم وجودها - صهيونياً - ضرورة النقاء بالعربي والحضارة والرقي
ووحداية شعب الله المختار أى اليهود .

فى هذا الصدد ، يؤكد شاحاك ، بأن " فى الكتابات اليهودية المقدسة ، وصايا كثيرة بإبادة
غير اليهود على " أرض إسرائيل " ، وهناك مقاطع نادرة ، وتخفف من فظاظة إبادة الجنس
الكاملة ، على نحو ما لاحظنا فى نصوص توراتية سابقة ، بينما تطرح فكرة الترانسفير

^١ سفر اللاويين - إصحاح ٣١ - عدد ١٠

^٢ سفر اللاويين - إصحاح ٣١ - عدد ١٧

^٣ سفر التثنية - إصحاح ١٢ - عدد ٣١

^٤ سفر التثنية - إصحاح ١٣ - عدد ١٥-١٦

^٥ انظر - جدلية الترانسفير والاستيطان فى المشروع الصهيونى - محمد عبد الحافظ - مجلة صامد عدد ١١١ ص ١٤٤ -

"باعتبارها بديلاً أقل وحدة ، يكاد يكون إنسانياً !! بالنسبة إلى خبراء الترانسفير ، وقادة الكيان الصهيوني " .

يضيف شاحاك بأنه يرى " يوشع " ، فى مقطع مشهور من التلمود ، قبل دخوله إلى فلسطين ، التى سيفتحها بوجه إنذاراً إلى السكان ؛ ف" إما أن تخضعوا ، وتقبلوا بالعبودية ، وإما أن تصبحوا خطابين وسقائين ، كما حدث لأهل جعبون "يشوع ، الأصحاح ٩، العدد ٢٧، ٢١" ؛ و " إما أن تهاجروا بإرادتكم " نفسه، الإصحاح ٢٧. وفى التوراة نفسها ، ورد ذكر "الترانسفير" فى "سفر الخروج ، الإصحاح ٢٣ ، العدد ٢٧ - ٣٢ " ؛ حيث وعد "ياهو " بإقاع الذعر ، وبإرسال الزنابير ، لطرد سكان "أرض الميعاد" من أمام العبرانيين . وفى سفر التثنية نقرأ " ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها ، لتمتلكها ، وتطرد شعوباً كثيرة من أمامك " المسألة نفسها ، كانت مدار اهتمام مفكر عالمى كبير ؛ هو رجاء جارودى فى كتابه ، الذى أثار ضجة فى أوساط اليهود ، " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"

فيقول : تتدرج إيديولوجية "الترانسفير" ؛ أى نقل السكان ؛ فى إطار متوسط بين الإبادة الكنعانية ، والخوف من الإختلاط ، وتسانده ، الآن غالبية حاخامات "يهودا وسامرا" وتقوم هذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصوص المقدسة ، مثل الخطاب الموجه من الأحرار إلى اليهود ، يستخلفونهم فيها عدم ممارسة اختلاط الأجناس " الأحرار ، ١٩ / ١٩ " ، وأمرهم بالتمييز بين الدم الطاهر ، والدم النجس " الأحرار ٢٠ / ٢٥ " الذى ميز بين إسرائيل والشعوب الأخرى " الأحرار ٢٠ / ٢٤ " وذلك من أجل ممارسة التمييز العنصرى "سفر الخروج ، إصحاح ٨ ، عدد ١٩ " ومن ثم فإن إسرائيل المقدسة " الأحرار ، ٢٠ / ٢٦ " ينبغى أن لا تتدنس " عزرا ، ٩ / ١١ " بالاتصال بشعوب أخرى مقتها الرب " الأحرار ، ٣٢ " " ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه ، وابنته لا تعطها لابنك ، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى " تثنية الاشرع ، ٧ / ٣-٤ " " ولكن إذا ارتدتم ، واختلطتم ببقية الأمم " الشعوب الكنعانية " الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ، ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود بطرد أولئك الأمم من وجهكم ، بل يصيرون لكم رهقاً ؟ ومعثرة وسوطاً على جنوبكم ، وشوكاً فى عيونكم حتى تضحطوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم" سفر يشوع ، إصحاح ٢٣ ، عدد ١٢ - ١٣ ."

أما المرتكز الإقليمي الإستيطاني فى العهد القديم فنجد فى مواضع كثيرة فيه ربطاً بين الأرض ونسل إبراهيم ، فى " سفر التكوين ، الإصحاح ١٣ ، العدد ٧ " لنسلك أعط هذه

الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، وكذلك في السفر نفسه " الاصحاح ١٣ ، العدد ١٥ ، والاصحاح ١٥ ، العدد ١٨ ، والاصحاح ١٧ ، العدد ٧ ، ٨ " حيث تضمن الوعد إعطاء إبرام أي إبراهيم كل الأرض أرض العربة ! أرض كنعان ، ويمضى كاتب التوراة ، على لسان موسى في " سفر التثنية ، الاصحاح الأول ، العدد ٥-٨ " قائلاً : الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً : كفاكم قعود ؟ في هذا الجبل تحولوا وارتحلوا ، وادخلوا جبل الأموريين ، وكل مما يليه من العربة ، والجبل والسهل والجنوب ، وساحل البحر أرض الكنعاني ، ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ، انظر قد جعلت أمامكم الأرض ، ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم واسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم .

تعبّر الوصايا التي نطق بها موسى عن اهتمام التوراة بتحديد صفات الأرض التي وعد اليهود بها ، وعن هذه الأرض يجب أن تكون وحيدة ، غنية بالينابيع وبالمعادن ، وأن عليهم أن يطردوا أهلها وأن يفوهم .

يتابع كاتب التوراة حديثه عن ارتباط وعد الإله بإعطاء الأرض إلى يشوع الذي خلف موسى عندما قال في " سفر يشوع ، الاصحاح الأول ، العدد الأول " وكان بعد موت موسى عبد الرب ، أن الرب كلم يشوع بن خادم موسى قائلاً موسى عبدى قد مات فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم " أى لبني إسرائيل . (١)

وأنت ترى بعد هذه النصوص هذه النفسية الآثمة الحاقدة ، التي تحاول أن تشرع أفعالها وجرائمها ، وأن تلصقها لتاليم التوراه والنصوص الدينية ، والتوراه منها براء ، وشريعة الله التي قامت على الحق والمساواه والعدل والإحسان للناس لايمكن أن تسمح لهذه النصوص الخاطئة أن تكون ديناً يسير عليه الناس ، أو يؤمن به المؤمنون .

إن التحريف والتخريف بلغ غايته ، ووضحت صورته من خلال هذا البحث ، ولا يمكن أن يصف كتاب رباني فيه روح الوحي وأمانة الحفظ الإلهي ما وصلت إليه اليهود في وقاحتها للوصف المذكور

^١ انظر - الترانسفير جنور مخطط الابداء والترحيل والتهجير - غانم حبيب الله - مجلة الأسوار ربيع ١٩٨٨ - ص ١١٢ -
بتصرف

الفصل الرابع

مواجهة الإخراج من خلال فريضة الجهاد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجهاد والمقاومة حق مشروع

المبحث الثانى : مواجهة الإخراج بين النظرية والتطبيق

المبحث الثالث : البشرى للمخرجين بالنصر والتمكين

المبحث الأول

الجهاد والمقاومة حق مشروع

إن الجهاد فريضة ربانية فرضها الله على عباده ليصان الدين ، وليحفظ العباد والبلاد ، والمقاومة جزء من هذا الجهاد تعارف عليه الناس اليوم ، وأقرته النظم والقوانين البشرية لكل من أخرج من دياره أو أعتدي على حقه .

أولاً : موقف الشريعة الإسلامية

تظل القيم الإسلامية التي أرساها الإسلام مبادئ هامة ، وجدت نفسها في فطرة الناس ، وتفاعلوا معها ، وتهيأوا لتنفيذ تعاليمها طواعية ، ورغبة في الأجر ، لكن هذه المبادئ والقيم ظلت بحاجة إلى حماية من إعتداء الآخرين ، وظلت تبحث عن إستمرارية لها ، مما اضطرها أحياناً أن تدافع عن وجودها وحياتها ، وأن تلجأ إلى القوة لتحفظ على أبنائها وأتباعها وجودهم وبقاءهم .

ويظل الجهاد ذروة سنام الإسلام ، وتظل آيات القرآن الكريم ، تستهض هم المسلمين إلى هذه الفريضة ليكون الدين لله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وليتحقق معنى الأمن والأمان الذي أرسل من أجله الرسل ، وأنزلت الكتب ، وخلق الله من أجله السماوات والأرض .

ولعل جريمة الإخراج والطرده ، والإبعاد التي يمارسها أعداؤنا اليوم بحق أبناء شعبنا وأمتنا ، فشلت كل الطرق القانونية والعرفية في مواجهتها أو الحد منها ، وتظل آيات القرآن تضع الحل ، والعلاج الأقوم والأنجح لهذا الداء العضال .

ويلاحظ المنتبغ لآيات الإخراج أن القرآن ربط في أكثر من موضع الطريقة التي يواجه بها هذا الخطر من خلال استنفار المؤمنين للقتال ، والجهاد لحماية بيضة الإسلام والمسلمين ، وقد وقفت على بعض هذه المعاني في هذا المبحث على النحو التالي :

١ - التحريض على الجهاد

ظهرت آيات الجهاد في العهد المكي ، لتمثل عصب الجهاد وأساسه ، وهو الجهاد بالقرآن وحجته ، وقد سمّاه الله جهاداً كبيراً ، قال تعالى : (...وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا). (١) ، ويعتبر القرآن هو الأساس المتين في صياغة مبدأ الجهاد القولي والفعلي .

^١ سورة الفرقان - الآية (٥٢)

استقر في أذهان أكثر الناس ، أن الجهاد الذي هو جزء أصيل من أحكام الإسلام وشرائعه ، إنما شرع بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يكن للجهاد قبل ذلك حكم ولا ذكر ، غير أن الحقيقة ليست كذلك ، فالعهد المكي من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفل بالجهاد ، كما حفل به العهد المدني ، والقرآن المكي تحدث عن الجهاد ، وأمر به ، كالقرآن المدني تماماً .

إننا نقرأ في سورة الفرقان ، وهي مكية كلها ، قول الله عز وجل : (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) . (١) ، ونقرأ في سورة النحل قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) . (٢) وهي مكية كلها عند جمهور العلماء إلا ثلاث آيات ، وسبب هذا الذي استقر في أذهان الناس أنهم حصروا الجهاد في معناه القتالي بل ما أشبه هذا المصدر بالجذع الثابت من الشجرة في سائر الظروف والأحوال ، وما أشبه النوع القتالي ، بكل أشكاله وأحواله ، بالأغصان التي تأتي وتذهب بين الحين والآخر . (٣) وليس هناك أدل من هذا التحريض على الجهاد في سبيل الله لمواجهة خطر الإخراج والإبعاد، من أن أول آية فرضت على المسلمين في الجهاد ، كانت تتعلق بالإخراج من الديار ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) . (٤)

وإنما شرع الجهاد بعد الهجرة إلى المدينة ، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر من المؤمنين عدداً ، حتى أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وهموا بقتله ، وشردوا أصحابه ، فذهبت طائفة منهم إلى الحبشة ، وذهب آخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ، وآتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعوا إليه ، وقاموا بنصره ، وصارت المدينة دار إسلام ، ومعقلاً يلجأون إليه ، شرع الجهاد ، ونزلت الآية مرخصة فيه

^١ سورة الفرقان - الآية (٥٢)

^٢ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٣ الجهاد في الإسلام - د.محمد سعيد البوطي - ص ١٩ - بتصرف

^٤ سورة الحج - الآيات (٣٨-٤١) انظر : الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج ٧ ص ٣٥٧١ - الفوائد ١ ، ٢

.... والخلاصة أن لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، وإقامة حدود

الأديان ، لاستولى أهل الشرك على مواضع العبادة وهدموها .(١)

وتظل رسالة التحريض القرآني في مواجهة الإخراج مستمرة ، فهذا قول الله في سورة البقرة قال الله تعالى : (...وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ...).(٢) ، يمتد إلى قوله تعالى في سورة التوبة ، وهي من أواخر السور التي نزلت : (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ...).(٣)

إنها رسالة واضحة بينة ممتدة عبر الزمن لتقول للمسلمين ، لا راحة ولا قرار إلا بالعودة إلى الديار ، واستنقاذ الأرض والإنسان والقيم .

ثم حرض المؤمنين على القتال فقال الله تعالى : (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ...).(٤) من مكة ، يذكرهم بفعلهم برسولهم وبهم ، فكيف يترددون في القتل والقتال ، (وهم بدعواكم أول مرة) والباديء أظلم ، فما يمنعكم من قتالهم ، وفي الآية توبيخ على ترك القتال ، وحض عليه ، وتذكير بما يوجب القتال ، من نكث العهد ، وإخراج الرسول ، والبدء بالقتال من غير موجب .(٥)

وقوله : (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم ، وعدم موالاتهم ، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده (٦)

٢- ضرب المثل القرآني الجهادي لقوم أخرجوا

ولقد ذكر القرآن أمثلة حية لأقوام أعادوا أرضهم المغتصبة ، وفتحوها بالجهاد ، وقاوموا المحتل الغاصب ، وأعادوا الحق إلى نصابه ، فسجل لهم القرآن هذه المفاخر تسليية لقلوب المؤمنين وشحذاً لهم المجاهدين ، قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى

^١ تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - ج ٦ ص ١١٨ - بتصرف

^٢ سورة البقرة - الآية (١٩١)

^٣ سورة التوبة - الآية (١١٣)

^٤ سورة التوبة - الآية (١١٣)

^٥ الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج ٤ ص ٢٢٢٨ .

^٦ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٤ - ص ٣٤٧

الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ائْتِنَا بِمَلَكٍ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ). (١)

دلت الآيات على أنه لا يحمي حمى الإسلام والمسلمين إلا جهاد و قتال ، وأن الجهاد والقتال يحتاجان إلى إمرة وطاعة ، وانضباط وإيمان ، وافتقار إلى الله ، كما دلت الآيات على أن الهجوم هو الطريق للنصر (٢)

ألم يصل إلى علمك حال هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ، وحالهم بلغت من العجب مبلغاً لا ينبغي لمثلها أن تجهل ، إذ هم قوم بلغوا حداً من الكثرة التي تدعو إلى الشجاعة ، واطمئنان النفس والدفاع عن الحمى لا إلى الهلع والجزع ، وخور العزيمة ، والهرب من الوطن خوفاً من الموت بمهاجمة الأعداء ، وهذا هو الخوف والحذر ، الذي يولده الجبن في أنفس الجبناء ، فيخيل إليهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت ، وما هو إلا وسيلة تدنى إليه ، فهو يمكن العدو من الرقاب ، ويحفره إلى الفتك بهم ، استهانة بأمرهم

ويرى جمع من المفسرين منهم ابن كثير بسنده ، عن ابن جرير وعطاء أن هذا مثل لا قصة واقعة ، ضرب للعة والتأمل فيما ينطوى عليه ، ليكون أفعال في النفس ، وأدعى إلى الزجر ، قال تعالى : " فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " أي خرجوا هاربين فأماتهم الله ، بأن مكن منهم العدو ففتك بهم ، قتل أكثرهم ، وفرق شملهم ، وأصبح من بقي منهم خاضعاً للغالب ، منضوياً تحت لوائه ، ثم أحياهم بعود الإستقلال إليهم بعد أن جمعوا كلمتهم ، ووثقوا رابطتهم ، واعتزوا وكثروا ، وخرجوا من ذل العبودية إلى رياض الحرية ، وكان ما أصابهم من البلاء تأديباً لهم ، ومطهرراً لنفوسهم مما عرض لهم من نميم الأخلاق ، ورنيل السجيا ، وقد جرت سنة الله في خلقه ، أن تموت الأمم باحتمالها الظلم ، وقبولها الجور والعسف ، حتى إذا أفاق من سباتها ، وتنبهت من غفلتها ، قام بعض أفرادها بتدارك ما فات ، والإستعداد لما يرقى شأنها

والخلاصة أن إماتة الأمة إنما تكون بتسليط الأعداء عليها ، والتكيل بها ، وإحياءها يكون بإحياء نابتة أبنائها ، تسترد ذلك المجد الضائع ، والشرف المسلوب . (٣)

ثم يعقب الشيخ المراغي على المثل الآخر بقوله : " هنا بين قصة قوم من بنى إسرائيل أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر ، كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن ، واستحقوا

^١ سورة البقرة - الآيات (٢٤٣-٢٤٦)

^٢ الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج ١ ص ٢١٠ - بتصرف

^٣ تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - ج ١ ص ٢١٠ - بتصرف

الخزى والنكال ، أما هذه القصة ، فقد فصلت احتياج هؤلاء القوم إلى القتال لمدافعة العادين عليهم ، واسترجاع ديارهم من أيديهم ، فبذلوا الوسع فى الاستعداد للدفاع ، لكن الضعف قد بلغ منهم كل مبلغ ، فتولوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلاً منهم ، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا

إن الأمم إذا سيمت بالخسف تنبه أفكارهم إلى دفع الضيم ، فتعلم أن لا سبيل إلى ذلك إلا بانضوائها تحت لواء زعيم عادل باسل ، كما وقع من بني إسرائيل ، حين نكل بهم أهل فلسطين ، وإن أول من يشعر بالحاجة إلى ذلك هم خواصها وأشرفها ، كما حدث من الملائ من بني إسرائيل ثم تنتقل الفكرة من ذلك إلى عامتهم ، حتى إذا وصلت إلى حيز العمل نكص ضعفاء العزائم على أعقابهم إن الفئة القليلة قد تغلب الفئة الكثيرة ، إذا صبرت وثبتت وأطاعت رؤساءها ، والتجارب والمشاهدة تدل على صدق هذا . (١)

٣ - التميز فى الجهاد

لقد تميز الجهاد فى الإسلام بأنه حق مشروع ، وبأنه له أخلاق حملها فى منهجية جهاده ، وفى تعامله مع الآخرين ، فقد رغب الله المجاهدين أن يدافعوا عن هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ممن عذرهم ، وقد أوجب الجهاد لاستنقاذهم مما هم فيه ، بعدما ارتفعت شكواهم إلى الله ، أن يخلصهم مما هم فيه من البلاء والعذاب ، قال الله تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيُّدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلًا). (٢)

وفى الآية إيماء إلى شرف الجهاد ، لأنه إنما كان فى سبيل الحق والعدل والخير ، لا فى سبيل الهوى والطمع ، كما أن فيها إيماء إلى أنه ينبغى للمقاتل أن يوطد نفسه على أحد الأمرين : إما أن يقتله العدو ، ويكرم نفسه بالشهادة ، وإما أن يظفر به فيعز كلمة الحق والدين ، ولا يحدث نفسه بالهرب بحال ، لأنه إن فعل ذلك ، فما أسرع ما يقع فى ذلك الفخ

^١ المرجع السابق - ج ١ ص ٢٢٥ - بتصرف

^٢ سورة النساء - الآيات (٧٥ - ٧٧)

الذى نصبه لنفسه ، ثم زاد ترغيباً فيه ، فقال : (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله) أى وأى عذر لكم يمنعكم أن تقاتلوا فى سبيل الله ، لتقيموا التوحيد مقام الشرك ، وتحلوا الخير محل الشر ، وتضعوا العدل والرحمة موضع الظلم والقسوة ، (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أى وفى سبيل المستضعفين إخوانكم فى الدين ، الذين استذلهم أهل مكة الأقوياء والجبابرة ، وآذوهم أشد الإيذاء ، ليمنعوهم من الهجرة ، ويفتنوهم عن دينهم ، ويردوهم فى ملتهم .

وقد جعل الله هؤلاء سبيلاً لإثارة النخوة ، وهز الأريحية ، وإيقاظ شعور الرحمة والأنفة ، فوصفهم بما يجعل نفس الحر ، تشتعل حماسة وغيره على إنقاذهم ، والسعي فى رفع الظلم عنهم " الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها " أى أن هؤلاء المستضعفين فقدوا النصير والمعين، وتقطعت بهم أسباب الرجاء ، فاستغاثوا بربهم ، ودعوه يفرج كربهم ، ويخرجهم من تلك القرية " مكة " لظلم أهلها لهم ، ويسخر لهم بعنايته من يتولى أمرهم ، وينصرهم على من ظلمهم ، فيتمكنوا بذلك من الهجرة وما شرع الجهاد إلا لعدم حرية الدين ، وظلم المشركين للمسلمين . (١)

وبعد هذا يمكن أن نرى صورة أخرى للتعامل مع الآخرين ، حيث قال : (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . (٢)

وقد ذكر الإمام ابن كثير فى هذه الآيات قوله : أى لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، كالنساء والضعفة منهم " أن تبروهم " أى تحسنوا إليهم " وتقسطوا إليهم " أى تعدلوا " إن الله يحب المقسطين " ، وقد ساق أحاديث من ذلك ليدل على أن أدب المجاهد ، وتميزه فى رسالة الجهاد حتى فى أولئك الكفرة ، إنما ينهاكم الله عن موالاته هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ، فقاتلوكم وأخرجوكم ، وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عن موالاتهم ، ويأمركم بمعاداتهم ، ثم أكد الوعيد على موالاتهم ، فقال تعالى : " ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون " (٣)

^١ تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - ج ٢ ص ٩٢ - بتصرف

^٢ سورة الممتحنة - الآيات (٧ - ٩)

^٣ انظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٤ ص ٣٤٧ .

٤ - فضيلة الجهاد وثوابه

إن الذى أخرج من أرضه بغير حق إلا أن يقول ربي الله ، يرغب من جهاده أن يعيد الحق إلى نصابه ، وأن يسجل الحق بدمه ، فجهاده حق مشروع ، وهو يستمد هذا المعلومة من الله ، الذى وعد أن ينصر الحق وأهله ، فقال : (...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ). (١)

وما أخرج الرسول من بيته إلا بالحق الذى أَرَادَهُ اللهُ ، ليحق بهذا الخروج كلمة الله : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ). (٢)

والمجاهد إنما خرج يلتمس رضا الله وجنته ، وما أجمل السياق القرآني ، وهو يقرن معنى الإخراج بالجهاد بالرضا وقوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي...). (٣) أى إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ، إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى ، باغين لمرضاتى عنكم ، فلا توالوا أعدائى وأعداءكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم ، وسخطاً لدينكم (٤)

ويكفى المجاهد أن يرزقه الله الهداية والمعية ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). (٥)

والمجاهد يتعرض لرحمة الله ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). (٦)

والمجاهد تكفر عنه سيئاته ، قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). (٧)

^١ سورة الروم - الآية (٤٧)

^٢ سورة الأنفال - الآيات (٥-٨)

^٣ سورة الممتحنة - الآية (١)

^٤ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٤ ص ٣٤٧ .

^٥ سورة العنكبوت - الآية (٦٩)

^٦ سورة البقرة - الآية (٢١٨)

^٧ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

والمجاهد باع نفسه لله ، قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ). (١)

ويكفى المجاهد أن تزرع فيه آيات القرآن معانى النخوة والمروءة ، فيهب لنجدة المستضعفين من الرجال والنساء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وقد جعل القرآن الجهاد والقتال من أجلهم فريضة ، تستوجب ولاية الله ونصرته ، قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تقاتلونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا). (٢)

ثانياً : موقف القوانين الدولية من المقاومة

إن الاحتلال يعتبر أمراً غير مشروع فى جميع الشرائع السماوية وفى القانون الدولى المعاصر ، وعليه فإن تواجد قوات الاحتلال فى الأراضى المحتلة أمراً غير مشروع ، وبناء على ذلك يكون من حق الشعب الذى احتلت أراضيه أن يقاوم ذلك بكافة الوسائل المتاحة ، ويتوجب على شعب الأراضى المحتلة المقاومة المسلحة ضد القوات المعتدية والمغتصبة لأراضى الغير دون وجه حق .

ويذكر الباحث د. عبد الكريم شبير قانونية هذه المقاومة بقوله : " نتيجة لوجود هذه القوات المعادية فى الأراضى المحتلة ، وما يصاحبها عادة من عمليات إرهاب للسكان المدنيين فى هذه الأراضى ، يصبح من حق السكان المدنيين مقاومة الاحتلال وطرده من أرضهم بالقوة المسلحة ، مع العلم بأنه لا يوجد أى مانع قانونى يمنع هؤلاء السكان من التمتع بهذا الحق ، ويستند حق المدنيين فى المقاومة المسلحة إلى ما جاء فى لوائح لاهاي و اتفاقية جنيف وحق تقرير المصير وحق الدفاع الشرعى عن النفس الذى أقرتهما هيئة الأمم المتحدة وذلك على النحو التالى :

١ - لوائح لاهاي (٣)

أخضعت هذه اللوائح الشعب المقاوم للعدو لقوانين الحرب وأعرافها باعتباره إحدى الفئات التى تماثل القوات النظامية ، والقوات المتطوعة التى تهب للدفاع عن وطنها وأرضها وثرواتها ضد أى اعتداء أجنبى فقد عرفت المادة ٢ من لوائح لاهاي الشعب المقاوم للعدو بأنه " سكان الأراضى التى لم تحتل بعد والذين يحملون أسلحتهم عند اقتراب العدو ويهبون

^١ سورة البقرة - الآية (٢٠٧)

^٢ سورة النساء - الآية (٧٥)

^٣ انظر : مجموعة اتفاقيات لاهي وبعض المعاهدات الأخرى - اللجنة الدولية للصليب الأحمر - جنيف - ١٩٩٠م.

لمقاومة القوات الغازية ، بينما المادة ١ من لوائح لاهاي تنص على الشروط التي يجب توافرها في أفراد القوات المسلحة بالمليشيا والقوات المتطوعة ."

ويتبين من خلال هذه المادة أن الاعتراف بحق المقاومة المسلحة في مرحلة الغزو ، وقبل الاجتلال مشروع ولم تتعرض إلى مقاومة قوات الاحتلال أثناء تواجد القوات المحتلة في أرض الغير إلا أننا نرى أن المبدأ الذي أقرته المادة المذكورة تنطبق أيضاً على حالة الاحتلال الحربي باعتباره مرحلة تلي الغزو مباشرة ، واستمراراً للحرب والاعتداء وبالتالي يستمر حق المدنيين في املقاومة المسلحة من وقت بدء الغزو المسلح وحتى مرحلة الاحتلال إلى أن يتم طرد القوات المعتدية من الأراضي المحتلة .

٢- اتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ م (١) :

لقد نصت اتفاقية جنيف لسنة ١٩٤٩ في المادة الرابعة من إتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بمعاملة أسرى الحرب والمادة ١٣ من إتفاقيتي جنيف الأولى والثانية الخاصة بمعاملة الأسرى والجرحى في الميدان ، حق المدنيين في المقاومة المسلحة ضد القوات المعتدية حتى لو كان هؤلاء المدنيين من أهالي الأراضي المحتلة ومنحهم حق المحاربين ، وقد نصت تلك المواد على أن أفراد المليشيا الأخرى وأفراد الوحدات المتطوعة الأخرى بما في ذلك الذين يقومون بحركات مقاومة ويتبعون أحد أطراف النزاع ، ويعملون داخل أو خارج أراضيها حتى لو كانت هذه الأراضي محتلة ... بما فيها تلك المقاومات المنظمة على أن تكون قيادة شخص مسؤول وأن يكون لها علامة مميزة وأن تحمل أسلحتها بصورة ظاهرة له وأن تقوم بعملياتها ضمن قوانين وأعراف الحرب .

من هذا يتبين اعتراف اتفاقية جنيف بحق المقاومة في حالة الاحتلال الحربي ، سواء أثناء الاحتلال أو وقت المواجهة مع القوات التي تتوى احتلال أرض الغير بعكس ما جاء في المادة ٢ من لوائح لاهاي ، والتي اختصرت حق المقاومة أثناء الغزو فقط .

٣- حق تقرير المصير (٢) :

يستند حق المدنيين المقيمين في الأراضي المحتلة في المقاومة المسلحة إلى حق مستقر في القانون الدولي والمعترف به من جانب ميثاق الأمم المتحدة والاتفاقيات الدولية والانسانية والذي ينص على " أن للشعوب الحق في تقرير مصيرها والذي ينبع منها حق في السيادة

^١ انظر : اتفاقيات جنيف المؤرخة ١٢ آب (اغسطس) - ١٩٤٠م - اللجنة الدولية للصليب الأحمر - جنيف - ١٩٨٧م.

^٢ المنظمات الدولية : ميثاق الأمم المتحدة - د. مفيد شهاب - بتصرف.

على أراضيها والدفاع عن حقوقها المسلوبة والعمل على استرداد سيادتها سواء بالجهود السلمية أو بالمقاومة المسلحة. (١)

٤- حق الدفاع الشرعى عن النفس

يكون للسكان المدنيين الواقعين تحت الاحتلال الحربى حق المقاومة المسلحة لقوات الاحتلال التى اعتدت عليهم ، استناداً إلى حق الدفاع الشرعى عن النفس الذى يجيز استخدام القوة المسلحة فى القانون الدولى لمواجهة العدوان المسلح ، وأن هؤلاء السكان ضحية لعدوان مسلح شنته قوات الاحتلال على أراضيهم ، وبالتالي لهم كل الحق فى استخدام القوة المسلحة لمقاومة القوات المعتدية . (٢)

مما سبق يتضح لنا أن السكان المدنيين المقيمين فى الأراضى المحتلة ، لهم كل الحق فى المقاومة المسلحة لقوات الاحتلال ، التى غزت أراضيهم واحتلتها بالقوة ، واستسلامهم يعنى خروجهم من أرضهم بسبب قهر المحتل وظلمه ، وأن هذا الحق فى المقاومة لا يتعارض مع قواعد القانون الدولى أو ما جرى عليه العمل الدولى ، ويؤيد كل التأييد حق المدنيين فى المقاومة المسلحة فى مواجهة الاحتلال غير الشرعى لأراضيهم . (٣)

١ انظر مشروعية المقاومة المسلحة - أ . د . عائشة راتب دراسات فى القانون الدولى - منشورات الجمعية المصرية للقانون الدولى - بتصرف

٢ ميثاق هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ والذى جاء فيه تجريم استخدام القوة أو التهديد باستخدامها مستثنياً حالة الدفاع عن النفس الفردى أو الجماعى

٣ محاضرة د. عبد الكريم شبير بتاريخ ١ / ١٠ / ٢٠٠٣ - الجمعية الفلسطينية للعلوم القانونية - غزة

المبحث الثاني

مواجهة الإخراج بين النظرية والتطبيق

بعد النظر والتدقيق فى السياق القرآني لجريمة الإخراج ، وطريقة القرآن فى معالجتها ، والأسوة الحسنة التى عرضها القرآن لمسيرة الأنبياء والرسل ، والأتباع الذين أخرجوا من ديارهم فعادوا فاتحين منتصرين ، يظهر للباحث أن الآيات والسير عرضت مجموعة من الأسس يمكن أن تشكل نظرية قرآنية لحل مشكلة المخرجين والمبعدين ، ويمكن أن يسترشد بها الباحثون اليوم فى إيجاد نظرية قرآنية تقوم على تأصيل الحق الشرعي لمسألة المبعدين ، مع اعتبار الحق القانوني ، والمدافعة القرآنية من أجل إيجاد نظرة قرآنية واقعية ، يهتدى بها المتطلعون إلى ترسيخ المفاهيم لتكون إمامنا وأماننا فى كل شىء ، وليفهم الجميع أن رسالة القرآن الخالدة ليست عاجزة عن إيجاد حلول واقعية تلبي حاجة الناس فى كل زمان ومكان . ولكى لا تبقى مشكلة المبعدين مسألة تلوكها وسائل الإعلام ، وموائد السياسيين ، وتفتقر إلى البعد الديني والأخلاقي ، لا بد أن يكون لنا النهج القرآني القائم على نظرية قرآنية هو الأساس فى نظرتنا للأمر ، لا الأهواء ولا المواقف الإرتجالية ولا الشعارات هى التى ستحل مشكلة اللاجئين والمبعدين والمضطهدين .

إن من واجب الدعوة وواجب الأمة كلها أن لا يقف جهدا عند طرح الشعارات ، وعرض الرايات والتنافس على ساحات الدنيا ، بل لا بد من أن تضع الدراسات ، والمناهج والتخطيط على طهارة نية ووضوح أهداف لتعد الرجل المؤمن الذى يهديه الله ، فنتعهده ليؤدي أمانته ، ويوفى بعهده وينهض إلى مسؤولياته ، فينجو فى الدنيا والآخرة ، والنجاة فى الدنيا هى النجاة من الفتنة ، وأعظم النصر فيها النصر على أهواء النفس ، وأمواج الشهوات .

إننا نهدف من خلال البحث أن نقدم النظرية القرآنية القائمة على فهم الإيمان والتوحيد ، والنابعة من كتاب الله ، والملبية لواقع المسلمين ، خاصة وأن الأمة عجزت لسنوات طويلة عن إيجاد حل إيماني واقعي للشعب الفلسطيني المشتت ، وللقضية الفلسطينية التى تأكلت معالمها ، وشوّهت معالم حقها فى عالم ظالم لا يؤمن إلا بمبدأ القوة والغطرسة .

والمراد من هذه النظرية القرآنية ، أن تدفع المسلمين إلى قراءة معمقة لنصوص القرآن الكريم خاصة فى نهج إيماني يقوم على الإدارة والنظام ، وتنسيق الجهد ، وتكامل الطاقة ، ومعرفة المسؤوليات ، وتحديدها ، ومعرفة غاياتها وأهدافها ، والمراجعة الأمانة الدقيقة لمسلكتيات القائمين عليها ومحاسبتهم وتقويمها .

إن النظرية القرآنية منهج فريد في البحث والاستنتاج ، ويجب أن لا تتعطل الجهود والقوى في تفجير هذه الرؤى والمناهج ، ويجب أن نرفع الرأس عالياً لا نخجل معتزين بالقرآن الذي نقرأه ، وبالفهم الذي نحمله عنه في علاج قضايانا ومشكلات عصرنا.

والنظرية القرآنية (١) التي نبحث في تأصيلها ، تقوم على ركنين أساسيين وتنبثق منهما سبعة عناصر ، أما الركنان فهما :

١- النهج القرآني

٢- متطلبات الواقع

عناصر النظرية القرآنية في مواجهة الإخراج ويتمثل العنصر الأول في أربعة بنود هي :

- التوحيد

- فهم النهج القرآني

- فهم الواقع

- الممارسة الإيمانية

أما العنصر الثاني فهو النهج والتخطيط العام ، ويتكون من عدة بنود :

- نهج الدعوة

- نهج التربية والبناء

- نهج بناء جيل مؤمن

- نهج الجهاد في سبيل الله

ثم العنصر الثالث وهو النهج والتخطيط للدعم ، ويتألف من عدة بنود :

- إدارة الدعم الإعلامي

- إدارة الدعم المالي

- إدارة الدعم المعنوي والنفسي

- إدارة الدعم السياسي

^١ هذه الهيكلية والنظرية القرآنية مستفادة من هيكلية النظرية العامة للدعوة الإسلامية د. عدنان النحوي - بتصرف

ثم العنصر الرابع وهو بناء دار النصره وغيرها ، ويتألف من بندين :

- دار النصره الإيمانية

- دار النصره غير الإيمانية

ثم العنصر الخامس : الإدارة والتنظيم ، ويتألف من عدة بنود :

- القادة

- الجنود

- المسئوليات

أما العنصر السادس : فى إدارة عالمية الصراع

ثم العنصر السابع : وفتات مع النتائج والمكتسبات

وتشكيل النظرية على هذه الصورة ، وإن بدا أنه عمل بشري ، لكنه يحمل الدليل الشرعي من القرآن والسنة ، وفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن قبله من المرسلين ، وتظل هذه النظرية تقبل أى جديد ما لم يتعارض مع أصولها المذكورة ، وللوقوف على تفاصيل هذه النظرية نقوم بشرحها على النحو التالى :

شرح النظرية القرآنية لمواجهة الإخراج :

أولاً أساس النظرية : النهج القرآني والواقع

أنزل الله القرآن من السماء إلى الأرض لتقوم الصلة ، وينشأ العمل ، ولقد دلت الآيات على أن هذا القرآن إنما أنزل مراعيًا وملبيًا لحاجة الواقع ، لتسير حياة الخلق به ، وليقوم الناس به ، قال تعالى فى محكم تنزيله : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (١) ، وقال تعالى : (الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

^١ سورة البقرة - الآية (٢١٣)

انتقام). (١) ، وقال تعالى : (المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ). (٢) ، وقال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ). (٣) ، وقال تعالى : (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ). (٤) ، وقال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ). (٥) إذاً فالآيات واضحة الدلالة ، جاء القرآن ليصلح الله به العباد والبلاد ، وقد تعهد الله بحفظ مناجاه ، قال الله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). (٦) ، وحفظ الذكر بحفظ أمة الذكر ، لأن القرآن إنما أنزل ليكون واقعا في حياة الناس يعالج قضاياهم ، وما يجد في حياتهم ، ولن يعجز عن تحقيق حاجات الأمة وقضاياها إلى قيام الساعة.

ثانياً : عناصر النظرية القرآنية لمواجهة الإخراج وهي المنبثقة والمترتبة على الأساس الذي قامت عليه النظرية وهو النهج القرآني والواقع ، وسنقف مع هذه العناصر شرحاً وبياناً مع أدلتها القرآنية وذلك فيما يلي :

العنصر الأول : وهو الذي يتألف من البنود الأربعة التالية :

١ - التوحيد

إن قضية المخرجين والمبعدين ينبغي أن ننظر إليها بالمنظار القرآني على أنها قضية من قضايا التوحيد ، ولأن أعدائنا لا يمارسون هذه الجريمة إلا لكوننا مؤمنين موحدين ، وتأمل معي هذه الآيات الكريمة :-

قال تعالى : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...). (٧)

^١ سورة آل عمران - الآيات (٣-١)

^٢ سورة الأعراف - الآيات (٣-١)

^٣ سورة المائدة - الآية (٤٨)

^٤ سورة إبراهيم - الآية (١)

^٥ سورة ص - الآية (٢٩)

^٦ سورة الحجر - الآية (٩)

^٧ سورة الحج - الآيات (٤٠، ٣٩)

وقال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِن دِينِهِ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (١)

وقال تعالى : (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِكُمْ أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ). (٢)

وقال تعالى : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...). (٣)

وقال تعالى : (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ). (٤)

إنها قضية التوحيد ، وإن المؤمن يتعبد الله بكل أفعاله محياه ومماته ، وجهاده وإخراجه ، وإبعاده إنما هو نتيجة لتحقيق رسالة التوحيد ، وإخلاص العبودية لله ، وهذا الذي ينبغي أن نفهمه ، كما فهمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ). (٥)

٢- فهم النهج القرآني ودراسته :

لابد أن يفهم المسلم المخرج النهج القرآني ، وأن يستشعر أن القرآن يوجهه ويعلمه ، وأن تكون مصاحبته لكتاب الله وسنة نبيه ، صحبة عمر وامتداد حياة ، كما ينبغي للمسلم أن يفهم كيف عرض القرآن لجريمة الإخراج من أوجه متعددة ، وينبغي أن يفهم أن هجرته إلى الله ورسوله ، وعودته وحل مشكلته هو فقط في سبيل الله ، إبتغاء مرضات الله .

قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). (٦)

^١ سورة البقرة - الآية (٢١٧)

^٢ سورة البقرة - الآية (٨٥)

^٣ سورة الحج - الآية (٤٠)

^٤ سورة البروج - الآية (٨)

^١ سورة الأنعام - الآية (١٦١-١٦٢)

^٦ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

وقال تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). (١)

(وَكَايِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ). (٢)

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ). (٣)

إن المؤمن ينبغي عليه أن يتسلح بالفهم القرآني الصحيح لكل مشاكله ، وأن يكون على بصيرة من أمره بذلك .

وقال تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (٤)

٣- فهم الواقع

إن دراسة الواقع وتداعياته تمثل جزءاً كبيراً من فهم المخرجين والمبعدة لمراحل جهادهم ونضالهم ، وطبيعة عدوهم ، وهي الطريقة المناسبة التي يرى من خلالها أفضل الطرق ، والوسائل لتحقيق الأهداف والمراحل .

ولقد قص علينا القرآن من سنة الله في الكون ما يمثل لنا القدوة الحسنة ، للاقتداء بهم والاستفادة من تجربتهم ، قال تعالى : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِئُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سَنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا). (٥)

ولقد رأينا من خلال البحث كيف فرض على الصحابة الهجرة في مرحلة معينة حفاظاً على الدين ، وعلى مقدرات الدعوة ، فمرة إلى الحبشة ، ومرة إلى المدينة ، وانظر كيف مثل القرآن هذا التكليف ، وصوره بعد وقوع الفتنة في حق المؤمنين .

١ سورة التوبة - الآية (٤٠)

٢ سورة محمد - الآية (١٣)

٣ سورة الممتحنة - الآية (١)

٤ سورة يوسف - الآية (١٠٨)

٥ سورة الاسراء - الآية (٧٦)

قال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (١)

قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). (٢)

وانظر إلى أولئك الذين فتنوا في دينهم فغيروا وبدلوا ، ولم يتداركوا أمرهم بالخروج والاستجابة ، فلم يقبل عذرهم عند الله .

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). (٣)

٤ - الممارسة الإيمانية

إن العمل والممارسة التي قام بها المخرجون قرنت بالإيمان ، ودلل بها المخرجون على صدق توحيدهم ، وفهمهم للنهج القرآني ، ومعرفتهم بالواقع ، لذلك استجابوا لله والرسول ، وتظل النظريات والقيم شعاعاً يرفع ، ورايات تخفق حتى يكون العمل والممارسة هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه ، ولنتأمل في آيات الله .

قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْشِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ). (٤)

العصر الثاني : النهج والتخطيط العام لقضية الإخراج

وقد لاحظنا عبر هذا البحث النهج والخطة الواضحة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ترتيب وتنفيذ لحظة الخروج والهجرة ، وقد ظهر واضحاً جلياً أن القرآن أراد للنبي ولأصحابه ، ولكل قوم شردوا وطردوا ، وأخرجوا من ديارهم ، أن يعودوا فاتحين منتصرين ، ولم يكن هذا الهم الكبير أن يمر ، دون أن تكون هناك آليات من العمل المتواصل استمرت لسنوات ، ليتحقق هذا الهدف الكبير ، ولذلك مرت هذه الخطة بعدة مراحل على النحو التالي :

^١ سورة النحل - الآية (٤١)

^٢ سورة النحل - الآية (١١٠)

^٣ سورة النساء - الآية (٩٧)

^٤ سورة آل عمران - الآية (١٩٥)

١- ظلت آيات الإخراج تمثل للمخرجين همًا حاضراً خاصة وقد ارتبط ذلك بمفهوم تعبدى هو القرآن الذى يتلوه الصحابة فى صلاتهم وعبادتهم ، فالقرآن مثل لهم التقفيع والتعريف ، والتحريض والتذكير ، ليكون المخرج مستشعراً دائماً بخطر وجوده خارج أرضه ووطنه بلا هوية ولا بيت ، ولنتأمل الآيات القرآنية التالية :

قال تعالى : (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ اتَّخَذْتُمْ فِئْتَمًا فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). (١) ، وقال تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ). (٢) ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ). (٣)

٢- ظلت آيات القرآن الكريم ترسم فى سياقها صورة حية ، لأولئك الجيل المؤهل لاستعادة الأرض والديار ، وقد تربى هذا الجيل بصور متعددة ذكرها القرآن ، منها ما هو مباشر كالإنفاق فى سبيل الله بالمال والنفس ، والإيثار والتضحية ، والصبر والتراحم ، ومنها ما هو غير مباشر ، بتذكيرهم بقصص الأمم السابقة ، أو ببيان أخلاق المنافقين ، وانكشافهم وانهزامهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما حدا بالمسلمين إلى التمسك بالعروة الوثقى ، والثبات على هذه العقيدة ، فمنهم من أشهده الله إحدى الحسينين بالنصر ، ومنهم أدرك الثانية وهى الشهادة فى سبيل الله ، قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ). (٤)

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ). (٥)

وقال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). (٦)

١ سورة التوبة - الآية (١٣)

٢ سورة البقرة - الآية (٣٦)

٣ سورة الممتحنة - الآية (١)

٤ سورة البقرة - الآية (٢٠٧)

٥ سورة البقرة - الآية (٢٤٣)

٦ سورة النساء - الآية (١٠٠)

وقال تعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ). (١)

وقال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ). (٢)

٣- الجهاد فى سبيل الله وبعد الدعوة والتربية والبناء ، وإنشاء جيل قرآنى إيمانى فريد ، تهباً المسلمون بخطة ونهج لجهاد طويل ضد الأعداء ، رسمته آيات القرآن ، بعد أن عرف المخرج قضيته ، وأبعادها ، وبعد أن اجتمعت له أسباب القوة وعتادها ، وبعد أن اجتمعت الصفوف والقلوب على قلب رجل واحد ، جاء الجهاد فى سبيل الله ثمرة لذلك كله ، وثمره لهذه المعاناة التى يعيشها المبعدون ، والمخرجون سنوات طويلة ، ويرقبون غداً أفضل لأولادهم وذرياتهم خارج الخيام ، وبعيداً عن الشتات ، ليكون الجهاد فى سبيل الله رحمة بهم ، وبمن خلفهم ، وإحقاقاً للحق الذى عاشوا له ، وأفنوا أنفسهم فى سبيله ، ولنتأمل هذه الآيات المباركات فى ذلك .

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ). (٣)

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ). (٤)

وقال تعالى: (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَٰ مَرَّةٍ أَخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَأَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). (٥)

وقال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا). (٦)

^١ سورة التوبة - الآية (٤٦)

^٢ سورة الحشر - الآية (٨)

^٣ سورة البقرة - الآية (٢٤٦)

^٤ سورة الحج - الآيتان (٣٨ ، ٣٩)

^٥ سورة التوبة - الآية (١٣)

^٦ سورة النساء - الآية (٧٥)

العنصر الثالث : النهج والتخطيط العام فى توفير الدعم والسمود

إنه وبعد مراجعة آيات الإخراج ، وظروف الواقع تبين أنه لابد من توفير أسباب للدعم والسمود فالمبعدون والمخرجون بحاجة إلى من يحميهم ، ويوفر لهم أسباب وجودهم بداية ، ومن ثم هم بحاجة إلى من يدعم حضورهم إعلامياً وسياسياً ومالياً ومعنوياً ونفسياً ، وكل ذلك لابد أن يكون مبنياً على خطة ونهج ، تصلح لأن توفر مدداً حقيقياً للمبعدين ، لنجاح جهودهم ، والمحافظة على قضيتهم ومكتسباتهم .

١ - الدعم الإعلامى :

ويكفى فى هذا الميدان ، ما سطرته آيات القرآن الكريم فى أكثر من مائتى موضع قرآنى يتعبد به ، حتى تبقى قضية المخرجين حاضرة فى ذاكرة الأمة ، وذاكرة المبعدين أنفسهم ، ويكفى فى هذا الدعم ، ما قصه القرآن من إخراج الأنبياء والرسل والأتباع ، لتكون قضية الإخراج ممتدة عبر الزمن والتاريخ فى الحاضر والمستقبل فهى قضية تعبدية ، يقرؤها الناس فى صلاتهم ، وقضية تاريخية يستعرضها المؤرخون فى عرضهم للتاريخ وعبره ، وتأمل معى آيات القرآن الكريم .

قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). (١)

وقال تعالى : (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ). (٢)

وقال تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِّن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ نَكُنَا كَارِهِينَ). (٣)

وقال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِن قَوْلِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (٤)

^١ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

^٢ سورة سبأ - الآية (١٩)

^٣ سورة الأعراف - الآية (٨٨)

^٤ سورة البقرة - الآية (٢١٧)

٢ - الدعم المالى :

لقد شكل الدعم المالى للمبعدين ركناً هاماً فى ثباتهم وصبرهم ، وحل مشكلتهم ، ولقد شكل الأنصار الموقف النموذجى المثالى فى دعمهم المالى للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ولقد رأينا من خلال البحث كيف اعتمد اليهود صندوقاً خاصاً لدعم قضية الإستيطان ، والتهجير ، ويظل المال عصب الحياة ، وينبغى أن يوفر المال والمؤسسة المالية لرعاية المخرجين وأسره ، وتوفير أسباب الصمود لهم ، من خلال مراكز متخصصة لهم بذلك . وبذلك نرى ومن خلال الآية الأولى والثانية والثالثة كيف اعتمد المجرمون مبدأ الإثارة الإعلامية فى ملاحقة المؤمنين وتهديدهم بالإخراج ، بينما جاءت الآية الرابعة لتصح مفهوم الإعلام الإيمانى ، وذلك بعدم رضوخ المؤمنين لحملة الإفك والتشويه للمعالم الحقيقية للجريمة ، التى ارتكبتها المجرمون بحق المؤمنين .

قال تعالى : (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَزَوَّدَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (١)

وقال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (٢)

وقال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). (٣)

وقال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...). (٤)

وقد رأينا من خلال هذا البحث كيف فهم الصحابة مبدأ المؤاخاة ، واحتضنوا المهاجرين ، وقاسموهم المال والأرض والأهل ، وضربوا أروع الأمثلة فى ذلك .

٣ - الدعم النفسى والمعنوى

المبعد رجل يعيش على الذكريات والآلام والآمال ، والأحلام والأمنيات ، ولقد صور القرآن الحالة التى عليها الصحابة من الذلة والقلة ، ولقد كانت آيات القرآن تعطى دفعات للثبات

^١ سورة الأنفال - الآية (٢٦)

^٢ سورة الحشر - الآيات (٨ ، ٩)

^٣ سورة النساء - الآية (١٠٠)

^٤ سورة البقرة - الآية (٢٧٣)

نفوس المهاجرين ، بما يطمئن قلوبهم من عظيم الثواب ، والبشرى بالعودة والفتح والظفر ، وانظر إلى الآيات التالية ، قال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). (١)

وقال تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (٢) وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...). (٣) قال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ). (٤) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (٥)

وبذلك يتبين لنا كيف اعتمد القرآن مبدأ الثواب في معالجة الروح المعنوية والنفسية عند الصحابة ، وكيف دلت الآيات على تثبيت حق العودة ، وطمأننت من خلالها المبعدين والمخرجين .

٤ - الدعم السياسي :

ظل القرآن يقدم الدعم السياسي للمبعدين ، ويوجه ويبين طبيعة العلاقات السياسية والأحلاف ، ويربط ذلك بالمفهوم العبادي السياسي ، ويربط السياسة بتقوى الله ، والملاحظ في هذا الدعم ، المحافظة على الثوابت الإيمانية في النهج السياسي ، وعدم التورط في تنازلات تؤدي إلى الهلاك .

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). (٦) قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (٧)

والآيات تقرر مبادئ هامة وتميز المؤمنين في معاملتهم لغيرهم مع اعتبار مبدأ الإخراج .

١ سورة النساء - الآية (١٠٠)

٢ سورة آل عمران - الآية (١٢٣)

٣ سورة التوبة - الآيتان (٢٠ ، ٢١)

٤ سورة القصص - الآية (٨٥)

٥ سورة الأنفال - الآية (٧٤)

٦ سورة الممتحنة - الآيتان (٨ ، ٩)

٧ سورة الأنفال - الآية (٧٥)

العنصر الرابع : التماس دار النصر

ويوضح القرآن أن المسلمين بحثوا عن دار للنصرة التي يستطيعوا من خلالها أن يقيموا شعائر الدين ، وأن يرتبوا صفوفهم ، وأن يجمعوا جهودهم لاستعادة أرضهم ، وقد وضح القرآن ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن دار النصر تقع بين أمرين :

١- دار النصر الإيمانية :

وهي دار الإيمان والنصرة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كل دار نصره للمؤمنين الذين يعيشون المحنة ، فينصرهم إخوانهم في المدينة ، ويمثلون معهم لحمة إيمانية ، وإجتماعية ، وسنداً وظهيراً لهم من كل باغ ومعتد ، وتأمل معي قول الله تعالى : (لِفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (١)

وقال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). (٢)

وقال تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...). (٣)

والآيات واضحة الدلالة في أن المدينة كانت دار الإيواء والنصرة للمؤمنين ، وجسدت محضراً وملاذاً لكل مبعد ومخرج .

٢- دار النصر غير الإيمانية :

وقد رأينا من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف التمس دار نصره غير إيمانية ، وهي دار الحبشة ، حيث أرسل أصحابه إليها كما رأينا من خلال البحث ، وهذه الدار يمكن أن تمثل اليوم أية مؤسسة قانونية أو غيرها ، كمجلس الأمن ، أو أي دولة يمكن أن تكون صديقة ، أو لها مصلحة دون أن يؤثر ذلك في معتقدنا وولائنا ، وانظر الآيات ، قال تعالى : (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). (٤)

^١ سورة الحشر - الآيتان (٨ ، ٩)

^٢ سورة الحجرات - الآية (١٠)

^٣ سورة الفتح - الآية (٢٩)

^٤ سورة الممتحنة - الآيات (٧-٩)

والآيات توضح أن على المؤمن أن يسعى لعرض قضيته ، وإظهار حقه لدى جميع المؤسسات والهيئات والمحافل الدولية ، وإن خالفته في الدين بشرط مراعاتها لحقوق الإنسان.

العصر الخامس : النهج والتخطيط العام فى الإدارة والتنظيم :

لقد عرض القرآن صورة واضحة لإدارة وتنظيم حال المبعدين ، ولا بد من توفير ثلاث عناصر كما عرضها القرآن :

- القيادة : إذ ينبغى وجود القيادة التى تقود الأمة إلى حالة النصر ، واسترجاع الحقوق ، ولا بد أن يتوفر فى القيادة عنصر الكفاءة والقوة ، والقدرة على إدارة الأمور ، وإحكام أمر الجند الجيش والموارد والإمكانات .

- الجنود : وهم سند الأمة وعمادها ، وعليهم سيجرى قلم تاريخ الأمة باستعادة الحقوق - المسئوليات : وينبغى أن تُعرف ، وأن تُفهم ، وأن تُنفذ ، وأن تكون الحلقات الثلاث من القيادة والجند والمسئوليات واضحة تماماً ، منظمة معلومة المناهج ، ومدروسة الخطوات ، وذلك من أجل تحقيق المصلحة العامة ، وتأمل الآيات .

قال تعالى : (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرتنا على القوم الكافرين * فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء...) (١) وقال تعالى : (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل

^١ سورة البقرة - الآيات (٢٤٦ - ٢٥١)

فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). (١)

لقد وضح لنا من خلال تفسير هذه الآيات أن الأمة بحاجة إلى نهج وإمرة وقيادة وطاعة من جنودها ، وتحديدًا للمسئوليات ، وتناسقًا للجهود ، وتنفيذًا أمينًا للمهام .

العنصر السادس : النهج والتخطيط في إدارة عالمية الصراع :

ونقصد في ذلك إلى أن قضية الإبعاد والتهجير ، هي جزء من قضايا عدة ، فأى شعب يهجر سيعانى من آثار الفراق والإبعاد من تعليم وصحة وتموين وزراعة وصناعة إلخ ويجب أن تؤخذ بالحسبان كل هذه القضايا المطروحة في حياة المبعدين ، وأن يلتفت إليها ، فقضية المبعدين مترابطة ومتواصلة مع جميع قضايا الأمة وتأمل الآيات :-

قال تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَرَجَلٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا). (٢)
وقال تعالى : (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا أَلَا تَخْشَوْنَ أَنْ تُخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ). (٣)

العنصر السابع : التقويم والمحاسبة والمتابعة :

لا يمكن لأية نظرية يكتب لها النجاح والتوفيق ، دون أن يكون التقويم جزءاً من كيانها ، كذلك فإن المبعدين والمخرجين لابد أن يقفوا عند كل مرحلة ، لتقويم المرحلة التي تمر بها الأمة .

^١ سورة المائدة - الآيات (٢٠ ، ٢٦)

^٢ سورة الفتح - الآية (٢٥)

^٣ سورة التوبة - (١٣)

قال تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ). (١)

وفى تطبيق هذه النظرية نجد القرآن يضرب المثل الواضح فى أمتين ، أمة اعتمدت هذه النظرية ومارستها ، فحق لها أن يكرمها الله ، بالظفر والنصر ، وهى القضية المشار إليها فى سورة البقرة ، قصة طالوت وجالوت ، وأمة خالفت هذا النهج ، وأخذها الغرور والجبن ، فحكم الله عليها بالنتية والذلة ، وهى القصة المضروبة فى سورة المائدة ، وهى قصة التيه لأربعين سنة فى الأرض .

ولقد كان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ودعوته ، وإنشاء جيل مؤمن يحمل رسالة التوحيد ، وفى بناء المسجد ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وفى النهج الذى استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الميثاق الذى عالج طبيعة العلاقات السياسية وغيرها بالآخرين . وهذا التقويم لميزان المؤمنين ، والقادة والجند والمسئوليات ، وفى توفير أوجه الدعم المالى ، والإعلامى والنفسى والسياسى ، فأثبت ثمره ، وأقام دولة ، وأرجع حقاً ، وأعتق رقاً ، وأنجز وعداً ، ونصر عبداً ، وأعز جنداً .

إن النظريات قد تظل إلى أمد طويل حبيسة الأوراق والكتب ، إلا أن يشاء الله للخير أن يعم ، وللشئيت أن يلتقى ، وللمتفرق أن يجتمع ، وللنور المحبوس أن يبدد أشباح الظلام المتكاثفة ، والله نسأل أن يجعل ذلك قريباً .

^١ سورة الممتحنة - الآية (١)

المبحث الثالث

البشرى للمخرجين بالنصر والتمكين

اقتضت سنة الله أن ينصر الحق وأهله ، وأن يهلك الباطل وأهله ، وقد أشارت آيات القرآن في أكثر من موضع إلى هذه السنة الثابتة ، والبشرى القائمة في حياة الناس .
السماء إلى الأرض لتقوم الصلة ، وينشأ العمل ، ولقد دلت الآيات على أن هذا القرآن إنما أنزل مراعيًا وملبيًا لحاجة الواقع ، لتسير حياة الخلق به ، وليقوم الناس به ، وانظر معى هذه الآيات :

قال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) . (١)

وقال الله تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) . (٢)

والمبعدون والمخرجون هم جزء من سنة الله في الخلق ، فهم قوم تكفل الله لهم بنصرتهم ، وعودتهم وتمكينهم ، والآيات في هذه البشارة كثيرة قال تعالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) . (٣)

وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) . (٤)

وقال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . (٥)

والبشرى للمؤمنين في كتاب الله واضحة بيّنة ، وبها أرسل الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبها أمر ، وكانت عادته البشارة لأصحابه ، وأمه من بعده .

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) . (٦)

وقال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . (٧)

^١ سورة المجادلة - الآية (٢١)

^٢ سورة الروم - الآية (٤٧)

^٣ سورة غافر - الآية (٥١)

^٤ سورة الحج - الآيات (٣٨ - ٤٠)

^٥ سورة النور - الآية (٥٥)

^٦ سورة الأحزاب - الآيتان (٤٥ - ٤٦)

^٧ سورة يونس - الآيات (٦٢ - ٦٤)

والمخرج هو رجل مؤمن بالله ، ومؤمن بقضيته ، ومؤمن بعودته .
 قال تعالى : (وبشر الذين ءامنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
 أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (١)
 وقال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). (٢)

والمخرج هو رجل صابر راض بقضاء الله ، محتسب جهده وجهاده عند الله.
 قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
 وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). (٣)
 وقد جعل النصر والتمكين لهؤلاء المبعدين سنة في قرآنه ، يرجع إليها كل طريد وشريد ،
 ومحاصر ومعذب ، ليقراً سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد
 لسنة الله تحويلاً.

وقد قص القرآن علينا نماذج صالحة لهؤلاء المبعدين على النحو التالي :

١- قد سبق القول في قصة طالوت وجالوت ، وقد رأينا فعل الله سبحانه وتعالى في
 جالوت ، وصدق وعد الله لعباده المؤمنين ، ونصره لهم ، قال الله تعالى :
 (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً
 غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ
 جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ...). (٤)

" لا تنطبق هذه الآيات على واقعة كما تنطبق على مسلمي فلسطين ، فقد أخرجوا من ديارهم
 وأموالهم ، وإن طريقهم لهذا إمرة وجهاد ، وأمير مؤمن ، وصف مؤمن ، وغير ذلك ليس
 طريقاً . " (٥)

^١ سورة البقرة - الآية (٢٥)

^٢ سورة يونس - الآية (٨٧)

^٣ سورة البقرة - الآية (١٥٥)

^٤ سورة البقرة - الآيات (٢٤٩ - ٢٥٢)

^٥ الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج ١ ص ٥٧٩

٢- وقد أخبر الله عن هؤلاء المتخلفين عن فتح بيت المقدس ، فى زمن موسى عليه السلام ، وحكى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رحمة الله بالجبل المؤمن الجديد ، الذى حمل القرآن ، ورفع الراية تصديقاً وعزيمة ، واتباعاً لهدى الأنبياء ، وسمعاً وطاعة لقول رسولهم صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله عليهم وردهم إلى مكة فاتحين ، بعد إخراجهم منها مكرهين . " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع لما سار إلى بيت المقدس " . (١)

٣- وها هو نبي الله شعيب ، يقف على أطلال قومه المعتدين ، والذين هددوه أن يصادروا حق موطنه ، وأن يخرجوه ، ويقرر حقيقة خالدة ، أن الحق هو الذى يبقى ، وأن الخبث لا لأصل له فلا يثبت وجوده . قال تعالى : (عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَتَصَحَّتْ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ). (٢)

٤- وها هو نبي الله يوسف ، وبعد أن طرحوه أرضاً ، وأخرجوه من حضن أبيه ، وتجمعوا على فعلتهم ، يعود الحق إلى أهله ، ويعلم الحقيقة الثابتة

قال تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ). (٣)

٥- وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته يحنون إلى موطنهم مكة مرة بعد مرة ، حتى تطوف الروح في جنبات مكة والحرم ، ويرى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا سالحة ، يجمع الناس للبشارة بها ، وتقع في نفوس الصحابة أن الله منجز وعده لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وتخبرنا سورة الفتح هذا النبأ العظيم ، وتفصل في صدق الرؤيا ، وما رافقها من أحداث .

قال تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَرَجَلٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

^١ صحيح - أخرجه احمد - سبق تخريجه

^٢ سورة الأعراف - الآية (٩٣)

^٣ سورة يوسف - الآية (١٠٠)

تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا). (١)

٦- وتتواصل هذه البشرية حتى تصبح الرؤيا حقيقة على الأرض، ويدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتحاً مكة، ويعود الحبيب إلى حبيبه، وصاحب الدار إلى داره، ويعلم القرآن
هذا الحدث العظيم في سورة عظيمة سماها سورة النصر، أعذب كلمة تسمع بعد
التوحيد ، قال تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا). (٢)

هذه السورة الصغيرة كما تحمل البشرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنصر الله والفتح ،
ودخول الناس في دين الله أفواجا ، وكما توجهه صلى الله عليه وسلم ، حين يتحقق نصر الله
وفتحه ، واجتماع الناس على دينه ، إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار ، كما
تحمل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم البشرية والتوجيه ، تكشف في الوقت ذاته ، عن
طبيعة هذه العقيدة ، وحقيقة هذا المنهج ، ومدى ما يريد أن يبلغ بالبشرية إلى الرفعة
والكرامة والخلوص ، والتجرد والانطلاق والتحرر ، هذه القمة السامقة الوضيئة التي لم
تبلغها البشرية قط إلا في ظل الإسلام ، ولا يمكن أن تبلغها إلا وهي تلبى هذا الهدف العلوى
الكريم . (٣)

فما هو بتاركك للمشركين ، وقد فرض عليك القرآن وكفك الدعوة ، ما هو بتاركك
للمشركين يخرجونك من بلدك الحبيب إليك ، ويستبدون بك وبدعوتك ، ويفتنون المؤمنين
من حولك، إنما فرض عليك القرآن لينصرك به في الموعد الذي قدره ، وفي الوقت الذي
فرضه ، وإنيك اليوم لمخرج منه مطارد ، ولكنك غداً منصور إليه عائد .

وهكذا شاعت حكمة الله ، لينزل على عبده هذا الوعد الأكيد ، في ذلك الظرف المكروب ،
ليمضى صلى الله عليه وسلم في طريقه آمناً واثقاً ، مطمئناً إلى وعد الله الذي يعلم صدقه ،
ولا يستريب لحظة واحدة فيه .

وإن وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى في سبيل الله ،
فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية ، وتولى عنه المعركة حين يبذل
ما في وسعه ، ويخلى عاتقه ، ويؤدى واجبه .

^١ سورة الفتح - الآيات (٢٥-٢٨)

^٢ سورة النصر - الآيات (١-٣)

^٣ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٨ ص ٦٩١ .

إنها البشرى التي حملتها سورة القصص في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ...) . (١)

إنها رحلة قصيرة في عمر الزمن، طويلة في آثارها وبركاتها، من هناك حيث العذاب بمكة، ثم اللجوء والهجرة إلى الحبشة ثم الطائف ثم المدينة ، ثم الصبر بعد الصبر ، ثم يعود الغريب إلى بيته فاتحاً منتصراً.

قال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) . (٢)

" ويروى الإمام ابن كثير أن الصليبيين لما دخلوا بيت المقدس ٤٩٢ هـ قتلوا أكثر من ٦٠ ألف من العلماء والصالحين وحفظه القرآن ، ودخل الصليبيون إلى بيت المقدس يحملون معهم صليب الصليبيات ، فشربوا الخمر ، وجامعوا النساء ، وجعلوا قبة الصخرة اصطبلًا للخيول ، وحرقوا القرآن وهدموا المحراب ، ونادوا من فوق مآذن المسجد الأقصى " إن الله ثالث ثلاثة " ، ولم ينته المشهد هنا ، ولم تقف حركة التاريخ ، بل جاء صلاح الدين الأيوبي ، ليعود المطرود إلى بيته ومسجده، إلى أرضه وسمائه، فقتل سبعين ألفاً من الصليبيين ، ودخل الفاتحون إلى المسجد فكسروا الصليبان ، ورفعوا الأذان ، وقرأوا القرآن ، ووجدوا الرحمن ، ولم ير يوم أعز عند الله من يوم تحرير المسجد الأسير " . (٣)

إن المخرج يجب أن يدرك أنه محاط برعاية الله وعنايته ، وأن حفظ الله لا يتخلى عنه ، حتى في أشد درجات المكر والتخطيط .

قال تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يِقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) . (٤)

وقال تعالى : (وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) . (٥)

وقال تعالى : (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) . (٦)

^١ سورة القصص - الآية (٨٥)

^٢ سورة النحل - الآيتان (٤١ ، ٤٢)

^٣ انظر البداية والنهاية - ابن كثير ج ١٢ ص ٤٥٢ - بتصرف.

^٤ سورة الإنفال - الآية (٣٠)

^٥ سورة إبراهيم - الآية (٤٦)

^٦ سورة الاسراء - الآية (٧٦)

إن الذي يفكر في إخراج المؤمنين وإذلالهم ، ستجري عليه سنة الله عاجلاً أم آجلاً ، كما جرت على فرعون وقومه ، الذي خطط لموسي وللمؤمنين ، وقد قال الله عنهم : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ). (١)

إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، ولقد رد موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هارباً مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، ودمر به فرعون وماله ، وكانت العاقبة للمهتدين فامض إذا في طريقك ، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك الله الذي فرض عليك القرآن الكريم . (٢)

قال الله تعالى : (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى). (٣)

فكانت العاقبة قال الله تعالى : (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ). (٤) ، وقال الله تعالى : (كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينِ). (٥)

وكذلك جرت سنة الله في الخائنين الذين تربصوا بالمؤمنين ، وبدعوة المسلمين في المدينة ، إذ تولى الله إخراجهم بنفسه ، فقال سبحانه وتعالى : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). (٦)

إن المبعدين والمخرجين ينبغي أن ينظروا في سنة الله من جديد ، وأن يتأكدوا أن الله غالب على أمره ، وأن النصر والتمكين حليف المؤمنين ، وأن الخذلان والهزيمة هو حليف الكافرين ، قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). (٧) ، وقال تعالى : (وَكَايُنْ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ). (٨)

^١ سورة الأعراف - الآية (١١٠)

^٢ في ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٦ ص ٣٧٩ .

^٣ سورة طه - الآية (٥٧)

^٤ سورة الشعراء - الآيات (٥٧ - ٥٩)

^٥ سورة الدخان - الآيات (٢٥ - ٢٨)

^٦ سورة الحشر - الآية (٢)

^٧ سورة إبراهيم - الآية (١٣)

^٨ سورة محمد - الآية (١٣)

واليوم ونحن نسجل هذه الكلمات في هذه الفترة العصبية من حياة أمتنا ، وتاريخ قضيتنا ،
نقول لكل مبعد ومخرج ، ومنفي ومطرود وفرد أيها المعذبون جميعاً :
تقوا بوعد الله ، وتقوا بنصر الله ، ارفعوا رؤوسكم عالياً ، وأحسنوا الظن بالله ، إن الذي لم
يترك محمداً صلي الله عليه وسلم وأصحابه ما زال حياً ، وما زال متجلّ على عرشه ، قائماً
بأمره على خلقه ، لا يبلى له سلطان ، فاسألوه سؤال المضطر فإنه المجيب .
قال الله تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ
اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ). (١)
الله نسأل ،،، أن يجمع شملنا ، وأن يلم شعنتنا ، وأن يرحم غربتنا ، وأن يرد غائبنا ، وأن
يفرج كربتنا ، اللهم اجعل في كتابنا الأثر ، وأنر به البصيرة والبصر ، واكتب له القبول
والإخلاص يارب البشر ، واغفر لنا ولوالدينا يا خير من تاب وغفر .
اللهم آمين .

^١ سورة النمل - الآية (٦٢)

الخاتمة

موجز الرسالة أهم نتائجها :

تناول التمهيد : مبحثين حول تعريف الإخراج لغة وشرعاً ، ثم تعريف نظائر الإخراج لغة واصطلاحاً وهي الإبعاد والنفي ، والطرْد والتشريد والطرح ، وذلك بتتبع معانيها في بطون كتب اللغة ، والخلوص إلى تعريفات شرعية لها .

أما الفصل الأول :

والذي كان بعنوان الإخراج في السياق القرآني ، فقد شمل سبعة مباحث ، تطرق إلى تتبع آيات الإخراج ونظائرها في السياق القرآني المكي والمدني ، وعن الإخراج بين التمهيد والعقوبة ، والإخراج المحمود والإخراج المذموم ، وتعرضنا لكل واحد منهما ، وأوجه كل نوع منهما ، ثم الأسباب والمبررات والدوافع لقضية الإخراج ، ومنها ما هو رباني ومنها ما هو بشري ، وتعرضنا للدوافع لكل منهما ، وعن الآثار والنتائج المترتبة على الإخراج . ثم حكم عقوبة الإخراج وأحكامها الشرعية ، واستخراجها من مظانها الشرعية والفقهية ، وأقوال العلماء فيها ، وبيان موقف المنافقين من قضية الإخراج مع توضيح الإشارات القرآنية لمواقفهم .

نتائج هذا الفصل :

- ١- التعرف على معنى الإخراج لغة مع الخروج بتعريف شرعي للإخراج .
- ٢- التعرف على النظائر لكلمة الإخراج من الإبعاد والطرْد والتشريد والطرح والنفي والهجرة وتعريف كل منها لغة ، والخروج بتعريف شرعي لكل منها .
- ٣- ظهرت الفروق في طبيعة السياق القرآني بين المكي والمدني ، وعدد كل واحد منهما في تناول قضية الإخراج .
- ٤- وضحت الآثار المهمة والموضحة لجريمة الإخراج من خلال الإحصاء ، والتتبع لآيات الإخراج .
- ٥- بان أن الإخراج ابتلاء يبتلى الله به بعض عباده المؤمنين على سنة مقدرة من الله .
- ٦- ثبت أن الإخراج عقوبة ثابتة يقررها الله على من خالف أمره ونهيه .
- ٧- التعرف على أن الإخراج منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم وأوجه ذلك .

- ٨- ظهرت لنا المبررات والدوافع الحقيقية لقضية الإخراج وأسبابها .
- ٩- وضحت لنا الآثار والنتائج الهامة الإيجابية والسلبية المترتبة على الإخراج .
- ١٠- التعرف على الأحكام الشرعية المتعلقة بالإخراج ومواطنه في شرعنا الحنيف .
- ١١- التميز في هذه الأحكام الشرعية بين ما هو إيجابي ووقائي وبين ما هو مجحف بحق المؤمنين .
- ١٢- بانث مواقف المنافقين من قضية الإخراج ، وخطرهم على أمة الإسلام .

أما الفصل الثاني :

فقد كان الحديث فيه عن الإخراج من الديار في حق الأنبياء وأتباعهم من خلال القرآن الكريم ، واشتمل على ثلاثة مباحث في تتبع المخرجين من الأنبياء والرسل الكرام وأتباعهم ثم الحديث عن جريمة الإخراج في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلطانها فيها الضوء على التدرج الذي رصده القرآن في بيان هذه المرحلة الخطيرة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تحدثنا عن إخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيننا فيه الصورة الواضحة لمعالم هذا الإخراج ، وما رافقه من صور وتضحيات.

نتائج هذا الفصل :

- ١- ظهر لنا أن الإخراج سنة عامة في الرسل والأنبياء ومن سار على هديهم .
- ٢- ثبت أن الإخراج سنة ثابتة دائمة بين الإبتلاء والتسليط والعقوبة .
- ٣- التعرف على تاريخ وجغرافية هذه الهجرات التي وقعت للأنبياء والرسل .
- ٤- وقفنا على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والظروف التي أحاطت بذلك .
- ٥- بانث لنا التضحيات العظيمة التي بذلها الأنبياء والرسل والأصحاب حتى وصل إلينا هذا الدين .
- ٦- التعرف على عظيم الرابطة الناتجة عن هذا الإخراج .
- ٧- ظهرت حكمة التشريع في مشروعية الهجرة .

أما الفصل الثالث :

وهو دافع الإخراج في فلسطين كما عرضه التصور القرآني ، فقد اشتمل على أربعة مباحث ، وقد تناولت الحديث عن واقع بنى إسرائيل في خروجهم من مصر ، وصراعهم مع فرعون

، وطبيعة هذه المرحلة وما رافقها من هجرة وخروج وتتكب عن الطريق ، ثم وقفات مع سورة الإسراء من خلال قضية الإخراج ، وعرضنا الحديث الواضح عن إفسادتي بنى إسرائيل ، والعلاقة المباشرة فى ذلك مع قضية الإخراج ، وأن هناك صلة وثيقة فى العرض القرآنى بذلك .

ثم عن الفكر الصهيونى القائم على التهجير والإستيطان ، وعن أخلاق اليهود وزعمائهم ، وطبيعة هؤلاء الكفرة فى إخراج الموحدين ، وقد تواصل هذا الحديث فى المبحث الرابع وهو الرواية التوراتية لليهود فى مسألة الإخراج نتيجة الأساطير التى اعتمدها فى منهجهم .

نتائج هذا الفصل :

١- ظهرت لنا النفسية الإنهزامية التى عاشها بنو إسرائيل ، وثقافة الهزيمة التى يحملونها
٢- ثبت أن اليهود أضربوا عن حياة الجهاد رغبة منهم فى استبقاء أنفسهم تحت الذل
٣- ثبت لنا أن القرآن هو المظلة الهامة التى ينبغى اللجوء إليها لفهم طبيعة المعركة
٤- إن علو بنى إسرائيل مرتبط لحد كبير بإفسادهم فى الأرض مع ما توفر لهم من المال والبنين .

٥- ظهر أن الفكر الصهيونى بُنى على أساطير دينية رسخت مبدأ تملك الأرض وإخراج أهلها الأصليين وطردهم .

٦- أصّل اليهود وأرخوا لهجراتهم المختلفة واعتنوا بذلك ولو كان ذلك مبنياً على الكذب .
٧- ثبت بأن اليهود اعتمدوا قهر الفلسطينيين ، وقتلهم وطردهم وإخراجهم معتقدين أن ذلك جزء من عقيدتهم وتوراتهم المحرفة .

٨- ثبت أن اليهود أحلوا لأنفسهم كل الوسائل غير المشروعة واللاأخلاقية لتنفيذ برنامجهم ومشروعهم الإستيطانى.

٩- ثبت أن الرؤى التوراتية والتلمودية والدينية التى بنى عليها اليهود خططهم وتنفيذهم مجرد أكاذيب واهية لا تمت إلى روح التشريع السماوى الذى يأمر بالعدل والإحسان .

١٠- ثبت أن من الخطط التى إستخدمها اليهود فى إخراجهم للفلسطينيين أن يبقى الفلسطيني فى المذبح وحده ، وأن يدفع الثمن وحده ، وأن يتلاشى وجوده وتنتهى هويته .

أما الفصل الرابع :

وهو مواجهة الإخراج من خلال فريضة الجهاد ، فقد تم الحديث عنه من خلال ثلاثة مباحث وتناولت الجهاد والمقاومة وأنه حق مشروع نادى به القرآن ، والقوانين الشرعية والمبادئ القانونية والعرفية ، ولا سبيل للأمة سواه ، وأن ذلك ينبغي أن يكون مبنياً على خطة ومنهج ونظرية وتطبيق لهذه النظرية .

وإن هذه النظرية مستقاة من فهم النصوص القرآنية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومبنية على فهم السنة القرآنية بعودة المبعدين والمخرجين ، وأن النصر والتمكين هو حليفهم ، وأن التبشير منهج قرآني يجب الحرص عليه والدعوة إليه .

نتائج هذا الفصل :

- ١- ثبت أن فريضة الجهاد هي الفريضة التي يجب أن ينهاجها المخرجون لاستعادة حقوقهم .
- ٢- وضح أن المقاومة حق مشروع مكفول في الشرائع السماوية والقوانين الأرضية .
- ٣- بان أن المعركة التي ينبغي أن يسلكها المخرجون والمبعدون لاستعادة حقوقهم لا بد أن تُبنى على نظرية إيمانية قرآنية تعينهم على إدارة الصراع وإعادة الحقوق .
- ٤- وضح بأن المبعدين والمخرجين بحاجة إلى مراكز بحث ومؤسسات ثقافية ، ومنتديات علمية تضع الخطط والمناهج العمل اللازم لفهم الصراع والعودة .
- ٥- ظهر أن القرآن يرشد دائماً إلى التبشير ، وعلى الدعاة الأخذ بهذا المبدأ .
- ٦- بان أن النصر والتمكين وعد من الله لعباده المؤمنين .

النصائح والتوصيات :

بعد النظر والتدقيق فيما سبق ذكره ، والاطلاع عليه يوصى الباحث بما يلي :

- ١- ضرورة مواصلة البحث من طلبة العلم لهذا المبحث الهام من كتاب الله .
- ٢- على القادة السياسيين والدعاة الموحدين ، والعاملين فى الحقل الإسلامى وأصحاب الأقلام ومراكز القرار ، والوجهاء من هذه الأمة التركيز الهام على الفهم القرآنى ، واستتطاق القرآن فى جميع القضايا التى تخص وجود هذه الأمة ، وحاضرها ومستقبلها ، والجمع بين النص القرآنى والواقع .
- ٣- على المؤرخين أن يبرروا أقلامهم فى الحديث والكتابة عن إخراج وتشريد الشعب الفلسطينى ، فإنه مما يؤخذ على الفلسطينيين عدم التأريخ الهام لهذه المصيبة الخطيرة .
- ٤- على مراكز البحث والدراسات والأندية الإعلامية والعلمية تفعيل هذه الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ، وعلى جميع المهتمين بإنقاذ الشعب الفلسطينى من إعلاميين وسياسيين ، أن يبادروا إلى إستلام الراية ، وليجهرُوا فى كل الأرض أننا أصحاب الأرض وأصحاب الحق

الفهرس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

رابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة
وبشر الذين ءامنوا وعملوا	البقرة	(٢٥)	٢١٠
ثم قلنا للملائكة اسجدوا	البقرة	(٣٤)	٦٢
وقلنا يا ءادم اسكن أنت	البقرة	(٣٥)	١١٨ + ٣٩
فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما	البقرة	(٣٦)	٢٠٠ + ٩٣ + ٦٣
فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب	البقرة	(٣٧)	٤٠
قلنا اهبطوا منها جميعاً	البقرة	(٣٨)	١١٩
وقد كان فريق منهم يسمعون	البقرة	(٧٥)	١٧٥
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	البقرة	(٧٩)	١٧٥
وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون	البقرة	(٨٤)	٢٦
ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم	البقرة	(٨٥)	٢٦
يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى	البقرة	(١٢٢)	١٦١
وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات	البقرة	(١٢٤)	٣٥
ولنبلونكم بشيء من الخوف	البقرة	(١٥٥)	٢١٠
واقتلوهم حيث تقتلهموهم	البقرة	(١٩١)	٧٤ + ٤٩
ليس عليكم جناح أن تبتغوا	البقرة	(١٩٨)	١٠٤
ومن الناس من يشرى	البقرة	(٢٠٧)	٢٠٠ + ١٩٠
كان الناس أمة واحدة	البقرة	(٢١٣)	١٩٥
يسئلونك عن الشهر الحرام	البقرة	(٢١٧)	٢٠٢ + ١٩٧ + ١٠٢ + ٢٨
الذين ءامنوا والذين هاجروا	البقرة	(٢١٨)	
ألم تر إلى الذين خرجوا وهم	البقرة	(٢٤٣)	
ألم تر إلى الملا من بنى إسرائيل	البقرة	(٢٤٦)	
فلما فصل طالوت بالجنود قال	البقرة	(٢٤٩)	

١٨٩ + ٩٤ + ٨٨ + ٢٨	(٢٥١)	البقرة	فهزموهم بإذن الله وقتل
٢٠٠ + ١٨٥	(٢٦٨)	البقرة	الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
٢٠٠ + ٢٠٦ + ١٨٥	(٢٧٣)	البقرة	للفقراء الذين أحصروا فى سبيل
٢١٠	(٢-١)	آل عمران	آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم
٩١	(١٢٣)	آل عمران	ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة
١١٠	(١٨١)	آل عمران	لقد سمع الله قول الذين قالوا
٢٠٣	(١٩٥)	آل عمران	فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع
١٩٥			
٢٠٤			
١٧٥			

١٤١ ٨٤ + ٧٧ + ٣٨ + ٢٥
١٩٩ + ١٨٩ +

١٧٥	(٤٦)	النساء	من الذين هادوا يحرفون الكلم
١٤٣ + ٨٦ + ٦٤ + ٣٠	(٦٦)	النساء	ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
+ ١٨٦ + ١٢٤ + ٦٩	(٧٥)	النساء	وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله
٢٠١ + ١٩٠	(٨٩)	النساء	ودوا لو تكفرون كما كفروا
١٣٧	(٩٦)	النساء	درجات منه ومغفرة ورحمة
٨٥	(٩٧)	النساء	إن الذين توفاهم الملائكة
+ ١٠٥ + ٦٧ + ٤٣	(٩٨)	النساء	إلا المستضعفين من الرجال
١٩٩ + ١٠٦	(٩٩)	النساء	فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
١٠٥	(١٠٠)	النساء	ومن يهاجر فى سبيل يجد فى
١٣٦ + ١٠٥	(٢٠)	المائدة	وإذ قال موسى لقومه يا قوم
١٣٦ + ٨٥ + ٥٥ + ٤٥ + ٣٨	(٢٣)	المائدة	قال رجالن من الذين يخافون أنعم
٢٠٤ + ٢٠٣ + ٢٠٠ +	(٣٣)	المائدة	إنما جزاء الذين يحاربون الله

٢٠٧ + ١٥٠	(٤٤)	المائدة	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور
١٥٠	(٦٦)	المائدة	ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل
١٠٧ + ٩١ + ٧٣	(٦٨)	المائدة	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء
١٧٥	(١١٨)	الأنعام	ولقد كذبت رسل من قبلك
١٧٥	(٣٤)	الأنعام	ولا تطرد الذين يدعون ربهم
١٧٥	(٥٢)	الأنعام	وكلك فتنا بعضهم ببعض
٣٦			
٦٠ + ٤٢ + ٣٧	(٥٣)	الأنعام أو يلبسهم شيعاً ويذيق
٦١	(٦٥)	الأنعام	وإذا رأيت الذين يخوضون
	(٦٨)	الأنعام	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي
١٠١	(١٦٢)	الأعراف	المص . كتاب أنزل إليك فلا يكن
	(٢-١)	الأعراف	ومن خفت موازينه فأولئك الذين
١٠٢	(٩)	الأعراف	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم
١٩٦	(١١)	الأعراف	قال اخرج منها مذموماً مدحوراً
	(١٣)	الأعراف	قال فاهبط منها فما يكون لك أن
١٩٥	(١٨)	الأعراف	فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما
٢٣	(٢٠)	الأعراف	وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين
	(٢١)	الأعراف	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم
٦١	(٢٣)	الأعراف	يا بني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما
٩٢ + ٣٨ + ٣٨ + ٩	(٢٧)	الأعراف	قل من حرم زينة الله التي أخرج
٩٢ + ٣٨ + ٢٤	(٣٢)	الأعراف	وما كان جواب قومه إلا أن قالوا
٦٢	(٨٢)	الأعراف	قال الملأ الذين استكبروا من قومه
١٠٩ + ٦٢	(٨٨)	الأعراف	وما أرسلنا في قرية من إلا أخذنا
	(٩٣)	الأعراف	قال الملأ من قوم فرعون إن هذا
٣٩	(١٠٩)	الأعراف	يريد أن يخرجكم من أرضكم
٩٢ + ٦٣ + ٤٠ + ٣٤ + ٢٣	(١١٠)	الأعراف	وقطعناهم في الأرض أمماً
١٥٨	(١٦٨)	الأعراف	إن الذين تدعون من دون الله
١٢٢ + ٧٧	(١٩٤)	الأنفال	كما أخرجك ربك من بيتك بالحق

١٢٣+ ٧٥+ ٣٤ + ٣٠	(٥)	الأطفال	واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون
٢٠١+	(٢٦)		
٢١٠			
١٤٦			
٢١٣ + ٧٧ + ٥٦			
٩٥			
١٥٨			
١٨٨ + ٦٦ + ٩			
٢٠٣+٢٠٢+١٣٨+٦٠			

رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
١٩٦	(١)	إبراهيم	الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
+٣١ + ٢٥	(١٣)	إبراهيم	وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجكم
+ ١١٧ +٩٥+٧٦	(٣٥)	إبراهيم	وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا
٢١٤ +٢٠٢+١٩٨	(٤٦)	إبراهيم	وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم
١٢١	(٩)	الحجر	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
٢١٣	(٣١)		

١٩٦	(٣٤)	الحجر	إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين
٦٣		الحجر	قال فأخرج منها فإنك رجيم
٩٣	(٣٥)		
	(٦٥)	الحجر	وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين
٩٣ + ٣٩	(٤١)	الحجر	فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع
١٢٤		النحل	والذين هاجروا فى الله من بعد ما
+ ٣٨ + ٣٧ + ٢٥	(٩٠)		
٩٠ + ٧٧ + ٧١ + ٤٩	(١٠٦)	النحل	إن الله يأمر بالعدل والاحسان
+ ١٩٩ + ١٣٣ +	(١١٠)	النحل	إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان
٢١٣		النحل	ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد
١٧٦			
١٠٥	(٤)		
+ ٣٨ + ٣٧ + ٢٥	(٥)	الإسراء	وقضينا إلى بنى إسرائيل لتفسدن
+ ١٣٣ + ٧٧ + ٥٥	(٧)	الإسراء	فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم
١٩٩ + ١٨٤ + ١٣٦	(٨)	الإسراء	فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا
١٥٤	(١٥)	الإسراء	عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم
١٦٠	(٧٦)	الإسراء	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
١٥٧	(٧٧)	الإسراء	وإن كادوا ليسفزونك من الأرض
١٥٤	(٨٠)	الإسراء	سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا
١٣٥	(٨٦)	الإسراء	وقل رب أدخلنى مدخل صدق
+ ٦٧ + ٤٧ + ٣٣ + ٣١	(١٠٣)	الإسراء	ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن
٢١٣ + ١٩٨ + ١٢٨	(١٠٤)	الإسراء	فأراد أن يستفزه من الأرض
١٦٢	(١٠٥)	الإسراء	وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا
١٢٩	(٥٠)	الإسراء	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما
١٦٤	(٦٠)	الكهف	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
	(١١٠)	الكهف	وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى

٤٣ + ٣٨	(٤٧)	الكهف	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما
١٦٣ + ٩٦ + ٤٣	(٥٧)	طه	فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم
١٦٣	(٦٣)	طه	قال أجنبتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك
٣٩	(٧٧)	طه	قالوا إن هذان لساحران يريدان أن
١٢٧	(٨٤)	طه	ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر
	(٨٧)	طه	قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك
	(١١٥)	طه	ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم
١٢٥	(١١٧)	طه	... فنسى ولم نجد له عزماً
٥٧ + ٢٤	(١٠)	طه	فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك
٢١٤ + ٧٨ + ٥٧	(٢٣)	الأنبياء	لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم
١٤٧ + ١٢٦	(٧١)	الأنبياء	لا يستل عما يفعل وهم يُستلون
٥٢	(٣٨)	الأنبياء	ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى
١٤٩	(٣٩)	الأنبياء	إن الله يدافع عن الذين ءامنوا
٤١	(٤٠)	الحج	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
١١٩ + ٩٤ + ٤٢		الحج	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق
١٣٣	(٥٨)		
٦٢	(٧٨)	الحج	والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا
١٢٤ + ١٢٠	(٣٥)	الحج	ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين
+ ٢٠١ + ١٨٤		المؤمنون	أبعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً
٢٠٩			
+٥٠+٣٦+٢٩+٢٦			
٢٠١ + ١٩٧+٩٨			
٥٠ + ٣٤+ ٢٩ + ٢٦			
٢٠٠ + ١٩٦ + ٩٧ +			
١٣٤ + ٨٩ + ٤٨			

١٥٩				
١٠				
١٣	(٤١)	المؤمنون	فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم	
١١٨	(٩٩)	المؤمنون	قال رب ارجعون	
٧٤	(١)	النور	سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها	
١٤٠	(٢٢)	النور	ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة	
١١١ + ١١٠	(٥٣)	النور	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم	
٢٠٩	(٥٥)	النور	وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا	
١٨٤ + ١٨٣	(٥٢)	الفرقان	فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً	
١٤٧	(١٧)	الشعراء	أن أرسل معنا بنى إسرائيل	
٧٨ + ٥٧	(٣٥)	الشعراء	يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره	
١٤٩ + ١٤٨	(٥٢)	الشعراء	وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى	
٢١٤	(٥٣)	الشعراء	فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين	
٢١٤	(٥٧)	الشعراء	فأخرجناهم من جنات و عيون	
٦٠	(١١١)	الشعراء	قال وما علمى بما كانوا يعملون	
٣٦	(١١٤)	الشعراء	وما أنا بطارد المؤمنين	
١٢٣ + ٣٥ + ١٤	(١١٦)	الشعراء	قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن	
٥٢	(٣٧)	النمل	ارجع إليهم فلنخرجنهم منها أدلة	
٣١ + ١٠	(٥٦)	النمل	فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	
٢١٥	(٦٢)	النمل	أمن يجيب المضطر إذا دعاه	
٨٦	(٨٢)	النمل	ونريد أن نمن على الذين استضعفوا	
٦١	(٥)	القصص	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم	
٨٥ + ٧١ + ٤٧ + ٣٥	(٢٠)	القصص	وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى	
١٢٥ +	(٢١)	القصص	فخرج منها خائفاً يترقب	
	(٢٩)	القصص	فلما قضى موسى الأجل وسار	
	(٧٦)	القصص	إن قارون كان من قوم موسى	
	(٧٩)	القصص	فخرج على قومه فى زينته قال	
	(٨٥)	القصص		
	(٢-١)			

١٠٣	(٥)	القصص	إن الذى فرض عليك القرآن
١٢٥	(٢٦)	العنكبوت	ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن
٥٧		العنكبوت	من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل
١٠	(٦٩)	العنكبوت	فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي
	(٩)		
٢٤٥ + ٢٠٤ + ٩١	(٤٧)	العنكبوت	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
٣١	(٥)	الروم	أولم يسيروا فى الأرض فينظروا
٤٥	(٦)	الروم	ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم
١٢٣+١٢٢+١٠٣+٣٥	(٤٥)	الأحزاب	ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله
		الأحزاب	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
١٨٩		الأحزاب	يأيتها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
١٠٤			
٢٠٩ + ١٨٩			
١٤١			
١٤١			
٢٠٩			
+ ٩٧ + ٦٥ + ١٤	(١٩)	سبأ	فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا
٢٠٢	(٤٢)	فاطر	فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد
٤٣	(٩٩)	الصفافات	وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين
١٠٣	(١٧١)	الصفافات	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
٣٢	(٢٩)	ص	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا
	(٧٧)	ص	قال فاخرج منها فإنك رجيم
١٩٦	(٢٦)	غافر	وقال فرعون ذروني أقتل موسى
	(٥١)	غافر	إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا فى

٣٩	(٢٥)	الدخان	كم تركوا من جنات وعيون
٧٨	(١٣)	محمد	وكأين من قرية هي أشد قوة من
٢٠٩	(٣٥)	محمد	فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم
٢١٤	(٢٥)	الفتح	هم الذين كفروا وصدوكم عن
+ ٣٣ + ٣١ + ٣٥	(٢٩)	الفتح	محمد رسول الله والذين معه أشداء
+ ٧٦ + ٦٦ + ٣٦	(١٠)	الحجرات	إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
١٩٨ + ٨٧	(٣١)	الذاريات	قال فما خطبكم أيها المرسلون
٢٥	(٣٥)	الذاريات	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين
٢١٩ + ٢٠٧	(٢١)	الطور	والذين ءامنوا واتبعتم ذريتهم
٢٠٥	(٢١)	المجادلة	كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله
٢٠٥	(١)	الحشر	سبح لله ما فى السموات وما فى
٢٠٥	(٢)	الحشر	هو الذى أخرج الذين كفروا من
٤٨	(٨)	الحشر	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
٨٥	(٩)	الحشر	والذين تيوءوا الدار والإيمان من
١٢٩	(١١)	الحشر	ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون
٢٠٩	(١٣)	الحشر	لئن أخرجوا لا يخرجون معهم
٥٢	(١)	المتحنة	بأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى
١٦٥ + ٦٥ + ٥١	(٧)	المتحنة	عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين
٢١٤ +	(٨)	المتحنة	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
٢٠٤ + ١٣٩ + ٨٣	(٩)	المتحنة	إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
١٦٥ + ١١٣ + ١٠٠ + ٢	(١٠)	المتحنة	بأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم
١٠٠	(٢)	المنافقون	إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله
+ ٧٥ + ٤٧ + ٣٧ + ٣٦	(٤)	المنافقون	وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
٢٠٠ + ١٩٨ + ١٨٩ + ٨٠	(٨)	المنافقون	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
٢٠٨ +	(١)	الملك	تبارك الذى بيده الملك وهو على كل

٢٠٦ + ١٨٨	(١٠)	القلم	ولا تطع كل حلاف مهين
٢٠٤ + ١٣٨	(٨)	البروج	وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله
٢٠٤+٢٠٦+١٨٨ + ١٣٨	(٨)	البينة	رضى الله عنهم ورضوا عنه
١٤٢	(٣-١)	النصر	إذا جاء نصر الله والفتح
١١١			
٧٧			
١١٤ + ٨٠ + ٣٧			
٣١			
١١٠			
١٩٧ + ٧٨			
١٣٣			
٢١٢			

ثانياً : فهرس الأحاديث

رقم الحديث	رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة	الحديث
١	٧٠	إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد
٢	١٠٥	إن هاجرتم فلکم ما للمهاجرين
٣	٤٥	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى
٤	١٠٥	إن الله عز وجل جعل لكم مخرجا وفرض على أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عثمان بايع في عشرة من أصحاب

٩٧	5	أن الطاعون ذكر عند رسول الله
٢٠٢	6	أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده
١٠٤	7	أن موسى عليه السلام قد خرج إلى أرض
١٠٩	8	أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوثع .
١٢٦	9	إنقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله .
١٢٧	10	أول من قدم علينا من أصحاب النبي .
١٠٦	11	اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر
111	12	أريت دار هجرتكم ذات نخل .
٨٩	13	أختنن ابراهيم عليه السلام .
٧٠	14	أى واد هذا
١٢١	15	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين
١٢٦	16	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
٧٠	17	حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى
١٢١	18	رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على
١٢٦	19	خرج حمزة بن جندب من بيته مهاجراً .
٧٠	20	ستكون هجرة بعد هجرة .
١٠٨	21	فقال له ورقة بن نوفل .
١٢٠	22	فلو كنت ثم لأريتكم قبره
١٣١ + ٩٥	23	
٤٦	24	
١٢١		
١٢٨ + ١١٨		
١٢٧		

الحديث رقم الحديث رقم الصفحة التي وردت فيها من

الرسالة

١٤١	25	كان النبي يأمر عمر تحليفهن
٤١	26	كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
١٠٥	27	لا يقبل الله من مشرك عملاً .
١٠٣	28	لا تشد الرحال إلا في ثلاثة مساجد
١٥٩	29	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود .
١٦٠	30	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر .
113	31	لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال
107	32	لقد أوزيت في الله وما يؤذى أحد .
94	33	ما أطيبك من بلدة وأحب إلي ولولا أن قومي .
88	34	المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض .
100	35	من قتل دون ماله فهو شهيد .
105	36	من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين .
109	٣٧	هل أتى عليك يوم كان أشد عليك .
160	٣٨	ينزل الدجال هذه السبخة رأى خارج المدينة.

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

- ١- ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري تحقيق وطباعة - دار أبي حيان - القاهرة الطبعة الأولى - ١٩٩٦
- ٢- ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل - مسند الامام أحمد - الموسوعة الحديثية مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ بيروت لبنان
- ٣- ابن عاشور : محمد الطاهر ابن عاشور - تفسير التحرير والتنوير - دار كنون للنشر والتوزيع تونس
- ٤- ابن العربي : أبي بكر محمد بن عبد الله - أحكام القرآن - تحقيق علي محمد الجاوي - دار الفكر.
- ٥- ابن عطية : أبي عبد الله محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تحقيق عبد السلام عبد الشافعي محمد - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٣.
- ٦- ابن كثير : أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ الشركة الدولية للطباعة.
- ٧- ابن كثير : السيرة النبوية - تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة - ١٩٧٦ بيروت.
- ٨- ابن كثير : قصص الأنبياء - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الرياض - الطبعة الأولى ١٩٩٧
- ٩- ابن كثير : البداية والنهاية - تحقيق وطباعة دار أبي حيان - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ١٠- ابن ماجه : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير ابن ماجه تحقيق العلامة المحدث - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الأولى

- ١١- ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم - لسان العرب - تحقيق نخبة من العلماء - دار المعارف - القاهرة
- ١٢- أبي البقاء : أيوب بن موسى بن السمين الكنوى - الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٩٩٣
- ١٣- أبو الحسين : أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت ١٩٩١
- ١٤- أبو حيان : محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى - التفسير الكبير المسمى البحر المحيط - تحقيق مجموعة علماء - منشورات محمد على بيضون - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٥- ابن القيم الجوزية : أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن القيم الجوزية - تحقيق وجمع يسرى السيد محمد - دار الوفاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
- ١٦- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني - سنن أبى داود - تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألبانى - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الأولى.
- ١٧- أبو السعود : محمد بن محمد العماوى - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار الفكر - ص ب ٧٠٦١ - بيروت.
- ١٨- أبو يعلى الموصلى : أحمد بن على بن المثنى الموصلى - مسند أبى يعلى الموصلى - تحقيق إرشاد الحق الأثرى - الطبعة الأولى ١٩٨٨ داتر النبلة للثقافة الاسلامية جدة - مؤسسة علوم القرآن بيروت.
- ١٩- أحمد مصطفى المراغى : تفسير المراغى - دار الفكر - بدون تاريخ.
- ٢٠- الأصفهانى : أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
- ٢١- الألبانى : محمد ناصر الدين الألبانى - صحيح السيرة النبوية - المكتبة الإسلامية عمان - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .
- ٢٢- الألوسى : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - دار الفكر - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٢٣- البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزیه البخارى - طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- ٢٤ - البغوى : أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى - معلم التفسير فى التنزيل والتأويل - دار الفكر - بيروت لبنان ١٩٨٥م.
- ٢٦ - البقاعى : برهان الدين أبى الحسين إبراهيم بن عمر البقاعى - نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - خرج آياته عبد الرازق غالب المهدي - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ٢٧ - البيضاوى : القاضى ناصر الدين عبد الله أبى عمر بن محمد الشيرازى - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تحقيق عبد القادر عرفات العشاء حسونة - دار الفكر - بيروت ١٩٩٦م.
- ٢٨ - البيهقى : أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى - السنة الكبرى - تحقيق محمد عبد القادر عطا - طباعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٤م.
- ٢٩ - الترمذى : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - الجامع الصغير المعروف سنن الترمذى - تحقيق العلامة المحدث - محمد ناصر الدين الألبانى - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الأولى.
- ٣٠ - الجرجانى : السيد الشريف الحسن على بن محمد الحسينى الجرجانى - التعريفات منشورات محمد على بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٠
- ٣١ - الخيرى : مصطفى الخيرى المنصورى - المقتطف من عيون التفاسير - تحقيق محمد على الصابونى - دار السلام - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٣٢ - الحاكم : أبو عبد الله محمد عبد الله الحاكم النيسابورى - المستدرک على الصحيحين دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ٢ - ٢٠٠٢م.
- ٣٣ - الرازى : الامام الفخر الرازى - التفسير الكبير - دار الكتب العلمية - طهران - الطبعة الثانية.
- ٣٤ - رشاد المدنى وزياد أبو صالح - المبعدون الفلسطينيون خلال الانتفاضة - منشورات رابطة الصحفيين العرب فى الأراضى المحتلة - ١٩٩١م.
- ٣٥ - رجا شحادة - قانون المحتل إسرائيل والضفة الغربية - الكويت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٩٠م.
- ٣٦ - الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - دار المعرفة - بيروت لبنان.

- ٣٧- سعيد أبو حبيب : القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً - دار الفكر - دمشق الطبعة ٢ - ١٩٨٨م.
- ٣٨- سعيد حوى : الأساس فى التفسير - الطبعة الثانية ١٩٨٩ - دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٣٩- الأساس فى السنة وفقهها : السيرة النبوية الطبعة الأولى ١٩٨٩ - دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٤٠- السمين الحلبي : عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي بألفاظ القرآن الكريم) - أحمد بن يوسف المعروف بالثمين الحلبي - تحقيق محمد التونجي - عالم الكتب - بيروت - ط ١ - ١٤١٤هـ.
- ٤١- سيد قطب : فى ظلال القرآن - دار احياء التراث العربى- بيروت لبنان - الطبعة الخامسة ١٩٦٧م.
- ٤٢- سيف الوادي : القانون الدولي وقضية فلسطين - شركة كاظم للنشر والتوزيع - الكويت - ١٩٨٣م.
- ٤٣- السيوطى : عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطى - الدر المنثور فى التفسير المأثور - دار الفكر بيروت ١٩٩٣م.
- ٤٤- الشافعى : أبو عبد الله محمد بن إدريس - الأم - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٨٣م.
- ٤٥- الشعراوى : محمد متولى الشعراوى - تفسير الشعراوى - طباعة أخبار اليوم قطاع الثقافة.
- ٤٦- الشوكانى : محمد بن على الشوكانى - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير دار الفكر.
- ٤٧- د. صلاح الخالدى : القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث - دار القلم - دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٤٨- الطبرسى : أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى - مجمع البيان فى تفسير القرآن - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٤٩- الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن - دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٨٣م.
- ٥٠- قصص الأنبياء : تحقيق جمال بدران - دار الخير - الطبعة الاولى - ١٩٩٩م.

- ٥١- عائشة راتب : مشروعية المقاومة المسلحة - الجمعية القانون الدولي - القاهرة - ١٩٧٠م.
- ٥٢- د. عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الاسلامى مقارناً بالقانون الوضعى - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة ١٤ - ١٩٩٧م.
- ٥٣- د. عبد الله شحادة : تفسير القرآن الكريم - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
- ٥٤- د. عبد الوهاب المسيرى : الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الاولى - ١٩٩٩م.
- ٥٥- د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - دار الشروق - الطبعة الاولى - ١٩٩٩م.
- ٥٦- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - تحقيق عبد الله بدران - دار الخير - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ٥٧- د. عماد الدين خليل : دراسة فى السيرة - دار النفائس مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة عشر ١٩٩١م.
- ٥٨- د. عدنان على رضا النحوى : النظرية العامة للدعوة الاسلامية (نهج الدعوة وخطة التربية والبناء) - دار النحوى للنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة.
- ٥٩- العهد القديم - الكتاب المقدس - طبعة المركز العالمى للكتاب المقدس فى جبل الزيتون ص . ب ٧٠٨٩ .
- ٦٠- غسان عبد الله : المبعدون الفلسطينيون - مؤسسة الثقافة الفلسطينية.
- ٦١- الغمارى : عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى - تفسير آية بنى إسرائيل
- ٦٢- الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى - بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - تحقيق محمد على النجار - الطبعة الثانية - ١٩٨٦ - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى لجنة احياء التراث الاسلامى.
- ٦٣- القاسمى : محمد جمال الدين القاسمى - تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل - دار احياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبي - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٦٤- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

- ٦٥- محمد عبد الوهاب - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - دار العربية - بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٩٠.
- ٦٦- محمد رشيد رضا - تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير المنار - دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية.
- ٦٧- محمد سعيد رمضان البوطي : الجهاد فى الاسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه - دار الفكر المعاصر - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٩٧م.
- ٦٨- محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة النبوية : دار الفكر المعاصر - دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان الطبعة الحادية عشر ١٩٩١م.
- ٦٩- محمد الغزالي : فقه السيرة - مطبعة حسان - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٧٦ تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى.
- ٧٠- محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس ألفاظ القرآن الكريم - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٩١م.
- ٧١- مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة دار احياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبي.
- ٧٢- مفيد شهاب : ميثاق الأمم المتحدة (المنظمات الدولية) - دار النهضة العربية - القاهرة - الطبعة العاشرة - ١٩٩٠م.
- ٧٣- النسائي : أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الشهير النسائي - سنن النسائي - تحقيق العلامة المحدث - محمد ناصر الدين الألبانى - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى.
- ٧٤- النسفى : عبد الله بن أحمد - مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشهور تفسير النسفى.
- ٧٥- نور الدين مصالحة - طرد الفلسطينيين - مفهوم الترانسفير فى الفكرة والتخطيط الصهيونية ١٩٤٨ - ١٩٨٢م.
- ٧٦- د. وهبة الزحيلي - التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج - دار الفكر - دمشق - ودار الفكر المعاصر بيروت - الطبعة المعادة ١٩٩٨م.

دوريات :

* مجلة الأسوار - ربيع ١٩٨٨ - بدون رقم العدد - مكتبة الجامعة الاسلامية

محاضرة عن كتاب الترانسفير - جذور ومخطط الإبادة - غانم حبيب الله.

* مجلة صامد - عدد ٩٢ - مكتبة الجامعة الاسلامية - مناقشة كتاب بنى موريس -

طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين د. عمران صبيح.

* مجلة صامد - عدد ١١١ - مكتبة الجامعة الاسلامية - مناقشة جدلية الترانسفير

والاستيطان فى المشروع الصهيونى - محمد عبد الحافظ.

* محاضرة د. عبد الكريم شبير - المقاومة حق مشروع - الجمعية القانونية بتاريخ

١ / ١٠ / ٢٠٠٣ م.

* مجموعة اتفاقيات لاهي وبعض المعاهدات الأخرى - اللجنة الدولية للصليب الاحمر -

جنيف - ١٩٩٠ م - نسخة منقحة - ١٩٩٦ م.

* اتفاقيات جنيف المؤرخة ١٢ آب (أغسطس) - ١٩٤٩ م - اللجنة الدولية للصليب الاحمر

- جنيف - ١٩٨٧ م.

رابعاً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	الافتتاح
٢	الإهداء
٣	شكر وتقدير
٤	المقدمة
٩	تمهيد
١٠	المبحث الأول : تعريف الإخراج لغة وشرعاً
١٠	أولاً : الإخراج لغة
١١	ثانياً : تعريف الإخراج شرعاً
١٢	المبحث الثاني : تعريف نظائر الإخراج لغة وشرعاً
١٢	أولاً : تعريف الهجرة لغة وشرعاً
١٣	ثانياً : تعريف بعد لغة وشرعاً
١٤	ثالثاً : تعريف الطرد لغة وشرعاً
١٥	رابعاً : تعريف التشريد لغة وشرعاً
١٦	خامساً : تعريف النفي لغة وشرعاً
١٦	سادساً : تعريف الطرح لغة وشرعاً
١٧	الفصل الأول
١٨	المبحث الأول : الإخراج ونظائره بين المكي والمدنى
١٨	أولاً : خرج ومشتقاتها بين المكي والمدنى
٢٠	ثانياً : هاجر ومشتقاتها بين المكي والمدنى
٢١	ثالثاً : بعد ومشتقاتها بين المكي والمدنى
٢١	رابعاً : نظائر أخرى بين المكي والمدنى
٢٣	ملاحظات حول السياق المكي والمدنى

٢٨	المبحث الثاني : الإخراج بين التمحيص والعقوبة
٢٨	المطلب الأول : إخراج الابتلاء والتمحيص
٢٨	أولاً : عظم الابتلاء والتمحيص
٣١	ثانياً : الابتلاء بالإخراج سنة ربانية
٣٤	ثالثاً : ابتلاء الأنبياء وأتباعهم
٣٧	رابعاً : استشعار الجزاء بعظم البلاء
٣٩	المطلب الثاني: إخراج العقوبة
٣٩	أولاً : العقوبة الأولى
٤٢	ثانياً : تعجيل العقوبة
٤٣	ثالثاً : الآثار الظاهرة على العقوبة
٤٥	المبحث الثالث : الإخراج المحمود والإخراج المذموم
٤٥	المطلب الأول : الإخراج المحمود
٤٥	أولاً : الهجرة بنية خالصة لله
٤٧	ثانياً : الخروج للنجاة من الظالمين
٤٩	ثالثاً : الخروج لنصرة الدين وتعظيمه وإذلال الكافرين
٥٢	رابعاً : ثواب الإخراج المحمود
٥٥	المطلب الثاني : الإخراج المذموم
٥٥	أولاً : الخروج كبيراً وبطراً ورتاء الناس
٥٦	ثانياً : ادعاء الخروج بهدف الإشاعة
٦٠	ثالثاً الإخراج المستضعفين
٦٢	المبحث الرابع : أسباب ودوافع قضية الإخراج
٦٢	أولاً : الأسباب الربانية
٦٩	ثانياً : الدوافع البشرية
٧٠	القسم الأول : الدوافع الداخلية للإخراج
٧٥	القسم الثاني : الدوافع الخارجية للإخراج
٨٢	المبحث الخامس : آثار الإخراج ونتائج
٨٢	أولاً : الآثار الإيجابية
٨٢	١- نصره دين الله

٨٣	٢- المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين
٨٤	٣- المغفرة والجنة
٨٥	٤- نجات المهاجرين والمخرجين
٨٥	٥- وقوع أجر المهاجر على الله
٨٦	٦- هداية المخرج إلى صراط مستقيم
٨٧	٧- هلاك الظالمين المخرجين
٨٨	٨- تحصيل المخرج رحمة الله
٨٨	٩- تحقيق الولاية والإيمان للمهاجرين
٩٠	١٠- جزاء المهاجر حسنة الدنيا والآخرة
٩١	١١- تحقيق الطمأنينة والإستقرار والأمن فى المجتمع
٩١	١٢- تحقيق لوعده الله
٩٢	ثانياً : الآثار السلبية
٩٣	١- الإخراج من الجنة
٩٣	٢- العداوة المستمرة
٩٤	٣- الشقاء والعناء والتعب
٩٤	٤- الحزن على فراق الأرض والأهل والديار
٩٥	٥- المساومة على الدين
٩٦	٦- الفرقة والشقات للمخرجين
٩٧	٧- ضياع هوية المبعدين
٩٨	٨- شعور الخوف وخطر الملاحقة
٩٩	٩- فقر المهاجرين
١٠٠	١٠- الذلة وخذلان المخرج
١٠١	المبحث السادس
١٠١	حكم عقوبة الإخراج وأحكامها الشرعية
١٠١	المطلب الأول : تحريم الإخراج من الديار
١٠٣	المطلب الثانى : أحكام الهجرة
١٠٦	المطلب الثالث : إستخدام عقوبة الإخراج فى الشريعة الإسلامية
١٠٧	١- النفي

١٠٨	٢- التغريب فى حق الزانى البكر
١٠٩	٣- نفي أهل الريبة
١١٠	المبحث السابع
١١٠	موقف المنافقين من قضية الخروج
١١٠	المطلب الأول : اعتمادهم مبدأ الحلف الكاذب فى عدم الخروج
	المطلب الثانى:
١١١	حرمانهم شرف الجهاد لاختيارهم التخلف والعودة والتفريق بين المؤمنين
١١٣	المطلب الثالث : خذلانهم لأهل الكتاب فى عدم الخروج معهم
١١٤	المطلب الرابع : استكبارهم وسعيهم لإذلال المؤمنين بإخراجهم
١١٦	الفصل الثانى
١١٦	الإخراج من الديار فى حق الأنبياء وأتباعهم فى ضوء القرآن الكريم
١١٦	المبحث الأول : المخرجون من الأنبياء والرسل السابقين وأتباعهم
١١٩	١- آدم عليه السلام
١٢٠	٢- نوح عليه السلام
١٢٠	٣- إبراهيم عليه السلام
١٢٢	٤- إسماعيل عليه السلام
١٢٢	٥- يعقوب عليه السلام
١٢٢	٦- يوسف عليه السلام
١٢٣	٧- لوط عليه السلام
١٢٤	٨- شعيب عليه السلام
١٢٣	٩- يونس عليه السلام
١٢٥	١٠- موسى عليه السلام
١٢٧	١١- يوشع بن نون
	المبحث الثانى
١٢٨	جريمة الإخراج فى حق النبي صلى الله عليه وسلم
١٢٨	١- الاستفزاز والتهديد
١٢٩	٢- التخطيط والمكر

- ١٢٩ -٣ تهيئة النبي للأمر العظيم
- ١٣٠ -٤ ساعة الإخراج
- ١٣١ -٥ تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وطمأنة قلبه بالانتقام والقصاص
- ١٣١ -٦ بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة فاتحاً لمكة
- ١٣٣ **المبحث الثالث**
- ١٣٣ الهجرة والإخراج فى حياة الصحابة
المطلب الأول:
- ١٣٣ وصف الحالة التى كان عليها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة
أولاً : الحالة الإيمانية
- ١٣٥
- ١٣٧ ثانياً : الحالة السياسية
- ١٣٨ ثالثاً : الحالة الإقتصادية
- ١٤٠ رابعاً : الحالة الإجتماعية
- ١٤١ **المطلب الثانى : دور المرأة فى الهجرة**
- ١٤٣ **النماذج المؤمنة للمهاجرين**
- ١٤٤ **الفصل الثالث**
- ١٤٤ **واقع الإخراج فى بيت المقدس (فلسطين) كما عرضه التصور القرآنى**
المبحث الأول :
- ١٤٥ **بداية خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بيت المقدس (فلسطين)**
- ١٤٥ **المطلب الأول : الإخراج حالة متأصلة فى حياة بنى إسرائيل**
- ١٤٧ **المطلب الثانى : خروج بنى إسرائيل من مصر**
المطلب الثالث:
- ١٥٠ امتناع بنى إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر
- ١٥٣ **المبحث الثانى : وقفات مع سورة الإسراء من خلال قضية الإخراج**
- ١٥٤ **أقوال العلماء فى تفسير الإفسادتين**
- ١٦٥ **المبحث الثالث : الفكر الصهيونى القائم على الاستيطان والتهجير**
- ١٦٥ **المطلب الأول : الاشارة القرآنية إلى الإستيطان والتهجير**
- ١٦٦ **المطلب الثانى : أسطورة الإستعمار الإستيطانى الغربى**
- ١٦٧ **المطلب الثالث : سياسة الإبعاد الصهيونية**

١٧١	خبراء الترانسفير والاستيطان
١٧٣	أهداف الاستيطان الصهيوني
١٧٥	المبحث الرابع : الرؤية التوراتية لليهود فى مسألة الإخراج
١٧٥	المطلب الأول : نظرة فى نصوص التوراة
١٧٧	المطلب الثانى : الترانسفير والاستيطان فى الفكر الدينى اليهودى
١٨٢	الفصل الرابع
١٨٣	مواجهة الإخراج من خلال فريضة الجهاد وفيه ثلاث مباحث :
١٨٣	المبحث الأول : الجهاد والمقاومة حق مشروع
١٨٣	أولاً : موقف الشريعة الاسلامية
١٩٠	ثانياً : موقف القوانين الدولية من المقاومة
١٩٣	المبحث الثانى : مواجهة الإخراج بين النظرية والتطبيق
١٩٥	شرح النظرية القرآنية لمواجهة الإخراج
١٩٥	أولاً : أساس النظرية : النهج القرآنى والواقع
١٩٦	العنصر الأول : ١ - التوحيد
١٩٧	٢ - فهم النهج القرآنى ودراسته
١٩٨	٣ - فهم الواقع
١٩٩	٤ - الممارسة الايمانية
١٩٩	العنصر الثانى : النهج والتخطيط العام لقضية الإخراج
٢٠٢	العنصر الثالث : النهج والتخطيط العام فى توفير الدعم والصمود
٢٠٣	١ - الدعم الإعلامى
٢٠٣	٢ - الدعم المالى
٢٠٤	٣ - الدعم النفسى والمعنوى
٢٠٤	٤ - الدعم السياسى
٢٠٥	العنصر الرابع : إلتماس دار النصر
٢٠٦	العنصر الخامس : النهج والتخطيط العام فى الإدارة والتنظيم
٢٠٧	العنصر السادس : النهج والتخطيط فى إدارة عالمية الصراع
٢٠٧	العنصر السابع : التقويم والمحاسبة والمتابعة
٢٠٩	المبحث الثالث : البشرى للمخرجين بالنصر والتمكين

٢١٦	الخاتمة
٢١٦	موجز الرسالة وأهم نتائجها
٢٢١	الفهارس
٢٢٢	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
٢٢٨	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
٢٣١	ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع
٢٤٠	رابعاً : فهرس الموضوعات